والعودُ أحمد

رامز رمضان النويصري

في يناير 1978 صدر العدد الأول من مجلة الفصول الأربعة، على أن تكون فصلية، مجلة الأدباء والكتاب الليبيين، عقب تأسيس رابطتهم. وهذا يعني أن عمر المجلة الآن 49 عاماً، قدمت فيها الكثير للكاتب والقارئ الليبي والعربي، كما عرفت خلال هذه السنوات محطات من التعثر والإخفاق، حالها حال الصحافة الليبية، ولأنها صوت الكاتب والأديب والمبدع الليبي، كانت دائماً تقاوم وتنتصر..

تعرفت إلى مجلة الفصول الأربعة، قبل التعرف إلى رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، ومازلت أذكر كيف وصلتني مجموعة من أعدادها القديمة، ضمن ما وصلني من مجلات وبعض الكتب، منحنيها أحد الأصدقاء، بعد أن قررت أسرته التخلي عما يعبئ (دار الخزين).

قبل هذه الافتتاحية، صدر من مجلة الفصول الأربعة، 118 عدداً فقط، وأقول فقط، كون هذه المجلة من المفترض أن يكون صدرت في 160 عدداً على أقل تقدير. لكنها توقفت أكثر من مرة، آخرها من بعد فبراير 2011، وحتى تاريخ هذا الإصدار، 7 سنوات، نتيجة توقف رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، وللأسف لم يستطع الأدباء والكتاب العودة من جديد.

وعادت الرابطة إلى نشاطها في 2018، بعد أن رفعت الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب التجميد عن العضوية الليبية، لتعاود الرابطة نشاطها ممثلة في آخر أمين عامٍ لها.

والعود وإن كان إلكترونياً، نتيجة فقد الموارد المالية لطباعتها ورقياً، فإننا نسعى من خلالها إنما نسعى من خلالها لعودة رابطتنا (أو اتحادنا) إلى سابق عهدها، وأن ينتظم شملها من جديد.. وما قبولنا بهذه المهمة، إلا من أجل هدف واحد وهو لملمة شتات الكتاب والدعوة لانتظام مؤتمرهم العام، الذي من خلاله سيفرزون رئاسة اتحادهم الجديدة.

الحرب التركية الايطالية من خلال ريشة الفنان الإيطالي Achille-Beltrame

خالد درويش

لعنة الموقع وحرب القراصنة

اتسمت طبيعة العلاقات الليبية الإيطالية في جميع مراحلها التي مرت بها منذ الزمن القديم وبحكم صراع القوى والنهم الاستعماري الذي خيم على حوض البحر المتوسط دائما بالطابع العنيف والوحشي. للغزوات المتكررة التي كانت تشنها الدويلات والممالك الإيطالية على الشواطئ الليبية ولاسيما طرابلس 1.

كما اتسمت بعض هذه المراحل بازدهار وتبادل تجاري كبير حيث كانت السفن الإيطالية تغادر من البندقية مرتين في العام قاصدة ميناء طرابلس كما اتسمت العهود التي تلتها بالطابع الاستعماري ومحاولات النهب المتكررة على غرار ما فعله قراصنة شركة filippo doria سنة 1355م باقتحامها لمدينة طرابلس وإعمال السلب والنهب فيها ومن ثم إحراقها رغم اعتذار جمهورية جنوا عن هذا الإعتداء 2. هذه الإعتداءات المتكررة التي لحقت المدينة والتي دامت ولازالت مطمعا من القوى العظمى التي تمارس الغزو البحري والقرصنة آنذاك ولعل موقع طرابلس في قلب البحر المتوسط وشراكتها مع عديد الدول في هذا الفضاء جعل منها عرضة للاستعمار منذ الفنيقيين والرومان واليونان والإسبان وفرسان القديس يوحنا وغيرهم وحتى العثمانيين الذي بسطوا على الولاية طابعهم الديني وجعلوا منها ولاية عثمانية يُجبى خراجها إلى خزانتها في الباب العالي .

وحتى بعد بسط سيطرة العثمانيين نفوذهم على البلاد لم تسلم هذه البقعة المنكوبة بحكم موقعها الاستراتيجي من عوامل التدمير والغزو ، فتحت ذريعة "الجهاد المقدس" استخدم الأتراك القرصنة للاستيلاء على الأراضي الجديدة والتي انطلقت من سواحل الجزائر وطرابلس وتونس إذ لم يقوموا فقط بدمير سواحل سردينيا وصقلية ونابولي بل وهددوا المواصلات البحرية بين الممتلكات الامبراطورية في اسبانيا وايطاليا 3.

الأطماع الإيطالية في طرابلس

وقد كانت ولاية طرابلس منذ قديم الزمان هدفا للتطلعات الاستعمارية الايطالية ومنذ سنة 1816 أقامت جمعية الفرنسيسكان في طرابلس أول مدرسة تبشيرية للبنين كان التدريس فيها باللغة الإيطالية 4 ، ولم تألوا إيطاليا جهدا وبكل الوسائل حتى تمكنت من ذلك حين استغلت ذرائع واهية لتبرير احتلالها لهذا الجزء من البحر المتوسط معيدة إلى مخيلة الإيطاليين الحلم الروماني القديم التوسعي وأن طرابلس هي الشاطئ الرابع لإيطاليا.

سبق ذلك كما أشرنا إلى ما سمى بالتغلغل السلمي لإيطاليا حيث افتتح مصرف روما فرعا له في طرابلس يوم 1907/4/15م وقد ترأس هذا الفرع في ليبيا رجل يدعى برشياني bersciani الذي كان قد اشتغل في أمور مماثلة في الصومال وصارت لديه بعض الخبرات في الأمور الإدارية والمالية 5 ، وقام هذا المصرف مع عملاء محليين من أعيان البلاد وبعض المرابين من التجار اليهود بشراء الأراضي من الفلاحين وإقراضهم الأموال ومن ثم سلبهم أراضيهم وقد نشأت عديد المشاكل التي جعلت من الحكومة التركية آنذاك تحد من نشاط هذا المصرف وتعتبره وسيلة للتغلغل الاقتصادي والتمهيد لاستعمار البلاد كما حدث مع الوالي إبراهيم باشا الذي قام بالتحقيق في آمور المصرف."وقد أحرجت نتائج هذه التحقيقات الحكومة الإيطالية التي كانت تنفي وجود أية مشاركةأو تورط من قبلها في المسألة " 6

وكان من جملة القرارات التي إتخذتها الحكومة التركية بتوقف جميع عمليات شراء الأراضي من قبل كل الايطاليين وإعادة النظر في العطاءات الممنوحة لشركات إيطالية لرصف بعض الطرف في الولاية ، "ولقد أغضب هذا القرار الحكومة والمؤسسات الاقتصادية الايطالية وعليه فقد شنت عدة حملات ضد العثمانيين في الصحافة الإيطالية في

حين اتهم الوطنيون السلطات في بلادهم بالتهاون وعدم القدرة على حماية مصالح الإيطاليين. لقد نادى بعضهم بالحرب كما قام بعض عملاء مصرف روما من أمثال السنيور بيازا بالكتابة في جريدة التريبونا tribuna(أعدادابريل /مايو1911) سلسلة من المقالات يهدد فيها العثمانيين ويشجع بلاده على احتلال ليبيا طبعت هذه المقالات فيما بعد في كتاب سمي بأرضنا الموعودة أو أرض الميعاد".7

استخدمت إيطاليا في حربها ضد ليبيا عديد الوسائل كان أهمها القمع والتنكيل والإبادة الجماعية للسكان العزل من السلاح وحتى القلة التي حملت السلاح لتدافع عن نفسها وممتلكاتها وعرضها لم تكن مدربة أو نظامية أو تخرجت من مدارس حربية كما هي الجيوش الجرارة التي نزلت في اكتوبر 1911في كل من طرابلس وبنغازي ودرنة وطبرق وزوارة والخمس ويصف الشيخ الطاهر الزاوي رحمه الله نزول الطليان بقوله"في اليوم الخامس من أكتوبر سنة 1911نزلت الجنود الإيطالية في طرابلس وكانت الحملة مؤلفة من ثمانية أليات من المشاة وألاليين من الجنود الراكبين وعشرة آلاف من الخيالة والطبجية والمهندسين وجملتها نحو أربعة وأربعين ألفا تولى قيادتها الجنرال كنيفا"8

كانت أسلحة المجاهدين عبارة عن بنادق قديمة محشوة بذخيرة الإيمان والدفاع عن الوطن. وكان من بين تلك الوسائل أيضا كما اشرنا التغلغل السلمي لمصرف روما وإنشاء شبكة من العملاء المحليين الذين كانت مهمتهم تبرير الغزو والدعاية له بل ونزع سلاح الطرابلسيين والوشاية والتنكيل بمن لم ينصاع لتلك التعليمات بالاستسلام والرضوخ والتهليل للايطاليين الذين جاءوا لحماية الليبيين ونشر المدنية بينهم أولئك العملاء الذين وصفهم الشيخ الطاهر الزاوي رحمه الله بمن (غضب عليهم الوطن من صنائع بنك دي روما فابتلاهم الله بقلة الحياء وموت الضمير)9 .

بالمقابل اتخذت السلطات الايطالية بقيادة "جوليتي" الوزير الأشهر من الدعاية والتشهير وتهويل الأمور في الساحل الجنوبي لإيطاليا ولإقناع الإيطاليين وسوقهم لتأييد الغزو عديد الوسائل كان من أهمها الصحف التي لعبت دورا مهما في إقناع الرأي العام الإيطالي بضرورة احتلال طرابلس.

كان في مقدمة هذه الصحف التي تولت الدفاع عن الغزو وتبريره ومحاولة إقناع الرأي العام الإيطالي بفوائده وحتمية وقوعه والنتائج الكبيرة المترتبة عليه خصوصا وأن الوضع الإيطالي الداخلي كان

متمزقا وحال الجنوب كان يمر بفقر مدقع وبطالة تضرب أطنابها مما شكل عبئا كبيرا على "جوليتي" وحكومته آنذاك. كانت صحيفة "كوريري ديلا سيرا La " Domenica del Corriereوالتي اخترنا أن نسلط الضوء على الدور الذي قامت به من خلال أشهر مصمميها ورساميها "آكيلي بلترامي " الذي داعب بخياله الاستعماري ودغدغ عواطف الايطاليين ونقل صورا ومشاهدا عن الحرب الليبية غاية في التشويه والتزوير ،. فقط كان الهدف منها استعماريا بحتا ولمعاضدة الجنود الايطاليين في حربهم ورفع معنوياتهم وتصوير النزهة البحرية على الشواطئ الطرابلسية نزهة غاية في الرفاهية والجمال.

صحيفة La Domenica del Corrieraومؤسسها لويجي ألبرتيني:

المجلة الآكثر انتشارا والإوسع توزيعا حتى» أصبحت الأسبوعية الأكثر مبيعاً في إيطاليا: وصلت المبيعات إلى 600،000 نسخة» (10)

Domenica-del-Corriere . تأسست في ميلانو عام 1899 وأغلقت في عام 1989. وكانت بحق ذاكرة الشعب الايطالي إذ «يتم تلخيص تاريخ العادات والمجتمع الإيطالي بالكامل في النصف الأول من القرن العشرين» (11). هذه المجلة الاسبوعية التي عاصرت الحرب في ليبيا وكانت أحد أهم المراجع التاريخية التي وثقت الحرب بالصورة واللوحة والخبر وإن كان حجم الدعاية الحربية وتضخيم المشروع الاستيطاني الاستعماري الايطالي ضمن مشاريعها وخطط عملها وهذا لا يخفى على أي باحث له صلة بتاريخ تلك الفترة ولكن ما يهمنا منها في هذا البحث هو تلك النظرة التي جسدتها أغلفة المجلة والتي من خلالها طرحت مواضيع الحرب الليبية والمعاهدات بين ايطاليا وتركيا وخطوط التماس بين المجاهدين والجنود الايطاليين وكيف سوقت لدعايتها الحربية المبنية على التفوق الحضاري من خلال ريشة الرسام المبدع .Achille-Beltrame

رسامو الصحيفة :

Achille-Beltrame -1

درس BELTRAME في أكاديمية الفنون الجميلة في بريرا في ميلانو. وكان تلميذا لفرانشيسكو هايز وجوسيبي برتيني. وفي سن الثمانية والعشرين انتقل إلى مدرسة جديدة هي مدرسة لويجي البرتيني صاحب الدومينيكا للمساهمة في خلق هذه الصحيفة التي رأت النور في أكشاك بيع الصحف يوم 8 يناير 1899 ولأكثر من 40

عاما حيث التزم بيلترام، بالنشر في الصفحة الأولى والأخيرة،حيث عمل بدأب وتفاني مما جعل اسمه يلمع كرسام شهير ، ف»أصبحت الوحات الملونة ل Beltrameالسمة المميزة للمجلة. (2).

2- والتر مولينو

ولد مولينو في ريدجو إيميليا في 5 نوفمبر 1915. بعدما انتقلت العائلة إلى ميلانو ، وقد نشر مولينو البالغ من العمر خمسة عشر عامًا أول رسوماته التخطيطية في صحيفة Libro e muschetto. حينها لاحظ بينيتو موسوليني أنه رسام موهوب وقد يستفاد منه في الدعاية للفاشية فاستدعاه لإنشاء رسوم كاريكاتورية ساخرة على صحيفة «Il Popolo d›Italia» ، وهي الجهاز القومي للحزب الوطني الفاشي. (13)

يحاول البحث مناقشة مواضيع تلك الرسومات واللوحات التي وضعها بلترامي دون غيره فهي التي حاربت المجاهدين الليبيين بالسخرية تارة وبالكذب والافتراء تارة وبالجهل بالموضوع تارة أخرى وسنوضح من خلال اللوحات بما يمكننا من تحليل عملي كيف كانت تلك الأبعاد كيف كان ينظر هذا الرسام إلى ليبيا وإلى سكانها في مخيلته وكيف شيطن المرأة الليبية تارة بجعلها تقاتل مع العصاة المخربين (المجاهدين) وتمدهم بالذخيرة وهي في حالة من الهياج والتنمر والوحشية فكانت ألوانه داكنة سوداء حين تناولها في لوحة قدمها في العدد 14-21 يوليو 1912. متوحشة وقبيحة تحمل الرصاص والذخائر بيديها ذاهلة عن نفسها وهي شبه عارية وسط كومة من الرجال. وقد كتب تحت اللوحة ما ترجمته : المرأة العربية مشجعة وتعمل بتزويد وشحن الأسلحة. في إشارة إلى أنها بربرية تقاتل مع العصاة المتمردين .

وتمضي هذه النظرة السلبية والخاطئة والكاذبة دائما في شحذ الرأي العام الإيطالي ونقل صورة مزورة لما يحدث لجنوده في الضفة الأخرى ، ويتناول البحث تحليل هذه اللوحات ومصادرها والتي كانت في أغلبها صورا فوتوغرافية استعان بها بلترامي الموهوب بلا أدنى شك وحولها إلى قصة تنسج على رمال الصحراء الليبية. ونقدم في هذا الملخص عينة لماذكرنا:

الرسام الواقعي Achille-Beltrame ذو الريشة الساحرة:

أفتتح يوم الأحد الموافق 3ديسمبر 2017 العام الماضي وعلى تمام الساعة الحادية عشرة صباحا بمتحف كاسا سارتوري من كاستل دي أريو حيث قدم معرض الحرب

العظمى 19 وبرعاية ماريا غابريلا سافوي للمصور والرسام المبدع

اكيلي بيلترامي حيث اختيرت لهذا المعرض مائة صورة أو لوحة جادت بها ريشة هذا الرسام الإيطالي والمتصلة بالحرب العالمية من خلال تغطية ملحق "كوريرا ديل دومينيكا" وهدف هذا المعرض إلى تعريف جيل الشباب الإيطالي وزوار المعرض بالوضع المأساوي لما عرفت بأنها واحدة من أسوأ الصراعات الأوروبية في التاريخ كما تقول مطوية المعرض ومن كتب عنه

من أولى لوحاته التي جلبت الإنتباه إليه هي تلك اللوحة التي رسمها حول ARZIGNANOفي عام 1871، تدرب في أكاديمية بريرا، بدأ العمل كرسام في عام 1896، بالتعاون مع رسومه لمجلة "توضيحات الإيطالي"

عاصفة ثلجية في الجبل الأسود منعت ثلاثمائة جندي من دخول الحرب ، عانقت رسومه مخيلة القراء وبفضل إلهامه صارت حية ومثمرة، مع الذوق السليم والريشة البارعة وبرصيد كبير في وصف مأساوية ووحشية الحرب ، لقطات مقربة ونادرة ، مشاهد دموية محسنة ، والعدو النمساوي شيطان دائما.وقد تمكن أكيلي بلترام ، برسومه ، من تدوين أخبارالحرب وتوثيقها وجعلها مقبولة عند عامة الإيطاليين وكذلك العاملين على الجبهة الداخلية. كانت قصته محزنة لكن مريحة. نشر آخر أعماله على صفحات الكوريرا ديلا سيرا في 26 نوفمبر 1944 لم تيحرك من ميلان. فقام بعمل رسوماته بناء على وصف المؤرخين وباستخدام أرشيف فوتوغرافي كان يتشكل في دراسته في كورسو غاريبالدي. وغادر الحياة في ميلانو 19 فبراير 1945

اتفقت جميع الصحف باستثناء صحف المعارضة على الإشادة بمقدار الربح الكبير الذي يمكن أت تحققه إيطاليا باستيلائها على ليبيا وأثرذلك على الانتعاش الاقتصادي الإيطالي (13)

بحلول سنة 1911اصبح للقوميين في ايطاليا قوة وتأثير ونفوذ في الصحافة الإيطالية وفي البرلمان وفي مجلس الشيوخ ودعوا الي اكتساب مستعمرات جديدة واعترفوا بان الحرب هي الوسسلة الوحيدة لتحقيق ذلك فأنشأو صحيفة لهم تحت اسم "الفكرة الوطنية Dea Nazionale " وتعتبر الصحيفة القومية الرسمية وقد صدرت كاسبوعية ثم سرعان ما اصبحت صحيفة يومية ، وبمولد هذه الصحيفة بدأت حملة الصحافة لصالح احتلال ليبيا تتكلم بلهجة قوية وبدأت في مخاطبة الرأي العام دون تردد فنشرت الصحيفة في

زول عدد لها مقالا بعنوان :(ماذا نريد لطرابلس).(14)

كما اعتمدت الصحافة الإيطالية اسلوبا مبسطا في صياغة حملتها الدعائية وعلى بعض العناوين البارزة ذات الرنين التي يسهل حفظها وترديدها وفي الوقت نفسه تخاطب عواطف الجماهير التي تنفعل معها انفعالا كبيرا مثل (طرابلس الجميلة وأرضنا الموعودة)..وغيرها (15). وهي نفسها المضامين التى التقطها اكيلي بلترامي وجعل منها مادة للوحاته التي تنساقت مع الدعاية الرخيصة التى انتهجتها سياسة الغزو والتبرير.

لم تكن الوطنية Dea Nazionale الصحيفة الوحيدة التي جاهرت بالغزو وحرضت عليه بل مولت أيضا الصحف الكاثوليكية التي تنتمي إلى الكنسية ذلك أيضا مثل Il Momento وصحيفة L, Avvenire d, Italiaمستقبل ايطاليا وصحيفة Corriere d, Italia بريد ايطاليا و Corriere d,Sicilia بريد صقلية كما انضمت الصحف الليبرالية ومن بينها La stampa وصحيفة La tribunaوصحيفتنا هذه التي نناقش أغلفتها في هذا البحث الكوريرا ديلا سيرا وكان تركيز الصحف الليبيرالية اهتمامها على محورين أولهما نقد السياسة الخارجية للحكومة الإيطالية وثانيهما وصف أسطوري لليبيا كأرض الميعاد. (16)

هذه الصحيفة التي تعتبر من كبريات الصحف الإخبارية الليبرالية التي دخلت في إطار الحملة الدعائية لصالح الحرب الليبية وأصبحت فيما بعد الصحيفة الأولى دون منازع في تلك الحقبة وكانت معترضة للمغامرات الاستعمارية في بدايتها. ويعلل مدير الصحيفة(لويجي البرتيني) هذا التأخير بعدم اقتناع الصحيفة بفائدة احتلال ليبيا من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية ويؤكد على أن ما جعله يكسر.هذا التأخير والتردد ويقنعه بمناسبة تأييد الحملة على ليبيا هو تدخل عوامل تقدير سياسية ومعنوية والتحقق بأنه في تلك الحقبة لم تعد هناك إمكانية الخيار م بين طريقين ، فلم يعد في إمكاننا التخلي عن ممارسة حقوق أقمنا عليها معاهدات وصداقات.(17(

لم يكن هذا التغيير في الموقف كما هو موضح من قبل البرتيني إلا بعد سلسلة من التدخلات والضغوط التي تعرضت لها الصحيفة ومديرها من قبل الحكومة الإيطالية وعلى رأسها وزير الشؤون الخارجية "دي سان جوليانو". كما نشرت الصحيفة على صفحاتها مقالا للصحفي (اندرياتوري) بتاريخ 18سبتمبر تحت عنوان"طرابلس والشعور الوطني" أكد فيه

(أن إيطاليا إذا وجب عليها احتلال ليبيا فالدافع لذلك ضرورة أقوى من إرادة الحكام أنفسهم ، ضرورة سامية وواجب سياسي تخضع له الضمائر الفزعة والمترددة). (18)

الخيال الفني واللوحات الاستعمارية

تبدو لنا خطوط الرسام الايطالي بلترامي واضحة المعالم حيث انتهج مدرسة الواقعية التي حولت معظم لوحاته إلى مايشبه الصورة الفوتوغرافية التي توثق لحدث ما أو لفكرة طُلب منه تنفيذها وهنا لا يسعنا إلا أن نعتبره مقاتلا من الدرجة الأولى بريشته التى حملها وحارب بها مع الجنود المستعمرين يكفي أنه ساعد في تشويه صورة الحرب وحقيقتها ، فمنذ بدايات التدخل الاستعماري الايطالي في ليبيا نجد لوحاته ناطقة بما تمليه السياسة الخارجية الايطالية ففي عدد 10مارس 1912 نجد تجسيدا للبرلمان الايطالي وهو في حالة انعقاد كامل وذلك للتصويت على التدخل في ليبيا وضمها إلى إيطاليا ومنح الإذن للجيش بالغزو ونجده لا يغفل أهمية هذا الاجتماع مبرزا الرضى والتصفيق لهذا القرار وكذلك صيحات الابتهاج التي تنضح من الصورة.

كما صور بريشته البارعة في العدد 27اكتوبر 1912 مفاوضات الاستسلام والتسليم أو معاهدة الصلح بين تركيا وايطاليا والتي تنازلت تركيا بموجبها عن ليبيا ومنحها حكما ذاتيا متأخرا وتركها لقمة سائغة للايطاليين بعد تخليها عنها وسحب قواتها وأسلحتهم ، ويبدو فيها الجانب التركي منحنيا للتوقيع على معاهدة نهاية الحرب كما أسماها fine della guerra Italo-turca ... ما عرف بأوشي لوزان ،، وزراء الخارجية الذين اتفقوا على تسليم ليبيا وتبدو اللوحة ناطقة بالشماته والانهزام اللذان صورهما بلترامي باقتدار وهي عبار عن نسخة من صورة فوتوغرافية جسدها بلترامي باقتدار.أما في لوحاته السابقة لهذه التواريخ فنجده يستعمل ذكائه في تزييف الحقائق في عديد المرات ولعلنا لا نظلمه حين نقول أنها كانت نظرته الغربية للشرق المليء بالأساطير والألوان غذتها الرؤية الاستعمارية والخيال تجاه البدو والصحراء والمرأة العربية..التي تبدو لنا وكأنها جنية خرجت من جهنم مشعثة الشعر تولول وتصرخ في الجنود العرب وعيناها تقدحان شررا وتقوم بتزويدهم بالمؤونة والذخيرة وتشجعهم على الحرب والقتل وهي عارية الصدر وسط كومة من الرجال مما يدل على جهل بالتقاليد العربية والاسلامية بخصوص المرأة وحركة حياتها وذلك في صورة لا تخلو من مغالطة كبيرة وتشويه

متعمد خصوصا في لوحته التي نشرتها الصحيفة بتاريخ 21 يوليو 1912

في العدد 29أكتوبر 1911يرسم لوحة لفرحة الأهالي وهم على الميناء باستقبالهم للجنود الايطاليين مبرزا ضخامة الاسطول والسفن الحربية التي تملاء البحر وسكون الأهالي وتعاونهم وفرحهم بالقادمين ولا ينسى أن يظهر التجار والأعيان بصورة خاصة وكأنهم ينتظرون قدومهم منذ زمن. ولعل لوحته التي زينت غلاف الكوريرا بتاريخ 20 نوفمبر 1911 وفيها نجد الأهالي مجتمعين بمختلف أطيافهم في أحد أشهر شوارع المدينة القديمة حيث يعتلى رجل كرسيا وهو يحمل في يده "فرمانا"يقرأه عليهم وبجانبه رجل أسمر يضرب على الطبل وعلامات الانتباه على محيا الجميع مع تعليق تحت اللوحة أنه قراءة مرسوم ملك ايطاليا بخصوص الحياة العامة للعرب مع سيدهم الجديد الذي جاء لتحريرهم والحفاظ على معتقداتهم وديانتهم وتقاليدهم وتعليمهم الحضارة واعتبارهم رعايا ايطاليين.

ثمة العديد من الرسائل الدعائية التي ترسلها تلك اللوحات لعلنا نذكر منها تلك التي يتبادل فيها التركي والايطالي غصن الزيتون وترفرف بينهما حمامة السلام حيث نجد عديد اللوحات التي يتصافح فيها الجندي الايطالي والجندي التركي بلباسهما العسكري وبينهما المواطن الليبي بلباسه التقليدي الجرد ولوازمه ونجد اليد الحانية التي تربت على كتفه هي يد الجندي الايطالي وابتسامة ساحرة على شفتيه وكأنه يقول للجندي التركي : لا تخف لقد استلمته وسأقوم بالمهمة على خير وجه. وقد فعل الجنود الايطاليون ذلك على خير وجه كما اتضح للعالم أجمع فيما بعد.. أما في لوحة التي بتاريخ 29 اكتوبر 1911 فإننا نرى التفوق العددي وبسالة الجندي الإيطالي الذي يهاجم جنودا أتراك وعرب يدافعون عن مدينة بنغازي ونشاهد الغلبة كما هي العادة للايطاليين وعديد القتلى من العرب والأتراك وهذا ما يركز عليه بلترامي في لوحات كثيرة منها التي رسمها بتاريخ 12نوفمبر 1911 حيث نشاهد الراية الخضراء والتي تسمى في المراجع والمصادر الايطالية "راية محمد" حيث يتجمع العرب حول هذه الراية ويقاتلون بشراسة ونجد أن الغلبة للجنود للايطاليين وهذه الراية تتكرر في عديد اللوحات إذ نجدها في لوحة بتاريخ 15 مارس 1912 منكسة وممزقة وكذلك هي حال الراية التركية التي تغرق مع السفن في بحر متلاطم الأمواج وقد دمرتها البوارج الايطالية هي ذاتها الراية المنكسة والتي يتوسطها الهلال والنجمة ويوضح أيضا في اللوحة التي

رسمها بتاريخ 24 يوليو 1912 وبعد معاهدة التسليم ظابطا تركيا كبيرا ينحني وهو يسلم سيفه إلى الجنرال الايطالي كانيفا ومن حوله جنود عثمانيين بعظهم جرحى في موقف يدل على الهزيمة وانتصار الجنود الايطاليين ولا يغفل تفاصيل الوجوه وحزنها وكمية التذلل بالنسبة للجانب التركي.

أما الراية الايطالية فقد سجلها بلترامي في رسوماته دائما دليلا على الانتصار وعلى العزة فهي ترفرف فوق القلاع والحصون الليبية بحماية الجنود الايطاليين الذين يكافحون لغرزها في أعلى مكان يزحفون إليه كما في العدد الذي حمل تاريخ 20ابريل 1912 حيث نشاهد الجنود الايطاليين يرفعون راية بلادهم فوق حصن استولوا عليه بعد فرار البدو وفشلهم في الدفاع عنه.وكذلك لا ينسى هذا الرسام الاستعماري أن يفرد لوحات عديدة تناول فيها "الأحباش" وفرحتهم بانتصارهم على المجاهدين الليبيين وكما نعرف أن للجنود الإريتريين فضل كبير في انتصار الجنود الايطاليين حيث كانوا دائما في الصفوف الأولى يتقدمون أسيادهم وقد امتازوا بالوحشية والقسوة فنجده يصور هذه المشاهد وبتفاصيل ممتعة وألوان مميزة ويصور بلترامي في مشهد مؤثر هذه الراية التي يعتز بها هؤلاء الجنود حين نشاهد العريف كارولا وهو من سلاح الفرسان وقد وسد على نقالة طبية وقبل أن يموت يطلب تقبيل الراية الإيطالية في حلقة مؤثرة من الوطنية كما كتبت الصحيفة بتاريخ 2اغسطس 1914 حيث نرى التبجيل المبالغ فيه للراية وبكاء الجنود وتأثرهم لمصير زميلهم تظلهم أشجار النخيل مما يعني انهم لم يغادروا "الواحة."

كثيرة هي المغالطات التي يوردها هذا الرسام المبدع ذى الخيال الفلكلوري الاستعماري المتحيز لبني جنسه والذي وظف فنه وريشته لخدمة قضيته التي دافع عنها بأبشع صورة وهي صورة تزييف الحقائق ومحاولة مسايرة الجو العام الإيطالي الذي يبرر الغزو ويمتهن الوحشية وهنا لابد أن نقف أمام لوحة يصور فيها بلترامي مشهد إعدام بالرصاص من مسافة قريبة لمجموعة من العرب الليبيين وهم مربوطي الأيدي حوالى سبعة أشخاص وعلى مرأي من تجمهر المواطنين الذين يشاهدون حفلة الموت الجماعي وبنادق الجنود يكاد يغطيها دخان البارود المنطلق من فوهاتها وهي بتاريخ 5 نوفمبر 1912 وقد كتب تحتها " Insidiosa rivolta degli arabi a tripoli :Fucilazione dei traditori che prima avevano Accettato soccorsi dagl, italiani

وترجمتها : انتفاضة غادرة للعرب في طرابلس: إطلاق النار على الخونة الذين كانوا قد قبلوا المساعدات الإيطالية

يصور اكيللي بلترامي الحياة في طرابلس وفي معسكرات الجنود كأنها مرفهة وسهلة حيث يحتفل الجنود بأعياد الميلاد ويرفعون أنخابهم بينما السعادة تملاء الأرجاء فبتاريخ 31ديسمبر 1911يقدم لوحته تلك في ذلك المكان تحت أشجار النخيل التي لاتفارق مخيلة هذا الرسام ولا لوحاته في دلالة على المكان أي الواحة والتي أستعملت في ذلك الوقت للدلالة على "عين ن زارة" أو واحة طرابلس هذه النظرة المتفائلة التي يضحك بها على الرأي العام الايطالي مطمئنا أمهات الجنود الذين خسروا فلذات أكبادهم في حرب شرسة ظنها الايطاليون نزهة على شواطئ تر يبوليتانيا. ويستمر هذا الخداع والتضليل في لوحته التي يبرز فيها شارعا في ميلانوا وقد وقفت عربة تحمل لوحات دعائية وحولها العديد من الناس وهم يستمعون إلى شروح مصورة في لوحات رسمت من قبل بلترامي نفسه تصور مقدرة الجنود الايطاليين ن وشجاعتهم وكذلك الأعداد الكثيرة من القتلى العرب ولا يفوته أن يظهر شجاعة الكتائب الإريترية التي تقاتل مع الإيطاليين في محاولة لتطمين ن الشعب الايطالي في ميلانو ، أما قمة التضليل والخداع والتي نجدها في لوحته التي تصور العمليات الإجرامية التي يقوم بها المجاهدون أو العصاة والخارجون عن القانون فنراهم بوحشية يختطفون أحد الجنود ويسلبونه بدافع السرقة ولا يتورعون حتى عن قتل الحيوانات (الفرس).. وتصورهم اللوحة وهم في حالة فزع شديد وقسوة لا تليق بأصحاب حق يدافعون عن أرضهم بل هم مجموعة من قطاع الطرق أما الجندي الإيطالي المغدور فهو يستحق الرثاء .

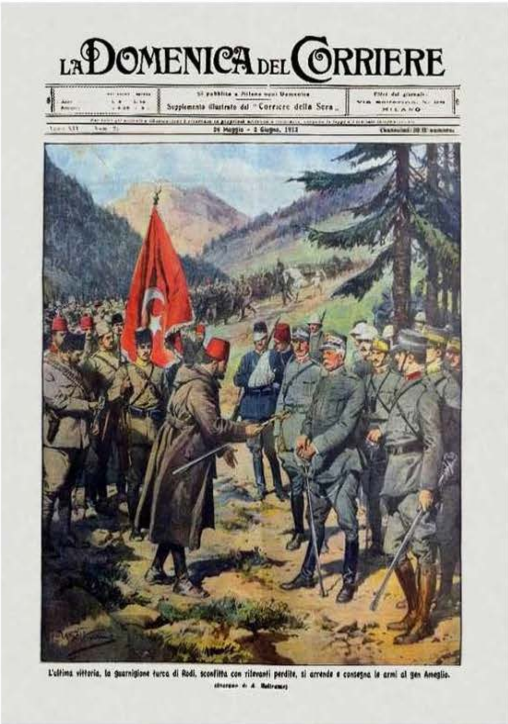
أخيرا ،، وتبقى الصورة معلقة .

لعلنا في هذه اللمحة العجلة قدمنا بعضا من نماذج الرؤية الاستعمارية بريشة أحد أكثر الفنانين شهرة والذي كانت لوحاته محط اعجاب دائم وكانت ريشته سلاحا في أيدي الصحف الايطالية ترسم بها سياستها الخارجية في اقناع المجتمع الايطالي والدولي بأحقية ايطاليا في استعمار ليبيا وضمها إلى ممتلكاتها. والنماذج كثيرة واللوحات متعددة ومتناثرة وهي بأعداد سنوات الجمر والحرب التي عانتها بلادنا الحبيبة من ويلات الغزو الإيطالي الذي انتهك كل المقدسات ولا نجد عند هذا الرسام أية شفقة أو عدالة ولا نلومه في اختياره السياسي هذا بل هو يعتبر نفسه يقدم عملا وطنيا لبلاده وجنود بلاده ولكن حين نخاطب حس

الفنان وروحه وشهادته الصادقة وموهبته العظيمة التي وهبها له الله فإننا ندرك وهذا ما كتبه احد النقاد الايطاليين في مئويته التي أقيمت عام 1995 أن بلترامي لم يغادر ميلانوا أبدا وكانت كل لوحاته إما من نسج خياله المبدع أو هي نسخ لصور فوتوغرافية التقطها مصورون على الأرض .

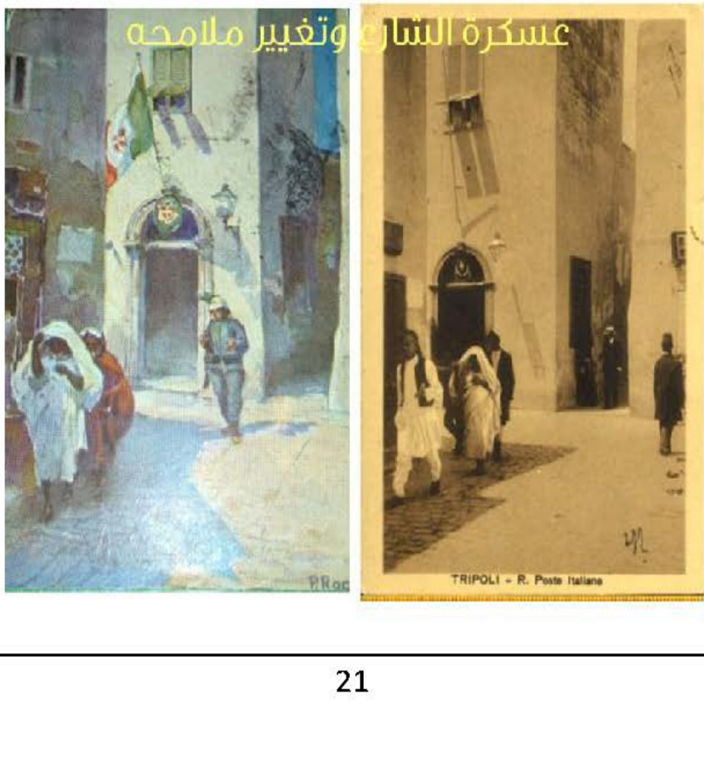


ACHILLE-BELTRAME



(الحرب التركية الايطالية من خلال ريشة الفنان الايطالي ACHILLE_BELTRAME)


MOSTRA NEL CENTENARIO DE
LA GRANDE GUERRA
LA DOMENICA DEL CORRIERE
Nel centenario della Prima Guerra Mondiale l'Istituto Nazionale per la Guardia d'Onore commemora i tragici e gloriosi avvenimenti bellici mediante le immagini pubblicate settimanalmente dalla "Domenica del Corriere" nel periodo 1914-1918


عسكرة الشارع وتغيير ملامحه
TRIPOLI - R. Poste Italiane

الهوامش:

1. الاستعمار الإيطالي لليبيا بواعثه وأسبابه التاريخية ونتائجه) مفتاح السيد الشريف) ص 5 دار النشر الليبية / طرابلس 19701
2. الاستعمار الإيطالي لليبيا بواعثه وأسبابه التاريخية ونتائجه) مفتاح السيد الشريف) ص 16 دار النشر الليبية / طرابلس 1970
3. تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن16عشر إلى مطلع القرن 20.ن.إنبروشين ترجمة د. عماد حاتم ص 87 مركز جهاد الليبيين 1991
4. ص 382 المصدر السابق.
5. دراسات في تاريخ ليبيا الحديث د. عقيل محمد البربار ص 103منشورات ELGA 1996
6. ص 110المصدر السابق.
7. ص 112 عقيل البربار مصدر سابق.
8. جهاد الابطال للشيخ الطاهر الزاوي دار المداد الاسلامي ص 86 الطبعة الرابعة 2004
9. جهاد الابطال للشيخ الطاهر الزاوي دار المداد الاسلامي ص 91 الطبعة الرابعة 2004
10. https://en.wikipedia.org/wiki/Achille_Beltrame
11. https://en.wikipedia.org/wiki/Walter_Molino
12. https://www.popolis.it/la-grande-guerra-attraverso-le-immagini-di-achille-beltrame/
13. فرانسيس ماكولا (الغزاة) ترجمة عبدالحميد شقلوف /طرابلس / الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان 1979ص 29
14. الصحافة الايطالية وموقفها من الغزو الايطالي لليبيا 1910-1911 العدد 23السنة 11مجلة الجامعة الاسمرية.د. سالم فرج عبدالقادر ص 392
15. الصحافة الايطالية وموقفها من الغزو الايطالي لليبيا 1910-1911 العدد 23السنة 11مجلة الجامعة الاسمرية.د. سالم فرج عبدالقادر ص 392
16. المرجع السابق ص 403-402
17. فرانشيسكو مالجيري.ص72. الحرب الليبية(1911 / 1912) ترجمة وهبي البوري الدار العربية للكتاب
18. الصحافة الايطالية وموقفها مرجع سابق ص 406

المصادر والمراجع

الاستعمار الإيطالي لليبيا (بواعثه وأسبابه التاريخية ونتائجه) مفتاح السيد الشريف دار النشر الليبية / طرابلس 19701

تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن16عشر إلى مطلع القرن 20.ن.إنبروشين ترجمة د. عماد حاتم مركز جهاد الليبيين 1991

دراسات في تاريخ ليبيا الحديث د. عقيل محمد البربار منشورات ELGA 1996

جهاد الابطال للشيخ الطاهر الزاوي دار المداد الاسلامي/ الطبعة الرابعة 2004
فرانسيس ماكولا (الغزاة) ترجمة عبدالحميد شقلوف /طرابلس / الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان 1979
فرانشيسكو مالجيري.ص72. الحرب الليبية(1911 / 1912) ترجمة وهبي البوري الدار العربية للكتاب
الصحافة الايطالية وموقفها من الغزو الايطالي لليبيا 1910-1911 العدد 23السنة 11مجلة الجامعة الاسمرية.د. سالم فرج عبدالقادر ص 392
https://en.wikipedia.org/wiki/Achille_Beltrame
https://en.wikipedia.org/wiki/Walter_Molino
https://www.popolis.it/la-grande-guerra-attraverso-le-immagini-di-achille-beltrame/

الطريق إلى سايكس - بيكو
الحرب العالمية الأولى بعيون عربية

علي المقرحي

جاءت اتفاقية (سايكس بيكو) في أعقاب أعوام الحرب العالمية الأولى الأربعة محاولة صفيقة لترسيخ ما استهدفت تلك الحرب تحقيقه في الشرق الأوسط من تقسيم ومن فرض للوصاية، بل والاستعمار الفعلي في بعض المراحل اللاحقة. وفي هذا الكتاب (الطريق إلى سايكس - بيكو / الحرب العالمية الأولى بعيون عربية) محاولة لقراءة مغايرة لأحداث الحرب العالمية الأولى، كمسار من الأحداث التاريخية التي انتجت تلك المعاهدة المشؤومة، ولمواجهة سؤال المصير المعلق مثل (سيف ديموقليس) فوق رؤوس العرب جميعاً، خصوصاً أن سايكس بيكو التي فرّخت (وعد بلفورد) مازالت حبلى بما لا يمكن التنبؤ به وقادرة على تفريخ ما لا يعلمه إلا الله.

ذلك هو محور الكتاب، وهو ما أجمله محرره الباحث والاعلامي التونسي. "رشيد خشانة" في التقديم لمواده الذي استهله بالحديث عن انهيار الدولة العثمانية ووقوع مستعمراتها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تحت سلطة دول الاستعمار الحديث بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، مركزاً على اتفاقية (سايكس بيكو) التي تقرر وفقاً لبنودها أن تفرض بريطانيا هيمنتها على فلسطين والعراق والأردن إلى جانب فلسطين، وأن تفرض فرنسا بالمقابل سيادتها على سوريا ولبنان وشمال العراق إضافة إلى المغرب العربي، وذلك إجراء لم يكن موافقا لأي منطق جغرافي أو مبرر تاريخي ولا مقوم اقتصادي أو ديموغرافي، بل كان يستهدف حرمان

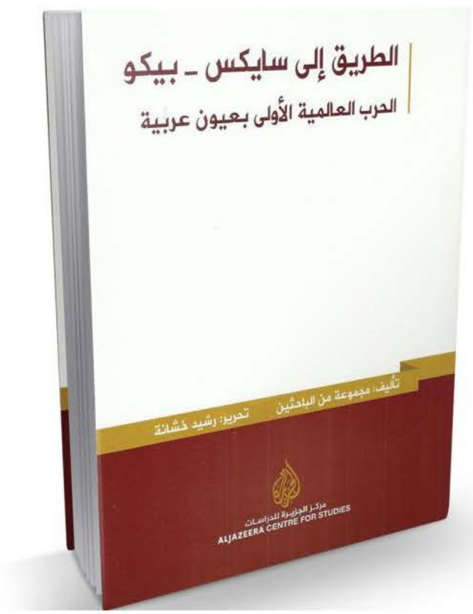
الإمبراطورية الألمانية (التي أنشئت في 1871) ودخلت الساحة العثمانية لتحل محل روسيا كخطر رئيسي على مصالح بريطانيا، من الكعكة، وقد هيمنت المنافسة بين ألمانيا من جهة وفرنسا وبريطانيا من الجهة المقابلة، على مجمل التحولات التي شهدها النصف الأول من القرن العشرين، ليلاحظ (أن ثمة بوادر لتغييرات كبرى بدأت تتجلى في السنوات الأخيرة على الخارطة التي وضعت وفق مقررات سايكس بيكو، والتي من أهمها وأخطرها، ما أحدثه ما يعرف بتنظيم الدولة الاسلامية (داعش) في العراق والشام، منذ يونيو 2014 من محو للحدود بين ثلاث محافظات في شمال سوريا هي (الرقة والحسكة ودير الزور))، والمحافظات الغربية في العراق (الأنبار وديالى وصلاح الدين ونينوى)، ومن تغيير للحدود التي رسمتها تلك الاتفاقية بين سوريا والعراق.

كما رأى الاستاذ "خشانة" أنه برغم استعادة بعض المناطق والمدن من (داعش) فإن الانهيار السريع لحدود (سايكس بيكو) يؤكد أن المنطقة مقبلة لامحالة على خارطة جديدة لم تتبلور ملامحها بعد، خاصة بعد حركات النزوح والهجرة لملايين السوريين والعراقيين، كما أنه ليس واضحاً من هي القوى التي ستفرض الخارطة الجديدة التي سوف تسفر عنها نهاية الصراع، لا سيما أن الولايات المتحدة اختارت خط الانكفاء الاستراتيجي عن المنطقة وسط تنامي الدور الروسي وتعاظم النفوذ الايراني.

ليخلص من ثم، إلى ضرورة معاودة النظر في سياقات الحرب العالمية الأولى ونتائجها، بالعودة إلى الجذور، وإلى دوافع ذاك النزاع الكوني، وقراءته من مختلف زواياه القتالية والاستراتيجية والاقتصادية والانسانية بعيون عربية، بغية رصد تداعياته على مجمل البلاد العربية، إذ برغم وعود الاستقلال التي كيلت للعرب في مقابل وقوفهم إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى خرج العرب خالي الوفاض من تلك الوعود، بل رفض مؤتمر الصلح الاستماع إلى وفودهم، إلى ذلك فبقدر تهميش العرب وما فرض عليهم من تقاسم لأراضيهم بين القوى التي خرجت من الحرب منتصرة، فقد انساقت غالبية الكتابات التاريخية إلى تناول أحداث تلك الحقبة مع زاوية نظر القوى المنتصرة، عدا بعض الكتابات الموضوعية العربية والاجنبية القليلة، الأمر الذي يرفد ضرورة قراءتها من زاوية نظر عربية. تأسيساً على هذه الضرورة يعرض الاستاذ "خشانه" في المقدمة بعضاً من أهم المواضيع المثارة في الكتاب والمتناولة تفصيلاً من قبل

نخبة من الأكاديميين والمثقفين على امتداد فصوله التسعة.

حيث يشير إلى اختزال الرواية الرسمية دوافع الحرب العالمية الأولى في حادثة اغتيال ولي عهد الامبراطورية النمساوية - المجرية الأرشيدوق "فرنسوا فرديناند"، في سراييفو يوم 28 يونيو عام 1914م، وفقاً للقراءة الأوروبية لأسباب الحرب، والتي تتكرر في جميع كتب التاريخ تقريباً، ليطرح السؤال عن مدى دقة هذه القراءة، ويجيب في ذات السياق بإمكانية القول بكونها ليست بالضرورة دقيقة، إذ أن ثمة دوافع أخرى للحرب شهدها العالم العربي مع الاجتياح الايطالي لليبيا، والصراع الألماني الفرنسي- على المغرب الأقصى-، إضافة إلى ما تعرض له العرب في الشرق من خداع بريطانيا التي كانت في وقت تفاوضها مع الشريف حسين ووعودها له بتنصيبه ملكاً على كامل المنطقة العربية الواقعة تحت الاستعمار التركي، كانت تتفاوض سراً مع فرنسا وروسيا للسيطرة على نفس الرقعة واقتسامها، وهي المفاوضات التي كانت جادة فيها والتي اسفرت عن اتفاق (سايكس - بيكو)، والذي لم يحل فضحه على أيدي الروس بعد قيام الثورة البلشفية في عام 1917م من أن يجئ (وعد بلفور) كملحق وامتداد مباشر له.



وفي محاولة للتأسيس على الضرورة ذاتها تجيئ هذه المراجعة، محاولة للتركيز على بعض النقاط التي أثيرت وطرحت باستفاضة وتفصيل في الكتاب، وإبرازها، مثل الأسباب الحقيقية للحرب، والمعاناة التي تكبدها العرب جراء حرب لم يكونوا فيها إلا مفعولاً بهم، كما استحق (موقف الليبيين) في الحرب العالمية الأولى، الذي تناوله استاذ التاريخ المعاصر بجامعة صفاقس التونسية الدكتور "عبدالمجيد الجمل"، في الفصل السادس تحت عنوان (الوطنيون الليبيون والصراع بين دول التحالف ودول المحور) الاهتمام، ودعا إلى محاولة عرضه وإن باقتضاب .

في الفصل الأول: وفي (العراق خلال الحرب العالمية الأولى: الافتراق التاريخي)، يستهل الدكتور "سيار الجميل"؛ نقاشه بالإشارة إلى ما كانت عليه بريطانيا وفرنسا وألمانيا قبل مئة عام كقوى متنافسة، وإلى تفوق فرنسا وبريطانيا بمستعمراتهما المنتشرة في العالم، بمقابل بروز المانيا كقوة امبراطورية اتحادية تطمح إلى التمدد بمصالحها نحو الشرق وذلك بالتحالف مع العثمانيين، في وقت كان فيه العراق جزءاً من الامبراطورية العثمانية، لينطلق في شرح ضاف للظروف الداخلية في العراق ولما كان يعانيه من بؤس، ويشير إلى التوغلات الغربية في البعثات الآثارية والاستكشافية والتبشيرية ومن ضمنها البعثات البريطانية التي أنهكت العثمانيين الذين لم تفلح إصلاحاتهم الشكلية التي أخفقت في إخراج البلد من بؤسه وضعفه، ولا في علاج المجاعات والأوبئة والكوارث التي كان يعانيها، وتضمن استهلاله كذلك الحديث عن موقف العراقيين خصوصاً النخبة المثقفة من الشباب الذين درسوا في كليات اسطنبول العسكرية والمدنية إزاء الأوضاع في بلدهم.

ويشير إلى ما كشفت عنه وثائق جديدة، من أن ضرب التحالف العثماني الألماني والاستراتيجية الألمانية في الشرق الأوسط التي كانت تسعى للتمدد عبر مشروعها لخط سكة حديد برلين – بغداد، كان هدفاً متضمناً في تحركات البريطانيين باتجاه احتلال العراق، ليخلص بعد أن يشرح تلك الظروف ومجريات الاحداث ونتائجها، إلى الحديث عن الاضطرابات التي اجتاحت العراق بعد (مؤتمر فرساي) سنة 1919م، والمظاهرات الاحتجاجية ضد الاستعمار البريطاني ومخططاته، مما قاد إلى عقد مؤتمر في القاهرة عام 1920م ترأسه وزير المستعمرات البريطاني و"نستون تشرشل"، وحضره "برسي كوكس" الحاكم السياسي البريطاني في العراق والمستشارة البريطانية في العراق

"غروترود بل"، ومن الجانب العراقي حضره المارشال "جعفر العسكري"، وهو المؤتمر الذي خرج بفكرة تأسيس مملكة عراقية وترشيح "فيصل بن الحسين" ليكون ملكاً على العراق.

وفي بحث الدكتور "علي محافظة" (الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للحرب العالمية الأولى على فلسطين والاردن) الذي جاء في الفصل الثاني.

نقرأ عن موقف الفلسطينيين من الثورة العربية التي رأوا فيها أملاً، إذ كان ما لقيه الفلسطينيون من حقد "جمال باشا" وما تكبدوه من أرهابه، كافٍ لأن يدفع بهم إلى الترحيب بالثورة العربية والانضواء تحت لواءها بالانضمام إلى الجيش الشمالي الذي كان يقوده "فيصل بن الحسين."

وفي الفصل الثالث (بلاد الشام خلال الحرب العالمية الأولى)، يخلص الدكتور "سيار الجميل"، إلى أنه إذا كان العراق قد بقي موحداً إثر الحرب، فإن بلاد الشام قد قسمت إلى أربعة أوطان (سوريا ولبنان وفلسطين والاردن)، وأن الحرب العظمى الأولى كانت مفترق طرق صعبة أمام السوريين كلهم، فقد وقعوا بين زمنين صعبين، فهم قاسوا الأمرّين على أيدي الاتحاديين العثمانيين خصوصا في عهد "جمال باشا" من ناحية، وعانوا الهجمة الشرسة سواء البريطانية ومن ثم الفرنسية من ناحية أخرى، وتكللت المأساة بفقدان فلسطين التي تأسس فيها الكيان الصهيوني لاحقاً.

الفصل الربع جاء تحت عنوان (مصر- والحرب العالمية الأولى 1914 - 1918) للدكتور "علي عفيفي علي غازي ."

يمهد الباحث لموضوعه بالقول (رغم أنها الحرب العالمية الاولى لا تعدو أن تكون حرباً أهلية أوروبية، فإن أثرها قد امتد لكل العالم المعمور، وتعد أحد أعنف صراعات التاريخ الحديث، إذ بلغت خسائرها البشرية نحو ثمانية ملايين جندي وأكثر من ستة ملايين من المدنيين، وجرح وفُقد آخرون، كما خلفت خسائر اقتصادية ضخمة، وشكلت النهاية للأرستقراطيات والملكيات الأوروبية، ومهدت لتغيرات سياسية كبرى تمخضت عن ثورات انفجرت في العديد من الدول).

ثم يتحدث عن انضمام بريطانيا إلى الحرب إلى جانب فرنسا وروسيا يوم 4 اغسطس 1914، وإعلان الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء في 5 نوفمبر، مما فرض على العرب الرازحين تحت الاحتلال الاشتراك في الحرب، وقد اضطرت مصر- إلى ذلك بسبب وقوعها تحت الاحتلال

البريطاني، وكانت بريطانيا في مقدمة قوات الحلفاء المنخرطة في الحرب، والتي نظرت إلى مصر لأهميتها الاستراتيجية من حيث موقعها المتوسط، كما أنها يمكن أن تمد الجيوش البريطانية بالمؤن الغذائية، إضافة إلى أن قناة السويس تعد طريقاً حيوياً لبريطانيا سواء لإيصال الامدادات أو لتموين قواتها في الجبهة الغربية، ثم بعد جملة من الإجراءات التي يشرحها الباحث والوعود الكاذبة التي أطلقها البريطانيون بالحفاظ على استقلال مصر وحيادها، والتي مكنت بريطانيا من فرض كامل هيمنتها على مصر وإنهاء تبعيتها القانونية لتركيا، بدأ الانجليز يسفرون عن حقيقة موقفهم ففرض على المصريين تلبية المتطلبات العسكرية البريطانية، وأجبروا على المشاركة والتعاون مع الانجليز في الاعمال الإنشائية التي تخدم أغراض الحرب، وهو ما أورث المصريين نفوراً من الاسلوب البريطاني وهيأ الفرصة لحراكهم في ثورة 1919م .

فبالرغم من إعلان بريطانيا رسميا حياد مصر، فقد فرضت عليها أن تقدم أبناءها للقتال في صفوف الحلفاء، ويقدر عدد المصريين الذين فرض عليهم القتال إلى جانب بريطانيا بمليون ومئتي ألف جندي، في الوقت الذي كان فيه تعداد المصريين 14 مليون نسمة، وجل أولئك الجنود من المصريين البسطاء الذين كانوا جنوداً وعمالا وجمّالة، كما فُرض على العمال المصريين المشاركة في بناء التحصينات والجسور ومد أنابيب المياه والخطوط الحديدية عبر الصحراء وحمل الأثقال على ظهورهم، وحفر الآبار والخنادق في العديد من الأماكن، ولم يكتف البريطانيون بتسخير المصريين للعمل في بلادهم بل استخدموا أكثر من ثمانية آلاف منهم في العراق، كما أرسل عشرة آلاف من العمال والفلاحين المصريين إلى ميادين القتال في الجبهة في فرنسا، وسقط منهم كثيرون حتى ما بعد انتهاء الحرب 1918م، ووري الكثيرون منهم التراب في فرنسا وايطاليا ومالطا واليونان، وتعرض العمال المصريون لمتاعب ومشقات كبيرة في ميادين القتال، وامعاناً في الكذب أعلنت بريطانيا أن جمع هؤلاء العمال يتم بطريق الاختيار والتطوع، ولذلك تمت تسميتهم بالمتطوعين، فوق ذلك استولت السلطات البريطانية على الدواب التي كانت تحتاجها فلم تُبق جملا ولا حماراً صالحاً للعمل إلا استولت عليه بأبخس الاثمان، وصادرت الحاصلات الزراعية والحبوب والمؤن وعلف المواشي، وفرضت على كل مركز إداري في مصر مقداراً معيناً من الحبوب يورده للجيش بأسعار بخسة، ومع تطور الحرب استخدم الانجليز اسلوب التجنيد

الاجباري، مما ضاعف من سوء أحوال البسطاء من العمال والفلاحين، استخدم البريطانيون إلى أقصى حد إمكانيات مصر المادية والبشرية، ووضعت السلطة العسكرية البريطانية يدها على الموانئ المصرية، وكل وسائل النقل والصناعة والزراعة، وتم تنظيم الاقتصاد المصري وفق خطوط جديدة تخدم العجلة الحربية البريطانية، واتخذت اجراءات سريعة لتوفير الغذاء للقوات البريطانية التي ترابط في مصر، والتي بلغ تعدادها 275 الف رجل.

وكان لكل هذه الممارسات الاستعمارية من جانب البريطانيين أن تؤثر في المجتمع المصري وفي ثقافته ومواقفه السياسية والفكرية، وفي مواقف المصريين بجميع فئاتهم من الاستعمار بمختلف وجوهه وتسمياته ومن حكامهم وسياسييهم ومن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وبدأت مصر تعرف افكاراً وتوجهات لم تكن معروفة قبل الحرب مثل العلمانية والاشتراكية والقومية والشعور بالهوية والانتماء الوطني .

الفصل الخامس تضمن بحثاً للدكتور "أحمد إبراهيم أبوالشوك" بعنوان (الحرب العالمية الأولى وتداعياتها في السودان: مقاربة تحليلية).

لفت الباحث في بداية بحثه النظر إلى أن حادثة اغتيال ولي عهد النمسا لم تكن إلا الشرارة التي أعلنت اندلاع الحرب العالمية الأولى التي ارتكزت على مسببات أخرى عديدة (منها سباق التسلح الأوروبي لتقوية النفوذ الاستعماري في آسيا وافريقيا، والصراع التوسعي في إقليم البلقان، والتحالفات السياسية والعسكرية في أوروبا، التي تحولت إلى صدام عسكري بين الحلفاء أو الوفاق الثلاثي بريطانيا وفرنسا والامبراطورية الروسية، وقوى المركز الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية، المجرية والخلافة العثمانية والمملكة البلغارية، وبموجب هذه التطورات دخلت بريطانيا الحرب في 4 أغسطس 1914م، وأعلنت الخلافة العثمانية انضمامها إلى جانب المانيا في 2 نوفمبر 1914م، ليعقد دخولها المشهد للحلفاء لإعطائه الحرب بعداً دينياً خفيا ارتبط بمشاعر المسلمين تجاه الخلافة العثمانية، علماً بأن معظم الدول ذات الوجود الاسلامي كانت تخضع سياسياً لسيطرة بريطانيا.

وكان رد بريطانيا المباشر على ذلك فرضها الوصاية على مصر وعزل الخديوي "عباس حلمي" باشا الذي أعلن انضمامه للدولة العثمانية ثم تعيين الامير "حسين كامل" باشاً سلطانا على مصر ولكسب

تأييد الشعوب الخاضعة لنفوذ العثمانيين وعدت بريطانيا وفرنسا بمنح تلك الشعوب حق تقرير مصيرها بعد انتهاء الحرب، وكان لهذه التطورات والوعود مجتمعة انعكاساتها السياسية على السودان الانجليزي - المصري (1898 - 1956م)، الذي كان ينتمي صورياً إلى الخلافة العثمانية) .

ويتواصل البحث من خلال عرض لمواقف القوى السياسية السودانية من الحرب العالمية الأولى والأطراف الفاعلة فيها، وللحسابات والدوافع الكامنة في خلفية تلك المواقف، ومن أبرز النقاط التي يتاح التقاطها من سياق هذا الطرح هي التي تبرز حقيقة الموقف المخادع الذي كان للإنجليز إزاء آمال وطموحات العرب في أن يكون لهم كيانهم الخاص والمستقل عن بقية الكيانات الأخرى، وهي الآمال والطموحات التي انحازوا بسببها إلى بريطانيا، فموقف السيد "علي الميرغني" الذي كان حليفاً استراتيجياً لإدارة الحكم الثنائي في السودان، الذي وظفت الحكومة شبكة علاقاته الدينية والاجتماعية لتعزيز النفوذ البريطاني في مواجهة التأثير العثماني، كان باتجاه إقامة دولة عربية مستقلة عن تركيا يكون مركزها في الحجاز، وهو المشروع الذي اقترحه في رسالة بعث بها إلى ونجت باشا الحاكم العام في السودان الذي كانت له معه علاقة جيدة مثلما مع "الشريف حسين بن علي" واللورد "كتشنر" المندوب السامي البريطاني في القاهرة، وقد بعث ونجت مقترح السيد "الميرغني" إلى وزير الخارجية البريطاني "إدوارد جراي"، الذي استجاب إلى الاقتراح استجابة جزئية، وذلك حسب برقية بعث بها إلى "مكماهون" المندوب السامي البريطاني في القاهرة، أوضح فيها أن الحكومة البريطانية تكلف السيد "ونجت" بأن يعلن عن سياستها الخارجية المتمثلة في (إبقاء الجزيرة العربية، وما فيها من أماكن إسلامية، دولة مستقلة شرطاً أساسيا من شروط أي اتفاق سلام)، وذلك دون تحديد لحدود الدولة المقترحة، وأوضح أيضاً أن (مسألة الخلافة) من المسائل التي يجب أن يحسمها المسلمون انفسهم، دون تدخل من أي جهة غير إسلامية، وألمح إلى أن الأماكن الشيعية المقدسة ستعامل معاملة منفصلة. وقد كلف ونجت السيد "علي الميرغني" بنقل الرسالة إلى "الشريف حسين بن علي"، وزوده أيضاً بنسخة من الإعلان السياسي البريطاني الخاص بالجزيرة العربية .

ويلاحظ الباحث من خلال الاطلاع على مراسلات السيد "علي ميرغني" و"الشريف حسين" وما اتسمت به رسائل "الشريف

حسين" بالغموض وانعدام وضوح الرؤية، أن "الشريف حسين" لم يكن مطمئنا إلى السلطات البريطانية بشأن قضية الخلافة الاسلامية، ومنزعجاً من تراخيها في وضع حدود دولة الخلافة المقترحة، كما يخلص الباحث أيضا إلى أن السيد "علي الميرغني" و"الشريف حسين بن علي"، كانا يتفاعلان مع ظاهرة السياسة البريطانية، دون إدراك (منهما) للاستراتيجيات التي كانت تخطط في صالونات السياسة البريطانية بسرية تامة. والذي تجلى بعد ذلك بوضوح، فعندما كثر إلحاح "الميرغني" بشأن دولة الخلافة وتحديد حدودها ومعالمها، حاولت المخابرات البريطانية عزله تدريجيا عن موضوع الحجاج، بعد أن وضعته في موقف المعارض للوجود المصري في السودان، ويضيف الدكتور "أبوالشوك" (ولذلك نلحظ أن بريطانيا بعد الحرب مالت إلى دعم الشيخ "عبدالعزيز آل سعود"، حاكم نجد آنذاك، وبناء على ذلك أجبرت "الشريف حسين" وأفراد أسرته على مغادرة الحجاز والتوجه إلى الاردن، ممهدة الطريق لابن سعود ليُحكم قبضته على الحجاز ونجد وملحقاتهما، ثم يوحدهما تحت اسم المملكة العربية السعودية عام 1932م).

في بحثه (الوطنيون الليبيون والصراع بين دول التحالف ودول المحور) الذي جاء في، الفصل السادس. يتطرق الدكتور "عبدالمجيد الجمل" إلى تاريخ الجهاد الليبي من واقع التجاذبات التي أثرت على خيارات المجاهدين، وحددت مواقفهم من الطرفين الدوليين المنخرطين في الحرب العالمية الأولى، متحدثاً في البداية إلى ما كان لتلك الحرب من تداعيات خطيرة على المستعمرات الأوروبية في أفريقيا ومن بينها ليبيا التي لم تكن عند قيام الحرب في 1914م، قد خضعت بالكامل للاستعمار الإيطالي الذي بدأ غزوه لها ومحاولاته للهيمنة عليها من 1911م، وعما وفره انفجار الحرب من توفير إطار ملائم لتجذير نضال الليبيين ضد الاستعمار الإمبريالي الايطالي، وهو ما أبرزته الثورة التي انفجرت عام 1914م، في فزان وشملت كامل إقليم طرابلس، وتمكن الليبيون خلالها من تحقيق العديد من الانتصارات أبرزها (ملحمة القرضابية) في سرت يوم 29 أبريل 1915م، والتي يرى الباحث أنه قد تبلور من خلالها إطار جديد للنضال تمثل في (الوطنية الليبية)، إضافة إلى أن طرد الاستعمار الإيطالي من كامل فزان وأغلب مناطق إقليم طرابلس الغرب والمناطق الداخلية لبرقة حتى أصبح منحصراً في مناطق ساحلية محدودة بطرابلس والخمس وزوارة وبنغازي وبرقة وطبرق وسوسة.

وبعد شرح مسهب للظروف والتفاعلات التي اكتنفت تشكل الهوية الليبية، يخلص الدكتور "عبدالمجيد الجمل" في خاتمة بحثه إلى أن الحرب العالمية الأولى وفرت إطاراً ملائماً لتجذير النشاط الوطني بليبيا، خصوصاً مع اندلاع ثورة فزان في عام 1914م، التي كانت وراء انحسار الاستعمار الايطالي إلى مجال محدود في برقة وطرابلس، كما قادت إلى تبلور أسس جديدة للنضال الوطني، وهي القومية أو القوميات الليبية، كما يتطرق إلى مواقف الليبيين إزاء أطراف النزاع (دول التحالف ودول المحور) أثناء الحرب ليقول أنه اتسم في البداية بالتزام الحياد، كموقف معلن عبرت عنه بالخصوص الحركة السنوسية، والذي تواصل حتى إعلان السنوسيين بقيادة السيد "أحمد الشريف" الجهاد ضد الانجليز في مصر انطلاقاً من برقة، وتوسيع "خليفه بن عسكر" الحرب ضد فرنساً بمهاجمته لمواقع فرنسية في جنوب تونس، وقد ترتب عن تلك التطورات العديد من الانعكاسات السلبية، من بينها قيام تحالف إمبريالي ضد الحركة الوطنية الليبية، ضم كلاً من بريطانيا وإيطاليا وفرنسا، توصل إلى عقد اتفاقيات مع الحركة السنوسية أسهمت في انقسام كبير بين الليبيين، حيث أصبحت الحركة السنوسية بعد إزاحة "أحمد الشريف" وتولي "إدريس السنوسي" القيادة فيها تقف إلى جانب بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وخاضت حرباً ضد تركيا وحلفائها في طرابلس وطردتهم من برقة، لينقسم الليبيون إلى فريقين أحدهما في برقة بقيادة الحركة السنوسية، والآخر في طرابلس وفزان ويقف إلى جانب ألمانيا وتركيا، وقد استمر هذا الانقسام حتى نهاية الحرب، وتوقيع العثمانيين تحت وطأة الهزيمة (معاهدة مودروس) التي رفعوا بموجبها اليد عن ليبيا، الأمر الذي دعي الوطنيين الليبيين في طرابلس إلى إعلان الجمهورية الطرابلسية، التي وافق عليها البرلمان الإيطالي في 1 يونيو 1919م ومنحها قانوناً أساسياً مكنها من الحصول على حكم ذاتي، كما ظهرت في برقة بوادر حكم ذاتي تقوده الحركة السنوسية، وذلك من خلال اتفاقيتها 1917م مع إيطاليا وبريطانيا، وتدعم بتصويت البرلمان الإيطالي على قانونه الأساسي في 31 اكتوبر 1919م، وباتفاقية الرجمة بين "إدريس السنوسي" وإيطاليا التي اعترفت به أميراً.

ولم يستمر اعتراف الإيطاليين لليبيين بالحكم الذاتي، وتنكرت له في بداية 1922م، لتبدأ من ثم مرحلة جديدة من المقاومة كما أجبر "إدريس السنوسي" على الهجرة إلى مصر، والبقاء بها حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية لينضم إلى بريطانيا في حربها ضد ألمانيا وإيطاليا.

في الابحاث الثلاثة الأخيرة من الكتاب تركز البحث على الأوضاع في تونس والجزائر والمغرب خلال الحرب العالمية الأولى، وعلى المالات التي ساق إليها الاستعمار الفرنسي البلدان الثلاث، وذلك من زاوية المعاناة التي تكبدها أبناؤها الذين فرض عليهم القتال لحساب فرنسا واجبروا على ملء الفراغات التي تركها الفرنسيون المجندين للقتال في الجبهات، في مصانع الأسلحة فيها وغيرها، وكذلك في المزارع .

يشير "فيصل الشريف"، في بحثه (مشاركة التونسيين في الحرب العالمية الأولى)، في الفصل السابع، إلى أن تونس قد غدت بعد الاحتلال الفرنسي خاضعة لقانون التجنيد الفرنسي، والذي يفرض قضاء ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية الإجبارية لكل من بلغ التاسعة عشر، وكان يعتبر هارباً من الخدمة كل من بلغ الثالثة والثلاثين ولم يتقدم إلى التجنيد ويعاقب بالسجن، أما من يهرب خلال فترة الخدمة فقد تبلغ عقوبته خمس سنوات سجناً، كما قدمت الحوافز المادية والمعنوية للتوانسة لإغرائهم بالانضمام إلى الجيش الفرنسي مما أغرى بعضهم بدافع الحاجة والبؤس المعيشي ودفعهم إلى الانضمام مرغمين. وأرسل المجندون بعد تلقيهم التدريب العسكري إلى جبهات القتال وشاركوا في القتال على عديد الجبهات، في ارتوا على الحدود البلجيكية وفي فردان وشامباني وهورتويز وأميان وسواسون وكامبياني، وقد خسر التونسيون في تلك المعارك وفقاً للإحصاءات الرسمية الفرنسية ما يقارب 16,509 رجالاً، دون احتساب الجرحى الذي يناهز عددهم نسبة ستة عشر بالمئة من جملة من ارسلوا للقتال، إضافة إلى 1000 عامل تونسي توفوا لأسباب صحية وأخرى عسكرية.

في الفصل الثامن (الجزائر والحرب العالمية الأولى) تكتب وهيبة قطوش: (لقد شارك الجزائريون بالآلاف في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، ولم يقتصر وجودهم على الجبهة الغربية فحسب، وإنما وُجدوا في الجبهة الشرقية أيضاً في ألبانيا وبيروت وبالقرب من قناة السويس) ورغم تضحياتهم (لم تتحمل فرنسا مسؤولياتها الأخلاقية في التعامل مع الجنود الجزائريين ولم تساو بينهم وبين الجنود الفرنسيين حتى في الموت، بل قذفت بهم في أدمى المعارك وأشدها ضراوة، وجعلتهم دروعاً بشرية واقية للجنود الفرنسيين تجابه أجسادهم الضعيفة -التي تقتات من الخبز الأسود اليابس والماء- القذائف الألمانية، وكانوا يتصدرون الصفوف الأولى مشكلين الجدار العازل بين الجنود الفرنسيين والجنود

الألمان، فكانت حصيلة قتلى وجرحى ومعطوبي هذه الحرب ثقيلة جداً منهم....)، ولم يتوقف القهر الاستعماري الفرنسي للجزائر عند استنزافها بشرياً والتضحية بأبنائها في حرب لا علاقة لهم بها، بل جاوزه إلى الاستنزاف الاقتصادي سواء بالسطو عنوة على منتجاتهم الزراعية وافتكاكها عنوة أو بقسرهم على العمل لحساب اقتصاد الحرب الفرنسي، حتى غرق الجزائريون في الفاقة والبؤس .

وفي سياق الحالة المغربية ومشاركة مواطنيها في المجهود الحربي الفرنسي، يشير الدكتور "محمد بكراوي"، في **الفصل الأخير من الكتاب، وهو بعنوان (مساهمة المغرب في المجهود الحربي الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى).**

يتناول الباحث موضوع التجنيد القسري للمغاربة وإرغامهم إلى قتال الألمان لحساب فرنسا وذلك مثلما كان الأمر في تونس والجزائر، وشرح الكيفية التي كان الفرنسيون يتبعونها في ذلك، كما أسهب في ذكر الخسائر التي تكبدها المغاربة في المعارك التي خاضوها دون إرادتهم، ليختم بحثه بالحديث عن الجوانب الايجابية لتلك المعاناة مجسدة في تنامي الوعي وحس الانتماء والوطنية لدى المغاربة، وما نتج عن ذلك من تطلعات تحررية ومن نضال للتخلص من قبضة الاستعمار البغيض وتحقيق استقلالهم الوطني، ولا تختلف تلك الجوانب الإيجابية عما حظي به التونسيون والجزائريون بعد طول معاناة.

معلومات عن الكتاب

العنوان: الطريق إلى سايكس-بيكو: الحرب العالمية الأولى بعيون عربية.
تأليف: مجموعة من الباحثين.
تحرير: رشيد خشانة.
الناشر: مركز الجزيرة للدراسات- الدار العربية للعلوم ناشرون.
التاريخ: مارس 2016.
المصدر: مركز الجزيرة للدراسات.

رشيد خشانة: إعلامي وباحث تونسي، ترأس عدة صحف تونسية وكتب في صحف ومجلات دولية من أبرزها (النهار العربي والدولي) و(الحياة) و(لوموند ديبلوماتيك) بين سمتي 2001 و2010م، عمل محرراً لقسم المغرب العربي في (التقرير الاستراتيجي السنوي) الصادر عن معهد العلاقات الدولية والاستراتيجية (IRIS) بباريس. نشر أبحاثاً عن المغرب العربي في المجلة الفصلية الصادر عن معهد أسبن الأمريكي في روما، ومجلة (Confluences mediterraneennes) وفي مؤسسة (المبادرة العربية للإصلاح، يعمل حالياً باحثاً في مركز الجزيرة للدراسات.

من قصائد الجهاد في توثيق الأحداث

سالم أبوالقاسم

كانت إيطاليا آخر الدول الأوروبية التي دخلت مجال التوسع الاستعماري، وكانت ليبيا عند نهاية القرن التاسع عشر، هي الجزء الوحيد من الوطن العربي في شمال أفريقيا الذي لم يتمكن الصليبيون الجدد من الاستيلاء عليه، ولقرب ليبيا من إيطاليا جعلها هدفاً رئيساً من أهداف السياسة الاستعمارية الإيطالية.

بدأت إيطاليا العزم على احتلال ليبيا فقامت بفتح المدارس في كل من بنغازى وطرابلس لتعلم اللغة الايطالية وارسلت الإرساليات التبشيريه للدين المسيحى، افتتحت فروعا لبنك روما وأصبحت القنصليه في مدينتى بنغازى وطرابلس مركزا للنشاط السياسى والدعاية الايطاليه والتجسس على أهل البلاد، ولم يصعب على إيطاليا اختلاق الذرائع الواهية لاحتلال ليبيا.

فى 27 سبتمبر 1911 م وجهت ايطاليا إنذاراً الى الدولة العثمانية تأخذ عليها فيه انها أهملت شان ليبيا واتهمتها بأنها تحرض الليبيين على الرعايا الايطاليين وتضطهدهم .وفى يوم 28 سبتمبر 1911 أقبل الموعد المحدد لانتهاء أجل الإندار. كانت السفن الحربيه الإيطاليه في مياه طرابلس. واعلنت الحرب على تركيا في 29 سبتمبر سنة 1911 م، وبدأت الحرب العثمانية الإيطالية واستطاعت الاستيلاء على طرابلس في 3 أكتوبر من السنة نفسها. وكانت القوات الايطاليه مؤلفة من 39 ألف جندي و6 آلاف حصان وألف سياره و نحو خمسين مدفع ميدان بدأ قصف مدينة طرابلس في الساعة الثالثة والنصف مساء يوم 3أكتوبر 1911 وأنزلت قوة من البحر عددها يقدر بنحو ألفين جندي وتم إحتلال مدينة طرابلس.ومن هنا بدأ المجاهدون حركتهم يحدوهم الايمان بالحق والدفاع عن

العرض والارض وكان عدد المتطوعين نحو 15000 ليبي وتحرك نواب البلاد وزعمائها في ضواحى مدينة طرابلس نحو معسكرات الجهاد ومنهم الشيخ "سليمان الباروني" نائب الجبل الغربي والشيخ" أحمد سيف النصر" من زعماء الجنوب والوسط .و السيد "أحمد الشريف السنوسي" في الشرق .وبرزت شخصية شيخ الشهداء "عمر المختار" فى برقه ورفاقه المجاهدين منهم الشهيد "عبدالقادر بيوسف بورحيل" والشهيد "الفضيل بوعمر بوحو الاوجلى".

قاومت القوات الليبية والعثمانية الإيطاليين لفترة قصيرة، ولكن تركيا تنازلت عن ليبيا لإيطاليا بمقتضى المعاهدة التي أبرمت بين الدولتين في 18 أكتوبر1912م معاهدة أوشي، وأدرك الليبيون الآن أن عليهم أن ينظموا صفوفهم ويتولوا بأنفسهم أمر المقاومة والجهاد ضد المستعمر، وقد اشتدت مقاومة الليبيين للقوات الإيطالية مما حال دون تجاوز سيطرة الإيطاليين المدن الساحلية، ولما دخلت إيطاليا الحرب العالمية الأولى 1915م حاولت تركيا استغلال الحركة السنوسيه التى كانت بقيادة السيد "أحمد الشريف السنوسى" فمارست تركيا عليه بعض الضغوط لما عرف عليه حبه للمسلمين واحترامه لدولة الخلافه فدخلت قوات الحركه في قتال مع القوات الإنجليزيه التى كانت في مصر فابتليت قوات الحركة بخسائر كبيره، و بعد هزيمة قواته تنازل عن الزعامة "الإدريس السنوسي" وقاد الجهاد نيابة عنه في المنطقة الشرقية المجاهد "عمر المختار". وفي المنطقة الغربية قاد الجهاد "سليمان باشا الباروني" ومجموعم من المجاهدين في منطقة طرابلس منهم السويحلي والمريض وسوف المحمودي وإعلان الجمهورية الطرابلسية ثم حكومة الاصلاح**(1)** .

وجدت ليبيا نفسها في خضم الصراع الدولي بين قوى البحر المتوسط ومحاولة النفوذ الخارجي فكانت **الحرب الإيطالية –التركية** أو كما يطلق عليها **الحرب الليبية** والتي تشير الي العمليات الحربية بين القوات الإيطالية و بين الدولة العثمانية ما بين 28 سبتمبر 1911 و 18 أكتوبر 1912 لاحتلال كل من طرابلس وبرقة .دفعت المطامح الاستعمارية الإيطالية أن تستولي على إقليمي طرابلس وبرقة العثمانيين . وفي الفترة التي قامت فيها الحرب، على الرغم من امتلاك الإمبراطور العثماني أسطول عصري، شعر بخطورة الموقف خوفا من فشل قواته أمام القوات الإيطالية .كان الجيش والطيران الجوي لم يملكا الأسلحة العصرية الحديثة .وفي نفس الوقت لم يكن لدى اسطنبول القدرة ترسل

التعزيزات لأقاليم ما وراء البحار.الحرب شكلت خطوة مهمة نحو الحرب العالمية الأولى، فلقد قامت ببعث النزعة الوطنية لدي المواطنين، كذلك نجح الإيطاليون بهزيمة الأتراك العثمانيون، في أن يشعلوا النزعة الوطنية في البلقان ضد العثمانيين . الأمر الذي أدى إلى إعلان البلقانيين الحرب على الدولة العثمانية قبل انتهاء حربها مع إيطاليا.الحرب الإيطالية – التركية تعد مسرح كبير شهد من خلاله التقدم التكنولوجيا التي استخدم في العمليات العسكرية وخاصة العمليات الجوية .في 23 أكتوبر 1911 حلق الطيار الايطالي "كابتن كارلو ماريا بياتزا" فوق الخطوط الجوية التركية في مهمة استكشاف، و في 1 نوفمبر قامت القوات الإيطالية بإسقاط قنبلة "كبيرة مثل البرتقالة" عن طريق الجو على القوات التركية في ليبيا مما أدي إلى مصرع عدد كبير من الأتراك(2) .

وفي 10 أكتوبر نزل 20 ألف من القوات الإيطالية إلى البر ولقد تم الاستيلاء بسهولة على كل من) طبرق – درنة – الخمس (بينما لم تنجح في الاستيلاء على بنغازي .تعرضت القوات الإيطالية في 23 أكتوبر إلى مقاومة حقيقية من قبل الأتراك وذلك عندما أحاط بهم مجموعة من الفرسان العرب في مدينة طرابلس الذين كانوا مدعمين من بعض الوحدات التركية .

انتهت معركة طبرق 22 نوفمبر 1911 بانتصار الأتراك بقيادة مصطفى كمال . وصفت الصحف الإيطالية الهجوم بأنها مظاهرة) ثورة بسيطة (إلي أنها قضت تقريبا على جانب كبير من الهيكل الإيطالي ,نتيجة للأحداث الأخيرة قامت القوات الإيطالية بتوسيع عدد قواتها إلى 100ألف لمواجهة 20 ألف عربي و 8 آلاف تركي غير مسلحين بأسلحة عصرية . ولقد تحولت المعركة إلي حرب جوية وحرب مواقع(3) .

وقد قاوم الليبيون ببسالة منقطعة النظير عدوا غاصبا يتفوق عليهم في العتاد والعدة كما أجلى نصف السكان عن مواطنهم وصودرت مواشيهم وتعرضوا لجميع انواع القهر واصناف العذاب ، وكان العديد منهم يموتون في المعتقلات التي تعد جرائم حرب تركتب لأول مرة ببمثل هذه الوحشية لجماعات عزلاء تضم النساء والأطفال والشيوخ ، كانت أيضا جريمة تجنيد الليبيين للمشاركة في حروب ايطاليا في الحرب العالمية الأولى في الصومال وغيرها من الدول التي واجهتها مع حلفائها ، وقد وثق الشعر الشعبي الليبي هذه الأحداث وواكبها حيث لم يكن إلا هذه الوسيلة المتاحة التي خلدت الموقف وأبرزت الجريمة ، ولعلنا نستعرض نماذج قليلة من هذه الملاحم والقصائد التي نطق بها لسان الحال وكان

أصحابها مشاركين فعليا في أحداثها ،، ولعل أشهر ما وصل إلينا قصيدة الشاعر الشعبي "رجب بوحويش" التي يقول فيها:

مابي مرض غير دار العقيله .. وحبس
القبيله .. وبعد الجبا من بلاد الوصيله
مابي مرض غير حد النكاد .. وشوية الزاد
..وريحة اللي مجبرة بالسواد
الحمرة اللي وين صار العناد .. عناتها
طويله .. لها وصف ما عاد تاجد مثيله
مابي مرض غير واجد مرايف .. والحال
صايف .. على عكرمة والعدم والسقايف
وحومة لفاوات عز العطايف .. حتى وهي
محيله .. تربي المهازيل جلة خويله
مرايف علي عكرمة والسراتي . . اللي هن
مناتي .. انشكرن ان طلتهن في حياتي
علي وين يخطرن ننسى اوقاتي .. دمعي
نهيله .. زواعب علي لحيتى سال سيله
مابي مرض غير مطرى الحرابي .. خيرة
أصحابي .. الضرابين والمكوعظ ينابي
ركابين كل حمرة دعابي .. الطايح تشيله
..نضيده رفاقاه قبلوا جميله
مابي مرض غير فقد الرجال .. وفنية
المال .. وحبسة نساوينا والعيال
والفارس اللي يقدع المال .. نهاره جفيله
..طايع لهم كيف طوع الحليله
طايع لهم كيف طوع الوليه .. إن كانت
خطيه .. نرمي الطاعة صباح وعشيه
نشيل في الوسخ والمويه .. معيشة ذليله
..مفيت ربنا يفزع يفك الوحيله(4)

أما الشاعر فاطمة بن عثمان والتي رأت أهلها وإخوتها معلقين في ساحة المدينة تتدلى رقابهم من المشانق فقد صرخت بقصيدتها التي تقول فيها:

خرابين يا وطن ما فيك والي
وذيلك جوّالي
ولخرين فى المشنقة والقتالي
خرابين يا وطن ما فيك هل
ركبك الذلّ
اللي ما جلاء فى المشانق حصلْ
عدّوا ولا زول منهم وصلْ
وباتوا مدالي
مثيل العراجين في راس عالي
خرابين يا وطن ما فيك دايل
بجدّ الشغايل
وناسك غدوا من كلام السبايل
يا دمع لنظار تذرف وسايل
علي زول غالي
وعده حضر فى رقاق الحبالي
وعَدْه حضر ف امقاط البحر
في يوم زرّ
دولة العدوان همّ الكفر
صبرت يا خاطري ما صبر
زايد هبالي
نا بعدهم يا عرب ماطرالي
خرابين يا وطن ما فيك حد
حزنك مْجد
ومن ما عقبْ فيك غير اللمد (5)

أما عقب انتصار المجاهدين في معركة القاهرة التي كانت بمثابة الثأر للشهدأء بمعركة قارة محروقة التي استشهد فيها البطل قائدها محمد بن عبدالله البوسيفي والتي يقول فيها الشاعر "على بن عمر":

نهار قاهرة خلص نهار القارة
البراطيل فيها تعدهم بالحارة
بدينا عليهم هجمة
قبل الصلاة ردا ظهور النجمة
وعلى من مطلين يا عملنا قجمة
جاته ضرارى بالعدو كساره
كبير طاليا انصرمت عليه الحزمة
ولعبوا الضرارى بمريشة وخسارة
جوه ضرارى
ياخذين على زر العدو من ضارى
جوه فى سوارى , العون ليهم وارى
لفوه لفت طير لف حبارة
نهار قاهرة خلص نهار القارة
البراطيل فيها تعدهم بالحارة
خلص دين غابى دولة
خلص سى محمد قبل يوفى حولة
عطيناه ساعة كيف مانبولة
طبخناه طبخت قدر طايب فولة
قطعناه قطعة حبل من جراره
نهار قاهرة خلص نهار القارة(6)

أما الشاعر "حسين الحلافي" وهو يغادر دياره مهاجرا إلى ديار الغربة بعدما حكمت يد الجور والطغيان فيقول مخاطبا برقة:

ما فتنا برقة وجلينا
نين عطينا
فرسان عزيزين علينا
ما فتنا برقة معماره
للطليان وجيش انضيره
نين أوحلنا فى تياره
نمحوا لول ويجي غيره
فرسان لجيشه كساره
ما هابوا نار طوابيره
ما من يوم اتلهلب ناره
كيف البذر ايجي قزيره
كي يوم القرقف وبشاره
وبريقه وبلال وغيره
هدوفيه اللى دياره
غاروا علي الطليان مغيره
قسم عيون نظيف خضاره
مول الدور الفين ظفيره
وطني هذا هو مفعوله
غير انشد عنهم باريلا
غير الناس اللى فزعوله
منا فينا
كسرنا دينا بيدينا
ما فتنا برقة وجلينا
نين عطينا
فرسان عزيزين علينا(7).

1- https://ar.wikipedia.org/wiki/
2- https://www.marefa.org
3- المصدر السابق
4/5- معجم الشعر الشعبي
6/7- قصائد الجهاد مركز جهاد الليبيين1995

زمن الحرب هو دائما زمن القراءة

ترجمة: مريم سلامة

الأصل في هذا النص المترجم هو لقاء مصور مع الباحثة الخبيرة في أدب الحرب العالمية الأولى الروائي: كرستينا سبيتل, تشرح فيه اثر قصائد و روايات الحرب ودورها الكبير في خلق الذاكرة الشعبية للحرب. و هذا الشريط هو جزء من سلسلة محاضرات عن الحرب العالمية الأولى: الميراث والعبر, تقديم جامعة جنوب ويلز الجديدة مجمع كانبيرا- استراليا, تحت إشراف أستاذ التاريخ في هذه الجامعة جون كونر, في موقع التعليم المستقبلي الالكتروني, في مئوية نشوب الحرب العالمية الأولى أي في 2014. طرحت هذه المحاضرات سؤالا جديرا بأن نفكر فيه: وهو لماذا, على الرغم من الانتصار الحاسم على الهجوم الألماني, ترتبط الحرب في ذاكرتنا بالحرب التي لا معنى لها و لا جدوى منها.

الأدب في الحرب العالمية الأولى هو أدب الشعر أو هكذا هو على الأقل في ذهن رجل الشارع. لعل الرواية هي اللون الأدبي السائد في المدى البعيد و هي ألان من يتصدر المشهد الأدبي بما فيه الشعر, غير أن شعراء الحرب هم المنتج الرئيس لذلك الأدب.. أدب الحرب العالمية الأولى الذي بلور مفهوم شاعر الحرب. شاعر الحرب هو ذلك الجندي المحارب أو الذي يتكئ على رؤيته ,مخيلته و ذاكرته عند خندق في الجبهة الغربية في زمن الحرب العالمية الأولى و يكتب شعرا.. وهم شعراء قليلون وهذا الشعر قد لا يعكس إجمالي الإنتاج الشعري و لكنه يعكس مكانته في التاريخ الأدبي الذي يشتغل على كتابة قصة الانجاز الذي أحرزه الذين تخطوا حدود الشكل. و لهذا فان الناس الذين احتجوا على الحرب و استخدموا الشعر التقليدي هم في الأساس فجروا الشكل التقليدي بتجنب القافية أو بإتباع طريقة البيت

الأخير الفاصل كطريقة سيجفريد ساسون وهو شاعر تعمق في الشعر التهكمي.

من هؤلاء الشعراء سيجفريد ساسون, ويلفرد اوين, إسحاق روزينبرغ, ادموند بلدنين, روبرت قريفيز وكلهم بريطانيون حاربوا إلى جانب بريطانيا في الجبهة الغربية و غالبا ما نذكرهم أو نحيل إليهم في كتاباتنا كجزء من أدبهم المتحرر من الوهم أو السحر. لذا نحن ننظر إلى الشعر, إلى ما كتبه سيجفريد ساسون مثلا الذي قال واصفا شعره "قذائف الخندق تنطلق لتبدد ظلمة المكان". لذلك كان يمتلك حسا قويا بالاحتجاج كما كان شعره يذهب بعيدا في السخرية. ذلك لأنه حاول أن ينأى بشعره عن مفردات البطولة, الفروسية, الإقدام و الشجاعة التي قد يربطها الناس بذلك الصراع. و شدد على القول أن الموت في الجبهة كان اعتباطيا, و مقيتا جدا, و بلا معنى إلى حد بعيد. و ما كان بمقدور أي طرف أن يحرز تقدما في أية معركة, لأن هؤلاء الشعراء كانوا يؤمنون بأن من يقودهم في هذه المعارك هم الحمير. كان قادتهم أناس ليس لديهم أدنى فكرة عن حرب التصنيع الحديث الذي زاد في وتيرة الوحشية الناجمة عن هذه الحرب. لقد تم إرسالهم إلى حتفهم المحتوم. إن الشريحة الصغيرة من شعر الحرب التي نتذكرها تختلف عن الناتج الإجمالي العريض للشعر خلال سنوات الحرب .

كان الشعر في كل مكان في سنوات الحرب حتى أن صحيفة مثل لندن تايمز تنشر ما يقرب من مئة قصيدة أسبوعيا. كان الشعر يغطي أعمدة التأبين وفي ذكرى الراحلين و هو أيضا في البوم العائلة حيث يحاول البعض أن يجمع مادة تفلح في مواساتهم أو تبديد أحزانهم, أحزان الفقد. و هو موجود على شواهد القبور و في المذكرات اليومية التي يجمعها الجنود من مجلات الخنادق.

كان هناك الكثير من النتاج الشعري و لكن ما نتذكره هو قسم ضئيل جدا. وان الشاعر المثالي الذي لم يغب عن البال هو روبرت بروك الذي يقترن ذكره بقصيدته السونيت الثلاثية من مجموع سوناتاته وهي خمسة عن الحرب وكذلك شعراء آخرون لا نذكر من شعرهم إلا الذي يقع ما بين 1917/1916 وما يليها . و يبقى كتاب بول فسل - الحرب الكبرى و الذاكرة الحديثة- المعلم الرئيسي في الدراسات الأدبية في عن زمن الحرب العالمية الأولى, تم نشره في 1975 و منذ ذلك الحين, بيع منه 100,000 نسخة وهو ما يعد تتويجا رائعا لعمل في البحوث ألأدبية. كان فسل يكتب عن قلة قليلة من كتاب السير و الروايات و شعراء ارتبطت أسمائهم

بالحرب, و لكنه في الأساس لم يكن من سن هذا الميراث الأدبي فقد كان موجودا منذ منتصف الستينيات عندما كتب بيرنارد بيرقونزي أبطال الشفق و هو أيضا لديه هذا المفهوم عن البطولة المعدومة في خنادق الحرب. هنا نرى نوعا حديثا جديدا من الأدب الذي يعكس هذا الصراع و هذه العبثية . و هو أيضا تحديا للمفاهيم التقليدية للذكورة و للمفاهيم التقليدية للأدب أيضا فالحرب تحتاج إلى نوع مختلف من الكتابة و فسل سار على ذلك المنوال. فهو نظر إلى هؤلاء الكتاب البارزين و إلى عينة صغيرة من الكتاب الآخرين الذين أصبحوا منسيين بشكل كبير. لقد بحث عنهم في سجلات متحف الحرب الامبريالية في 1972. ما يميز كتاب فسل لغته البليغة جدا و هو أيضا كتاب يموج غضبا, كتبه جندي أمضى زمنا في خنادق الحرب في الجبهة الغربية. هذا الكتاب خطه من كان يعتقد أن فكرة أن الحرب العالمية الأولى هي الحرب التي من المفترض أن تنهي كل الحروب هي فكرة في منتهى السخرية. هو يعرف أن ذلك لم يكن صحيحا أبدا و لذلك كتب ما كتب من زاوية إدراك بعيدة النظر بعد وقوع الحدث, وفي نفس الوقت كان يكتب كجندي مشارك في الحرب.

عندما نفكر في نص أدبي فان الطريقة المجدية لتقسيمه في مجموعات مختلفة و مطامح مختلفة هو أن نفكر في أدب ما نسميه الأدب المرموق أو الرفيع الذي قد يكون بعض من أشعار ساسون وكذلك أوين و المذكرات التي كتبها ساسون و بلندين, ثم في المنتصف هناك الجزء المشوق جدا وهو ما نسميه الأدب المرموق الأوسط و هو الأدب الذي نستلهم منه معاني الجودة الأدبية و لكنه يسلك ممرا أوسطيا عندما يصل إلى خوض مسائل العبثية و اللامعنى.

إن احد أهم الروايات في نظري هي كل شيء هادئ في الجبهة الغربية للكاتب اريك ماريا ريماركو و هي في الأصل رواية ألمانية هامة و بقيت كذلك إلى يومنا هذا و هو ما يفسر أهميتها. لقد كتبها ريماركو في أعقاب الحرب. و نحن نعلم أن ريماركو نفسه كان جنديا في الحرب, وكما يحدث مع كثيرين من الكتاب الذين نربط أسمائهم بأدب الحرب نميل إلى تمييز هؤلاء الذين كان لهم هذه التجربة الجديدة. كان ريماركو في الجبهة الغربية1916 و 1917 ثم اخذ يفكر في هذه الرواية في 1917 و أنجزها 28/1927 و تم نشر الترجمة الانكليزية ما بين أواخر ابريل و أوائل مايو و كما أن كل شيء تحقق بسرعة نالت الرواية أيضا

حظها من سرعة الانتشار حول العالم. وان يكون هناك طبعة انكليزية يعني هذا أن صناع الفلم الأمريكيين سيكون بمقدورهم الاطلاع على الرواية و سرعان ما يدخلون في مفاوضات مع المؤلف و الناشر حول حقوق الفلم في الكتاب و هي لاشك الترجمة الانكليزية المحظوظة. و من قرأ الرواية يصل إلى نتيجة مفادها أنها ليست رواية ألمانية بمعنى الكلمة. ليس هناك إحالات عديدة إلى أصحاب البدل الرمادية مثلا, و لم يتم تسمية المدن التي جاء منها الجنود بتاتا, و كل الذي يدلنا على الهوية الألمانية لهؤلاء الجند هو أسمائهم. و كل ذلك كان في منتهى الروعة .

ثم هذه المجموعة المتكونة من كل شخص قد يكون أي شخص دون نظر إلى عرق, وهناك أيضا ملاحظات في مجرى الرواية عن كلية أو كونية هذه التجربة. ذلك هو بوب ومر وهو البطل الرئيسي و الحكاء و دائما ما يتكلم باسم الجمع مستعملا ضمير المتكلم (نحن) فهي تجربة جمعية . كانت رقابة الشتاين على الرواية شديدة فجعلوه يلغي كل ملاحظة سياسية أو من العيار الثقيل عن الوضع أو الدولة التي كتب فيها الرواية وهي جمهورية ويمار و هنا علينا أن لا ننسى أن هذا الواقع ناجم عن وجود مجتمع عسكري جدا و أن هناك الكثير من الجنود الذين لم يسلموا أسلحتهم و عادوا بها ولذلك وجدت الرواية نفسها في هذا الموقف العصيب و لذلك أيضا أعدها اليشتاين لهذا الموقف بأن حررها من التسييس و هو ما جعلها بشكل ما رواية غير محصورة في زمن, بل سرمدية. والصراع هنا صراع أجيال قد يكون أحيانا بين رجال ونساء, نساء لم يشاركن فيها و لم يستطعن استيعابها. و لكن هي رواية خالدة بالدرجة الأولى.

لم يلعب ريمارك أي دور كبير في ألمانيا قبل الثمانينيات و التسعينيات عندما عقد الألمان مؤتمرهم الأول. و كان مؤتمر جمع بين شرق ألمانيا و غربها. إن الكثير من زخم البحث و الدراسة عن هذا الأدب و فد إلى ألمانيا من دراسات دولية عن ريماركو. وهذا يعني أن الكثير من الدراسات التي كتبت عن ريماركو هي بالانكليزية وكتبها أمريكيون بالانكليزية, و ليس بالضرورة ألمانية .

في ألمانيا لم يحظى أدب الحرب العالمية الأولى بتلك المكانة و لا حتى ذلك المفهوم الذي عادة يرتبط مع أي منجز أدبي يستحق الدراسة, و يعود السبب في ذلك أن هذا الأدب في ألمانيا قد انزوى وراء ظلال الحرب العالمية الثانية و ما صاحب ذلك من صعوبات الكتابة حوله. و هناك أيضا أمر أخر يخص ريماركو علينا أن نفكر

فيه وهو انه كان ألمانيا شديد المراس للألمانيتين بعد الحرب العالمية الثانية. و لذلك نزع منه حق المواطنة في 1938 عندما اتهم بشكل أساسي انه غير ألماني وانه أساء إلى ذكرى جنود ألمانيا في الحرب العالمية الأولى . ولذلك غادر ألمانيا في حينها و نفى نفسه إلى سويسرا ومن ثم إلى أمريكا و لم يتم إرجاع جنسيته الألمانية إليه أبدا.

نشرت رواية كل شيء هادئ في الجبهة الغربية في ألمانيا الغربية في منتصف الخمسينيات و لم يسع الألمان الاقتراب من الرواية حتى منتصف السبعينيات لأنها, على وجه الدقة, لم تكن عملا سياسيا كفاية. و لم تقدم لهم التحليل لما كان السبب الجذري لكل هذا و هو الرأسمالية الشريرة, كفاح الطبقة, وأشياء من هذا القبيل. و في منتصف السبعينيات, أرخى الوضع قبضته بما يكفي في ألمانيا الشرقية وكان ذلك الوقت ملائما لهذه الرواية. و لم يعد هناك حاجة لان تكون سياسية كما كان يفترض بها في الخمسينيات. وكان ذلك من سخرية الأقدار لريماركو نفسه. و طبعا ظل ريماركو معلقا هاما على التاريخ الألماني و الحياة الألمانية. و قد أهدى النسخة الانكليزية من روايته عن معسكرات الاعتقال إلى أخته التي قتلها النازيون, ذلك الإهداء الذي اختار الناشر الألماني الغربي أن يلغيه حتى تكون الرواية اقل جدلية . إذن كان ريماركو شخصية صعبة لكلتا الالمانيتن حتى بعد رحيل النازية.

و اليوم ننظر إلى رواية مثل رواية بريندا ووكر جناح الليل في وهي رواية استرالية نشرت في أوائل 2000 حول الجبهة الداخلية الاسترالية, و عن تجربة الحزن نرى أنها رواية تم تقديمها كتاريخ في مواجهة الحرب .كما لو أنها تعطينا جانبا منسيا من الحرب.. وهذا أمر صحيح. إن أولى الروايات التي كتبت في زمن الحرب هي كلها روايات الجبهة الداخلية في استراليا فقد تعاملت مع حقائق من مثل هل كان ضروريا للاستراليين أن يمضوا إلى الجبهة ؟ ما هي اللحظات التي دعتهم للذهاب؟ يبدو في إحدى الروايات ,مثلا, أن غوص لويستانيا هي هذه اللحظة, عندما يقول رجل مصرفي يكفي هذا. علينا أن نذهب للحرب ألان. و هكذا يتعاملون مع مسالة حزن الفقد. ماذا يحدث عندما لا يعلم احدهم أين يوجد قريبه الذي تم الإبلاغ عن فقدانه, كما كان الحال بالطبع مع الكثير من الاستراليين.و و هكذا يتعاملون مع مسالة الأعداء الغرباء و الجنود الألمان و الألمان المدنيين في الجبهة الداخلية.. كيف يفترض التصرف معهم ..الجواسيس الألمان .

اذن بطريقة ما هذه الروايات هي روايات تربطهم جميعا بإطار محلي و تجعل من الحرب في الجبهة الداخلية هي حرب استراليا فهي حرب يستطيع أن يشترك فيها النساء و الأطفال, و أن أولئك الرجال المتخلفين عن الحرب من الممكن أن يلعبوا دورا. و نحن نعلم من كتاب ذلك الزمن كيف رأوا أنفسهم. كان البعض منهم أباء مع أبنائهم في الحرب و هذه الروايات تهدى إليهم بالتالي. و ثمة روايات أخرى ساهمت في إنشاء صناديق لدعم جهود الحرب أو للجنود الفاقدين بصرهم عند عودتهم. وهذا شيء تغير بشكل شديد في الفترة ما بين الحربين. عندما عاد الجنود إلى استراليا صرحوا بأن لهم الفخر بمكانهم في الاحتفالات التذكارية. والذين فقدوا بعض من ذويهم تم إنزالهم إلى الهامش و هذا بالضبط ما حدث في الروايات. نراهم أحيانا في ادوار ثانوية ولكن الشخصيات الرئيسة هم الرجال أنفسهم و أن مشهد الحدث هو في الجبهة الداخلية غالبا و ليس في موقعة غاليبولي. و هناك وراية أخرى من تلك الفترة هي رواية لحم في الدرع كتبها ليونارد مان. هذه الرواية كتبها جندي سابق في الحرب العالمية الأولى و ذلك أيضا معيار هام في فترة ما بين الحربين. وكان هناك هذا الإحساس و هو أن هؤلاء يكتبون عن تجربة أصيلة يفتقدها غيرهم و هم أيضا يكتبون قصصا لم يكتبها التاريخيون بالضرورة قصص رجال هم أفراد في مجموعاتهم الصغيرة في كتائبهم أو في شبكات البديل المؤقت.

في أوقات, تختفي الحرب العالمية الأولى من أفاقنا الثقافية لأن أحداث أخرى لها الأسبقية, و إذا فكرنا في الحرب العالمية الأولى فيما يتصل بفترة ازدهار النشر... نرى أنها لم تكن في العشرينيات و الثلاثينيات, كما يفترض كثير من الناس بل حدث أول ازدهار لنشر كتب الحرب في فترة الحرب نفسها . ففي فترة ما بين الحربين 1929/1928 نرى ازدهارا هاما في نشر كتب الحرب. حدث هذا عندما خرجت علينا كتب جديدة مثل رواية ريماركو كل شيء هادئ في الجبهة الغربية .

عندما بدأت ترجمة الكتب, و إعادة طبعها وكذلك إعادة نشرها. في الحالة الاسترالية الكتب التي تم نشرها خلال سنوات الحرب أصبحت منسية ألان, وهي في الأساس كتب مختلفة مع أبطال مختلفين هم الجنود في معاركهم أكثر من كونهم الناس العائدين إلى بيوتهم. وان بعض هذه الكتب أعيد طباعتها ثانية خلال الحرب العالمية الثانية, و هو الوقت الذي ظهرت فيه الحاجة إلى حشد الناس مرة أخرى. وهنا طبعا ظهر للناس فرصة أخرى للقراءة. زمن الحرب هو دائما زمن للقراءة. مثلما يحتاج الناس إلى إمضاء الوقت

بـالقراءة, مثلمـا يحتـاج أسرى الحـرب إلى كتب ترسل إليهم من اجل القراءة. و هذا ما حدث مع رواية ليو مان (لحم في الدرع) التي لـم يـرد انقـوس و روبرتسـن نشرها في 1932 ثـم تحصلـت عـلى فرصـة للنشر و صـدر منهـا 25000 نسـخة حـتى يـتم إرسـالها لـلأسرى و غـيرهم مـن ذوي الـبزة الرسمية .

لاقـت منشـورات الحـرب العالميـة الأولى رواجا مع اقتراب عقد التسعينيات. عندما ظهــرت في بريطانيــا روايــة سيباســتين فولكس تغريد العصافير و هي علامة فارقة ليس بالضرورة في التاريخ الأدبي. لا اعتقد أنهـا روايـة عظيمـة و لكنهـا الروايـة الـتي بالفعل أحيت المشهدية, و هي الرواية التي أعــادت الشــعراء إلى الصــدارة و بالفعــل اسـتمر ذلـك إلى حـد ألان. و اعتقـد ثمـة ذروة أخــرى تتشــكل في هــذه اللحظــات للروايات الصادرة مع حلول المئوية .

إن أهم الأشياء التي يتوجب علينا فهمها, في تصوري, هو أن مفاهيم الأهمية تتغير.. فـهي أعمـال مترابطـة ثقافيـا و لـديها مـن الإمكانات مما تنجزه مع قيمنا أكثر بكثير مما يتعلق برواية بعينها. و هنا يبرز الشاعر البريطــاني جــون اوكســينهام, الــذي بــاع ملايين النسخ خلال سنوات الحرب و ما بين الحربين, كمثال مهم يسترعى انتباهنا.

و لـذلك حـتى بعـد كارثـة معركـة السـوم في غـرة يوليـه, لـم تنـدفع الجمـاهير العريضـة تلقائيـا إلى شـعر سـيجريد ساسـون الـذي يشــجب عبثيــة الحــرب.. أي الجانــب الـتهكمي جـدا مـن هـذا الصراع, و لكـنهم لجئوا إلى الشعر الذي يجدون فيه ما يروح عنهم, الذي يبعث فيهم المواساة و القدرة على لملمة الجراح والمضي قدما .

و في شـعر اوكسـينهام عـلى سـبيل المثـال يوجـد بعـض المواربـات الدينيـة, و لكنـه شـعر حقـيقي. و كـذلك شـعر روبـرت بـروك الـذي لازال يحقـق مبيعـات جيـدة جـدا في فـترة مـا بـين الحـربين. لـذلك فالتصـور بـأن هذه المعتقدات قد تم تجاوزها عند نقطة معينة من الزمن هو أمر نحن حقا بحاجة إلى إعـادة التفكـير فيـه و الـتروي في الحكـم عليه.

أرشيف ليبيا والحرب العالمية الأولى

خلال الفترة من 19-22 مارس في العام 2015، كانت ليبيا ضمن لقاء عالمي نظم بتركيا، بإشراف المديرية العامة للأرشيف، التابع لرئاسة الوزارة التركية، وبمشاركة 50 أرشيفاً عالمياً.

هذا الحدث يأتي ضمن الاحتفال بمرور 100 عام على بداية الحرب العالمية الأولى، ويأتي تحت عنوان (وثائق الحرب العالمية الأولى) في الأرشيفات العالمية.



شاركت ليبيا في هذا الحدث العالمي، من خلال المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، حيث قام بإعداد مادة أرشيفية، تنوعت في مصادرها، وكانت بالشكل التالي:

1. ما دونه السنوسيون حول الحرب العالمية الأولى.

2. مراسلات المجاهدين حول الحرب العالمية الأولى.
3. الوثائق الأهلية حول الحرب العالمية الأولى.
4. الوثائق العثمانية حول الحرب العالمية الأولى.
5. الوثائق الايطالية حول الحرب العالمية الأولى.
6. الوثائق البريطانية حول الحرب العالمية الأولى.
7. الوثائق الفرنسية حول الحرب العالمية الأولى.
8. الوثائق الألمانية حول الحرب العالمية الأولى.
9. الرواية الشفوية حول الحرب العالمية الأولى.
10. أرشيف الصور حول الحرب العالمية الأولى.

هذا التنوع في المادة المصدرية عن الحرب العالمية الأولى أعطى الأرشيف الليبي خصوصية إيجابية عبّر العديد من الحاضرين عن إعجابهم بها والرغبة في الاستفادة منها وتوجيه الباحثين نحوها .

ولاشك أن هذا الاعجاب بتنوع المصادر مع وحدة الموضوع هو تزكية مهمة لجهد الزملاء الباحثين والعاملين بالمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية الذي لم يزد عمره القانوني عن سنتين، إشارة للقانون 24 سنة 2012 الصادر عن المجلس الوطني الانتقالي في مارس سنة 2012، والذي ضبط ولأول مرة في تاريخ ليبيا، الاطار القانوني والإداري الشامل للمحفوظات الليبية أي الأرشيف الليبي.

ومن المهم التنبيه إلى أن العثمانيين، بعد مجيئهم لليبيا في منتصف القرن السادس عشر، باشروا في حفظ سجلاتهم الرسمية عن ليبيا محلياً وفي العاصمة اسطنبول. ورغم ضياع كثير من المحفوظات على يد الجنود الايطاليين سنة 1911م إلا أنهم تداركوا الموقف وجمعوا ما بقى من السجلات العثمانية ووضعوها في السرايا الحمراء وأصدروا سنة 1928م قانوناً خاصاً بالأرشيف الليبي. في الفترات التاريخية اللاحقة انتاب الأرشيف إهمال أتى على الكثير من محتوياته وحتى لوائحه ونظمه الإدارية إلى أن صدر القانون 24 لسنة 2012م.

المقدمة:

عند قيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م كانت البلاد الليبية تحت النفوذ الإيطالي تقريباً وبما أن إيطاليا كانت طرفاً في تلك الحرب مع فرنسا وبريطانيا ضد ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية الطرف الثاني في تلك الحرب فإن الدولة العثمانية

رأت ضرب القوات الإنجليزية في مصر من خلال الحدود الشرقية الليبية المتاخمة لها وفيما يلي استعراض لمواقف الجهات الفاعلة في ليبيا وقتها استناداً إلى الوثائق الموجودة بالأرشيف الليبي.

1- ما دوّنه السنوسيون فيما يتعلق بالحرب العالمية الأولى:

يتوفر لدى المركز مجموعة من الوثائق العربية مدونة بخط اليد من بعض القادة السنوسيين من أمثال أحمد السيد الشريف والسيد محمد إدريس السنوسي وغيرهما. وهي عبارة عن مراسلات بين تلك القيادات وبعض القادة المسئولين في الدولة العثمانية مثل أنور باشا ومصطفى كمال أتاتورك، كما تحتوي تلك الوثائق على المراسلات التي بين أحمد الشريف و الجنرال ماكسويل . القائد العام للجيش البريطاني في مصر.. و تلك الوثائق تعطي لنا صورة عن الدور الذي لعبته الحركة السنوسية في ليبيا في أثناء الحرب العالمية الأولى وأهمها:

أ. فتح جبهة قتال في منطقة السلوم بقيادة أحمد الشريف كنوع من الضغط على بريطانيا من خلال مهاجمتها في مصر.

ب. يتضح من تلك الوثائق أن قادة الحركة السنوسية رأوا في تلك الحرب فرصة لطرد إيطاليا من الأرض الليبية.

ج. يتبين من تلك الوثائق أن الساسة البريطانيين في مصر طلبوا من أحمد الشريف ألا يسمح للمعسكرات التي أقامها كل من محمد عون سوف وسليمان الباروني، وقد وافق السيد أحمد الشريف على ذلك وطلب من سليمان الباروني إنزال الراية العثمانية المرفوعة على تلك المعسكرات.

2- مراسلات بين المجاهدين الليبيين:

يوجد الكثير من المراسلات والوثائق بين بعض قيادات المجاهدين تشير إلى الاهتمام بموضوع الحرب العالمية الأولى. وتعطي لنا فكرة عامة عما كان يدور في البلاد الليبية من أحداث تصب في نهاية المطاف نحو فكرة التخلص من الاحتلال الإيطالي من خلال محاولة إرباك القيادة العسكرية في طرابلس والقيادة السياسية في روما. ورأى المجاهدون في هذه الحرب فرصة للاستفادة منها لصالح قضيتهم.

إن تلك الرسائل والوثائق المتبادلة بين القادة الليبيين مثل أحمد الشريف وحمد سيف النصر.وسليمان الباروني ومحمد صفى الدين السنوسى ورمضان السويحلي ومحمد عون سوف وغيرهم تشير إلى وجود تنسيق وتبادل معلومات عسكرية ومدنية لغرض دفع الأمور نحو التصعيد العسكري سواء في داخل البلاد الليبية أو خارجها،

ويتضح ذلك في المعارك ضد القوات الإيطالية في منطقة العجيلات الواقعة غرب مدينة طرابلس بين سنتي 1916 . 1917م، وما حدث فيما عرف بحملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر في نوفمبر 1915م والتي كانت عملية مشتركة للمجاهدين الليبيين والعثمانيين ضد الإنجليز هناك.

في نفس هذا السياق تشير رسالة أحمد الشريف المرسلة إلى الشيخ أبي بكر البصير أحد القادة في المنطقة الغربية من ليبيا بتاريخ 14 أغسطس 1914م إلى ذلك التنسيق بين القيادات إذ جاء فيها ما يلي:
(إننا كتبنا لكم بالقدوم لأجل الاجتماع قبل التوجه للجهة الشرقية..الخ).
إن الفكرة العامة التي يمكن ملاحظتها من خلال تلك الوثائق والمراسلات تظهر لنا أن المجاهدين الليبيين قد لبوا نداء الدفاع عن الأرض والعرض في بلادهم وسخروا جميع إمكانياتهم من أجل قضية وطنهم في شرق وغرب وجنوب وشمال البلاد الليبية.

3- الوثائق الأهلية:

فيما يخص فترة الحرب العالمية الأولى فإن هذه الوثائق تناولت تلك الفترة من خلال جهود بعض القادة الليبيين ودورهم في تلك الحرب على الأراضي الليبية ومحاولة التنسيق العسكري والسياسي مع الدولة العثمانية وأيضا الدولة الألمانية إذ نجد انه هناك عدة مراسلات بين أحمد الشريف وسليمان الباروني مع الدولتين المشار إليهما انفاً. وتفيد تلك المراسلات إلى محاولة تهيئة ليبيا لتكون جبهة قتال مساعدة وتعمل على تشتيت جهود بعض الأطراف المشاركة في الحرب وإرباك القادة السياسيين والعسكريين في تلك الدول. كما يلاحظ في تلك المراسلات طلب توفير مختلف أنواع الإمدادات، من سلاح وتموين واستعدادات عسكرية، خصوصا على الحدود الغربية والشرقية والجنوبية لليبيا.

4- الوثائق العثمانية:

تعتبر هذه الوثائق من أهم محتويات الأرشيف في المركز. وتبدأ من العهد القره مانلي وحتى نهاية الدولة العثمانية سنة 1924م، وتشمل كل ما له علاقة بتاريخ ليبيا الحديث والمعاصر وتحتوي على وثائق سياسية واقتصادية وإدارية واجتماعية و ثقافية وتقدر عدديا بأكثر من ربع مليون وثيقة محفوظة في (2500 علبه) أغلبها باللغتين العثمانية والعربية وبعضها بالتركية والعربية.

وحسب رأي الخبير التركى الأستاذ/ أبوبكر سوباتشي- الذي أشتغل عليها لبعض الوقت بطرابلس فأن هذه الوثائق مقسمة إلى:

1- السجلات المالية الخاصة بالضرائب والواردات والمصروفات وخزينة الولاية والخزينة العامة في استانبول وسجلات الإعانة والتحصيل وسجلات الطابو والسجلات الخاصة بالموانئ.

2- السجلات الإدارية المركزية الخاصة بالولاية مع الاقضية والسجلات الواردة والصادرة بين العاصمة والولاية وسجلات مجلس الإدارة والمحاسبة للولاية وسجلات الملخصات اليوميات وسجلات الأمور الخارجية وسجلات المواصلات.

3- سجلات المحاكم الشرعية وهي نوعان مدنية وتضم الميراث والعقود والتوكيلات والكفالات وسجلات القضايا العامة والبيع والشراء والسجلات الواردة والصادرة بين المشيخات الإسلامية. وأما السجلات الخاصة بالمحاكم المدنية هي المحكمة الابتدائية ومحكمة الاستئناف ومحكمة التميز والمحكمة التجارية وداخل هذه المحاكم توجد سجلات المدعي العام وسجلات الدعاوي والقرارات وسجلات التحقيقات والمساجين في القلاع والسجون وسجلات مراكز الشرطة والمدعي العام وقوائم الموقوفين وسجلات مداولات المحاكم وقراراتها وسجلات إيرادات المحاكم والتحقيقات.

4- السجلات الشخصية: وهذه بعضها مفرد وبعضها يشكل ملفا وبعضها يشكل سجلا، وهذا القسم يحتوي على وثائق الأمور المالية والتجارية والديون العمومية وأمور الطرق والمنازل وأمور البلدية والمالية والعدل والشرطة والقوروغلية والدينية أو المدنية والمخابرات العامة والأمور المحلية وعرض الحال ومضابط للدعاوي وأمور التعليم والتربية وبعض المشاريع والخرائط.

وبالنظر إلى أن الوثائق ليست مصنفة بالطريقة العلمية وأنها لم تكن محفوظة في ملفاتها بالصورة المتكاملة المتعارف عليها، فضلا عن أنها كتبت باللغة العثمانية، فإن البحث فيها غاية في الصعوبة والاستفادة منها تكاد تكون محدودة. إن هذه الوثائق تناولت الأوضاع السياسية في ليبيا وعلاقتها مع بقية بلدان العالم وكذلك دول الجوار وهي تشمل المراسلات والتقارير والبيانات والقرارات واللوائح والقوانين المتعلقة بالنشاطات السياسية لليبيين والعثمانيين والأجانب في ليبيا كما أنها تتناول الأوضاع الاقتصادية من تجارة بحرية وبرية داخلية وخارجية وكذلك الأسواق وأنواع السلع والتجار وطرق القوافل والقوانين الخاصة بالتجارة والمحاكم التجارية والتجار الأجانب.

وبعض تلك الوثائق تناول الأوضاع الاجتماعية في ليبيا من حيث السكان والقبائل والمدن والقرى والعادات

والتقاليد، وما يصب في هذه الخانة من معلومات حول الجوانب العدلية والقضائية وما يخصها من قوانين ومحاكم شرعية و مدنية وتوزيعها في كل التراب الليبي. وتوجد أيضا بتلك الوثائق معلومات عن الأوقاف والأعشار والمدارس و إحصاءات السكان والحيوانات والأشجار، وكذلك الضرائب.

كما توجد معلومات عن الصراعات القبلية والثورات ضد العثمانيين مثل ثورة عبد الجليل سيف النصر وغومة المحمودي والصراع البحري مع الدول الأوربية ومع الولايات المتحدة الأمريكية في عهد يوسف باشا القره مانلي..

وعلى العموم فهذا مختصر موجز عما لدى المركز من وثائق عثمانية والتي بالنظر لكثرتها يتعذر وضعها في تقرير واحد.

5- الوثائق الإيطالية:

أما يتعلق بفترة الحرب العالمية الأولى في الوثائق الإيطالية فإنها تناولت تلك الحرب في شكل تقارير عسكرية مقدمة من حكومة طرابلس الإيطالية، فيها رصد لتحركات المجاهدين وزعاماتهم واتصالاتهم مع بعضهم، ومع الخارج مثل الدولة العثمانية. وتوجد بها معلومات وتفاصيل عن تحركات القوات الإيطالية، وخوضها لمعارك في مناطق العجيلات وما حولها سنتي 1916 . 1917 م ومعارك وادى ماجد (ديسمبر 1915 م) ومعركة بوتونس (يناير سنة 1916م) ومعركة وداي مقتله (فبراير سنة 1916 م) ومعركة العقاقير(فبراير سنى 1916م) ومعركة بقبق (مارس سنة 1916 م) ومعركة السلّوم (مارس 1916) وغيرها من المعارك والاشتباكات. وتوجد معلومات عن دخول القوات الايطالية إلى منطقة الزاوية سنة 1918م وقيامها بمذابح جدايم وقمودة . هذا بالإضافة لوجود العديد من المراسلات السياسية بين حكومة المستعمرة في طرابلس والحكومة المركزية في روما، وأيضا بين الأخيرة وحكومات كل من باريس و لندن.

6- الوثائق البريطانية:

وثائق الحرب العالمية الأولى وهي وثائق ترصد تحركات الضباط العثمانيين بليبيا في أثناء تلك الحرب ومراقبة إمدادات السلاح فيما عرف بعمليات الغواصات الألمانية، وتهتم أيضا بالجانب السياسي، كما يتضح لنا من خلال المراسلات بين القادة الانجليز في مصر والقادة الليبيين.

7- الوثائق الفرنسية:

أما فيما يتعلق بالحرب العالمية الأولى فإن تلك الوثائق لا تعطي لنا الكثير من المعلومات عن تلك الحرب و تكاد تكون

قد أهملتها باستثناء القليل منها الذي يتمثل في تتبع تحركات الليبيين، سواء الموجودين في تشاد والنيجر ومالي وتونس والجزائر، أو سكان إقليم فزان المتاخم للوجود الفرنسي في تشاد والنيجر. ويمكننا القول أن المعلومات حول الحرب في تلك الوثائق لا تقدم ما يثير الاهتمام بهذا الموضوع.

8- الوثائق الألمانية:

أما ما يخص، تلك الحرب أي الفترة الواقعة بين سنتي 1914 1918م فنجد أن أكثرها يغلب عليه الطابع العسكري، إلى جانب القليل منها الذي يأخذ المنحى السياسي، ويمكن النظر إليها أو قراءتها في الشكل الآتي:

وثائق رئاسة الأركان وهي تتعلق برصد تحركات الطرف الثاني في الحرب بليبيا، وإمداد المجاهدين والضباط العثمانيين بالسلاح والتموين، فيما عرف بقضية الغواصات الألمانية التي كانت ترسو بميناء مصراتة .

وفي هذه النقطة نجد العديد من التقارير والمراسلات من قادة الغواصات يقدمونها إلى رئاسة الأركان الألمانية يوضحون فيها انتهاء المهام المكلفين بها وإيصال المواد المطلوبة إلى ليبيا. وكان الهدف من هذه العملية هو محاولة فتح جبهات قتال في غرب البلاد الليبية وشرقها من أجل تخفيف الضغط على جبهات القتال في أوروبا. و أغلب تلك الوثائق تأخذ الجانب العسكري العملي الفعلي.

وثائق وزارة الخارجية الألمانية: وتتعلق بالنشاط السياسي للخارجية الألمانية في فترة الحرب العالمية الأولى وأغلبها مراسلات بين وزارتي الخارجية في الدولتين الألمانية والعثمانية، وتتعلق برسم سياسة خارجية موحدة في مقابل النشاط السياسي للطرف الثاني في تلك الحرب.

وتشتمل على بعض التقارير والمراسلات المتبادلة بين وزارة الخارجية ورئاسة الأركان الألمانية تبين نشاط تلك الجهتين ودورهما في الحرب هناك.

9- الرواية الشفوية:

أما بخصوص الحرب العالمية الأولى فإن ما تناولته الرواية الشفوية كثير ويشمل كل ليبيا، وفي هذا المجال يمكن التركيز فقط بالتفاصيل التي أوردتها الرواية في العديد من المعارك ومنها معركة زاوية طيلمون 1915 ومعركة فروتن (1915/4/6م) ومعركة جنان بن نصيب (1916/8/16م) ومعركة الجديدة بالعجيلات (16 /1/ 1917م) ومعركة الشبيكه بالعجيلات (29 / 5/1917م) ومعركة صياد (25

/9/ 1917م) ومعركة الجميل (5/ 10 / 1918م) وغيرها من المعارك.

وقاد بعض هذه المعارك ضباط عثمانيون مثل نورى باشا وإسحاق باشا ومن ابرز القادة الليبيين احمد الشريف الذي قاد بعض المعارك على الحدود الشرقية ضد الانجليز بمصر.

10- أرشيف الصور:

يحتوي على عشرات الآلاف من الصور الفوتوغرافية لمختلف مظاهر الحياة في البلاد الليبية، ويتقسم إلى:

صور للمجاهدين الليبيين والعثمانيين والعرب والأفارقة: نذكر على سبيل المثال هنا صوراً لبعض الضباط العثمانيين مثل: مصطفى كمال اتاتورك وأنور باشا ورجب باشا ونشأت بك، ولبعض الزعماء الليبيين مثل: سليمان الباروني ومحمد فرحات الزاوي وعمر المختار وأحمد الشريف، وآخرين غيرهم مثل: عبد الله قجه من تشاد والسلطان آمودو محمد كاوصن من الطوارق... الخ.

صور لما ارتكبته إيطاليا من فظائع بشرية مثل القتل الجماعي سواء القتل رميا بالرصاص أو شنقا جماعيا أو فرديا...

وغيره من الفظائع الأخرى مثل النفي والسجن والمعتقلات والأسلاك الشائكة حول بعض المدن و الحدود.

صور للمدن و القرى و الواحات في مختلف الأراضي الليبية.

صور للمشاريع الاستيطانية الإيطالية في ليبيا: وتشمل المزارع والكنائس والمحلات التجارية والصناعية وغيرها من الإنشاءات العمرانية.

صور لبعض الشخصيات السياسية التاريخية.

إضافة لكل ذلك يوجد بهذا الأرشيف بعض الأشرطة الوثائقية لبعض المعارك التي جرت بليبيا خلال فترة الاحتلال الإيطالي أو أثناء الحرب العالمية الثانية وكذلك بعض المشاهد الهامة خلال العهد الملكي.

-هذه المادة نقلت بتصرف عن موقع المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية:
http://www.libsc.org.ly/mrkaz/index.php/2015-10-11-20-01-43/155-2013-04-07-11-42-17

فشل محاولات التنصير في ليبيا في ظل التسامح

أ.د. محمود أحمد الديك

تشير المراجع والمصادر اللاهوتية، أن انتشار المسيحية في منطقة شمال أفريقيا تم خلال القرون الثلاثة الأولى من ميلاد المسيح عليه السلام، حيث آمن به بعض أهل تلك المنطقة، وقد أسّسوا الكنائس في بعض المدن والقرى.

ولقد تعرّض المسيحيون في ليبيا كما في سائر أرجاء تلك المناطق الخاضعة للإمبراطورية الرومانية، لشتّى أنواع الاضطهاد والتعسف من قبل جبروت الرومان الوثنيين، الذين حاولوا أن يثنوا المؤمنين المسيحيين عن إيمانهم تحت أهوال التعذيب والقتل والتشريد.

واستمر الأمر على هذا النحو حتى استلام الإمبراطور قسطنطين الحكم في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (بيزنطة)، فأصدر الإمبراطور قراراً بالاعتراف بالمسيحية والتبشير بها وفق مبدأ التثليث في كل البقاع.

وبالرجوع لمصادر التاريخ القديم، فما من شك أن الفتن والحروب التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية، قد اثرت على مقاطعاتها في الشمال الأفريقي، خصوصا أثناء غزو الوندال الذين زحفوا من شمال أوربا، ووصلوا إلى مدن الشمال الأفريقي، وكانوا كلما مروا بمدينة أوقعوا فيها القتل والتخريب والحرق، حتى أطلق عليهم اسم البرابرة. وظلت المنطقة برمتها تشهد اضطرابات متواصلة، ولم تنعم بالسلام والأمن إلا بعد مجيء الفاتحين المسلمين يحملون معهم مشعل الحضارة الإسلامية

وما تضمنه من قيم إنسانية أخلاقية استطاعت تغيير خريطة منطقة حوض البحر المتوسط، وتأسست فيها علاقات جديدة بين المسلمين والمسيحيين، اتسمت بالتعاون والتجارة والتقارب والتعايش السلمي.

لكن فترة الحروب الصليبية التي يعتقد أنها قد انتهت في القرن الثاني عشر، قد أربكت تلك العلاقات ودخلت منطقة حوض المتوسط مرحلة عرفت بالحروب الصليبية، وقد استمرت منذ العصور الوسطى حتى مطلع القرن العشرين وهي مستمرة، وتتلون وتتشكل بعدة صور سواء بالحرب المعلنة أو الخفية، ولهذا كانت تخطط في هجومها على دار الإسلام ومعتقدات المسلمين، بما يناسب كل مرحلة تاريخية وما يترتب عنها من إثارة حفيظة المسلمين لتندلع الحرب بينهم.

وبعد ان تم طرد المسلمين من آخر معقل لهم في غرناطة سنة 1492م، باشر الأسبان على أثرها في ملاحقة مسلمي الأندلس الذين فروا لعدد من مدن الشمال الأفريقي، من بينها: المرسى الكبير، ووهران وبجاية، وطرابلس، ودرنه للقضاء على الوجود الإسلامي، ومحاولة إعادة النصرانية في هذه المناطق، ثم امتد زحف الأسبان لغزو مدينة طرابلس الغرب، التي سقطت في يد القائد الإسبان سنة 1510، بعد مقاومة عنيفة تصدى لها الأهالي، وارتكبت القوات الأسبانية مذبحة رهيبة راح على أثرها بضعة آلاف من السكان.

وهي خطوة وحلقة في سلسلة الحروب الصليبية وتمثل هذه المرة في التوسع الاسباني المسيحي في هذه المناطق ومسح الإسلام.

وكانت خطة الغزو تستهدف الاستيلاء على المراكز الساحلية المهمة ذات الطابع الجغرافي والإستراتيجي في الشمال الأفريقي، فقد تم طرد أو إبعاد معظم المسلمين نحو الصحراء وابعادهم عن مراكز العمران، بعد أن هدمت منازلهم وكذلك بعض المباني العامة، وتم تشييد طراز معماري يحمل معالم مسيحية في محاولة لإجثاث الرموز والأشكال الفنية الإسلامية، فتم بناء أربعة حصون اسبانية؛ أطلقت عليها أسماء:

(القديسة باربره)، و(القديس يعقوب)، و(القديس يوحنا)، و(القديس أنطوان)، وحولت أجمل قاعات السراي الحمراء بقلعة طرابلس، إلى كنيسة أطلق عليها اسم كنيسة "القديس ليونارد"، وعمل الأسبان على استجلاب أكبر عدد من المسيحيين من الدول الأوربية، ليعمروا أو يستوطنوا هذه المناطق. ونظراً لانشغال اسبانيا في حروبها في أوربا وخاصة مع فرنسا، اضطرت إلى التنازل عن طرابلس

سنة 1530إلى فرسان مالطا، وهؤلاء يعرفون بفرسان القديس (مالطا) يوحنا، وهولاء هم اشد حقداً على المسلمين من غيرهم من المسيحيين نظراً لإشتراك اجدادهم في الحروب الصليبية.

فالحملة لم تكن إسبانية محضة، بل كانت ضمن برنامج أو حملة أوروبية واسعة النطاق استظلت بغطاء وحماية الدعاية المسيحية، فمجرد ان سقطت مدينة طرابلس عمت مباهج الفرح في أوربا عامة، وتم تبادل عبارات التهاني بين ملوك اوربا بهذا النصر على المسلمين، واعتبروه نقطة هامة في استئناف واستمرار المشروع الكبير في تحويل سكان الشمال الأفريقي إلى المسيحية.

وقد احتفلت روما لهذه المناسبة بإقامة صلاة الشكر، وقام نائب ملك صقلية بتخليد هذا النصر بصك ميدالية تذكارية أحياءاً وتكريماً لهذا الحدث. كما تقدم (الأستاذ الأكبر) لرودس إلى الملك فرديناند الذي ما أن علم بنبأ احتلال مدينة طرابلس حتى سارع بإرسال التهاني والتبريكات بالنصر ودعاه ليتقدم بحملاته حتى مصر لخدمة الرب .!!

وقد شهد البحر المتوسط تعاظم نشاط القرصنة أو النشاط البحري ويعرف عند المسلمين في بعض المراحل بالجهاد البحري. هذا النشاط كان يمارس من قبل البحارة المغاربة والأوروبيين، فلم يكن يعتمد على جنس أو وطن أو دين بعينه.

بل هي ممارسات فردية تحكمها مجموعة أو طائفة تنطلق من مصالح خاصة قد يراعها بعض الحكام هنا وهناك، وكانت عمليات تسوية افتكاك الأسرى من الجانبين، يناط بها القناصل والسفارات من كلا الطرفين، وقد تستغل المفاوضات من قبل رجال الدين المسيحيين حين يكلفوا بافتداء الأسرى المسيحيين، كمدخل لاستقرارهم والإقامة في مدينة طرابلس ليقيموا الكنائس للتعبد، بحكم التفاهم في العلاقات الدبلوماسية التي منحتهم اياها الامتيازات التي أبرمت منذ سنة 1536 بين فرنسا والدولة العثمانية.

ولقد كانت أوضاع المسلمين المعتقلين في سجون إيطاليا سيئة، حيث كانوا يتعرضوا للتعذيب بينما المسيحيون في سجون مدينة طرابلس، كانوا يتمتعون بالرعاية والحماية من الحكومات الإسلامية دون تميز بين الأجناس.

وقد جرت محاولات تجدد نشر النصرانية في إقليم بلدان المغرب تقريباً بحكم المناخ المتاح من التسامح مع الأديان، وأن القديس (مرقس الإنجيلي) وحسب التعبير المسيحي، أنه بكلمة الله بشر بالمسيحية

في قورينا بليبيا وفي أماكن أخرى عديدة من أفريقيا.

وفي البداية ركز المبشرون على مواساة المسترقين وتحويلهم للديانة المسيحية وتثبيت المترددين منهم ومن مدينة طرابلس بدأ المبشرون يتطلعون بنشاطهم نحو منطقة فزان تحت الحكم القرمانلي، ومن اجل الحصول على الدعم المادي والمعنوي، فقد اعترف الرهبان رسمياً بالحماية الفرنسية عليهم طواعية، واستطاعوا منذ ذلك الحين توسيع نشاطهم التبشيري في محاولة ليشمل السكان المحليين.

ولم يقتصر نشاط الإرسالية المسيحية في مدن الشمال الأفريقي، فقد ادعت جمعية الدعاية الدينية بأن شعوب النوبة التي تحدها أثيوبيا جنوباً وفزان غرباً في مسيس الحاجة لقساوسة يعلمونهم الدين المسيحي الذي كانوا يدينون به منذ أقدم العصور. فكتب لهؤلاء الرهبان لمعرفة مدى امكانية إرسال مبشرين إليهم عبر مدينة طرابلس، فتحرى هولاء الآباء الأمر بعناية قصوى فوجدوا في النهاية أن المبشرين يستطيعون دخول بلاد النوبة، عبر منطقة فزان إذا ما سافروا مع قافلة التجار التي تذهب كل عام من طرابلس إلى فزان. وأبلغوا رأيهم هذا إلى روما، وتطوع الأب فرانشيسكو السالمي للقيام بهذه المهمة المحفوفة بالمخاطر. لكن أحداث من الفوضى التي شهدتها مدينة طرابلس في نوفمبر 1672 افشلت المحاولة في إنجاز هذا المشروع. وفي يوليو سنة 1689، وصل إلى مدينة بنغازي الأب: أركانجيلو التابع للطائفة الفرنشسيكانية قادماً من مدينة البندقية (فينسيا) في مهمة دينية لتقديم التعاليم الدينية للمسيحيين المقيمين في مدينتي بنغازي ودرنة.

ومن خلال مراجعة معظم الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين ولاية طرابلس الغرب والدول الأوربية، كانت هي أقرب للشروط المجحفة والعقوبات منها لاتفاقيات متكافئة، فهي تخدم المصالح الأوربية بالدرجة الأولى، وفي كل اتفاقية نجد بنداً خاصاً يتعلق بمنح الحرية الدينية للمسيحيين، وأن لهم الحق في ممارسة معتقداتهم في الكنائس الخاصة بهم وتحديد العلاقة مع الديانات الأخرى.

وكان ملك فرنسا في كل اتفاقية تبرم مع حكومة طرابلس، يذكر بأنه حام لجميع الكاثوليك ويعتبرهم من رعاياه استناداً على مرجعية الامتيازات الأجنبية.

فهذه العلاقات المتميزة مع فرنسا منحت بعض قناصلها حظوة كبيرة في البلاط الطرابلسي، كما أهتم بعض القناصل

بتحسين وضع النصارى القاطنين بطرابلس وذلك بإنشاء مؤسسات دينية وتشجيعهم على الإقامة بطرابلس، ووجدوا في تحركهم كل الدعم المادي والمعنوي من حكوماتهم في باريس وكذلك من بابا الفاتيكان بروما.

وتشير المس توللي في كتابها (..جميل أن ينتقل المرء من الحالة التي يعيش فيها المسيحيون في آسيا الصغرى، إلى طرابلس، إذ يجد هنالك في الإمبراطورية، بعض المناطق التي يعيش فيه أبناء ديننا في دعة واطمئنان والتي نرى فيها كنيسة مهمة ترتفع وسط المدينة تشرف على كل ما يحيط بها.

فمسيحو طرابلس أحراراً تماماً. وربما ستكون هذه الكنيسة عند إكمالها أبرز بناء داخل القلعة)...

ويؤكد المؤرخ كونستزو برنيا، في استغرابه بين سلوك المسلمين المعادي للكفار وبين ما يجود به هذا الشعب من تسامح كبير في بلد يعرف بالتعصب العميق والتعلق بعقيدته، وكان العمل الديني في الكنائس والسجون منظماً بطريقة تدعو للإعجاب في ممارسة المسيحيين لطقوسهم بشكل حر.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر شهدت مدينة طرابلس إنشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية مثل المستشفيات والصيدليات والمدارس الأوربية، ومعظم العاملين في هذه المؤسسات هم من الرهبان والمبشرين، وكان هولاء يستغلون مهنة التطبيب والعلاج للمرض من المسيحيين وكذلك الفقراء من المسلمين مجاناً، وكان الرهبان يقرأون عليهم بعض المواعظ من الإنجيل سعياً في نشر المسيحية، ولكن دون جدوى فلم يكن من أبناء المسلمين من يعير اهتمام لتلك التراتيل والمواعظ بل كانوا يستهزؤن بها، وكانت الحكومة المركزية في اسطنبول تتابع بقلق نشاط المبشرين في هذه الولاية، وتطلب من الوالي التحقق الفوري والإبلاغ عمن ارتد من الأهالي المسلمين نتيجة التلقينات الواقعة من المبشرين، وجاء الرد أنه رغم النشاط المحموم للمبشرين فالرقابة مشددة على مثل هذه الأنشطة، التي لم يكن لها أي أثر على المسلمين، بسبب صلابة وعقيدة الأهالي وفطنة الحكام في كل المدن.

ونتيجة لتزايد عدد الجاليات الأوربية في مدن ولاية طرابلس الغرب، قام بعض النصارى في 29 يناير من سنة 1894 باستئجار منزل للعبادة ولتعليم أطفال الجالية الأوربية، لهذا ورد الأمر الصادر من والي ولاية طرابلس الغرب إلى متصرفية الخمس تفيد بمنع أي نشاط تبشيري أو

فتح اية كنيسة دون ترخيص من حاكم الولاية، مع ضرورة الإبلاغ عن برنامج وجدول الدروس للمدرسة الإيطالية بمدينة الخمس.

لقد كان للرحلات التي قام بها المغامرون الأوربيون إلى أفريقيا عبر مدينة طرابلس، أصداء واسعة لدى الحكومات والأوساط العلمية التي انتظمت في جمعيات ومؤسسات بحثية، وأن النجاحات المبدئية التي حققها بعض الرحالة، دفعت رجال الساسة الأوروبيين إلى تشجيع استمرار تلك الرحلات ودعمها بكل الوسائل. وقد تقمص هولاء الرحالة شخصيات مثل التجار والأطباء ورجال الدين في محاولة لتحقيق أهدافهم التبشيرية.

وفي سنة 1867، كان المدبر الرسولي الراهب انجيلو لعدة سنوات يتحدث عن وجوب تأسيس إرسالية نصرانية في دواخل طرابلس نحو فزان لمعرفة مدى إمكانية إنشاء محطة إرسالية وظيفتها تسهيل العلاقات مع الإرساليات التي سيتم إنشاؤها في السودان وطلب الدعم والحماية من قنصل الفرنسي لنشر الدين المسيحي. غير أن الباشا أكد للقنصل أن مسألة التبشير في بلد مسلم، بأنها محاولة حمقى مصيرها الفشل.

وتأكيدا لذلك سمح الباشا للراهب بالتوجه إلى فزان دون أية معارضة، حيث تجول في فزان وحين عاد تحدث عن حسن الاستقبال والترحيب الذي حظي به طوال إقامته، لكنه لم يحقق أي نجاح يذكر في مهمته التبشيرية.

هذه المحاولة شجعت منظمة الآباء البيض على تجديد المحاولة سنة1878 ووصل إلى غدامس ثلاثة من المبشرين حيث بقوا فيها عدة أشهر، وكان من بيهم الأب ريتشارد طبيباً يعالج المرضى من الأهالى مجاناً في محاولة لكسب ودهم، وأستطاع فعلاً أن يبعد الشبهة عنه فهو يتقن العربية ومستوعب الكثير من العادات المحلية. فقرر ألاباء البيض الثلاثة مواصلة الرحلة إلى غات وما أن ابتعدوا عن غدامس بخمس ساعات حتى قتلوا جميعاً.

وأثناء وصول الرحالة (فون باري) الألماني إلى مدينة غات سنة 1876، ذكر أنه لم يلمس أي أثر للتعصب الديني ويطمئن المسحيين الرحالة في مدينة طرابلس، وأكد لهم بأن كل شيء هادئ في المدينة. لكنه يذكر من ناحية أخرى أن أدعى الإسلام وكان يذهب إلى الجامع، ويقول أن هذا الادعاء يعزز من احترام الشيوخ الطوارق له.

ويذكر الرحالة كوبر أثناء مشاهداته لتسامح المسلمين إزاء أعياد المسيحيين في مدينة طرابلس، أن المسيحيين كانوا يستخدمون الألعاب النارية في هذه المناسبة. ويطلقون مدافع المورتار كل ساعة تحية للعيد من ثمانية عشر أو عشرين مدفعاً في الميدان.

ويقول أين هو التعصب ؟ وهل سنسمح نحن في انجلترا برقصة الأشباح يقوم بها الهنود الحمر أو باستعراض للمرابطين في أوسع ميادينا؟ وأشار أن في هذه المدينة وخلال عيد الفصح لأن الكاثوليك يحولون المدينة إلى شعلة ملتهبة بالألعاب.

وحينما كان الرحالة الفرنسي (ماستيول) يزور مدينة طرابلس ويتفقد المؤسسات الأوربية من مدارس وكنائس ومستوصفات، وكانت تشرف عليها منظمة الفرنشيسكان وبتحظى دعم مادي ومعنوي من قبل فرنسا متمثلة في قناصلها الذين كانوا مشغولين بحمايتها. يقول الرحالة أن بعض المسيحيين طلبوا منه التدخل بجلب عدد من الأجراس لتقرع في صوامع الكنائس، وقد وعدهم بذلك لكون فرنسا تعد حامية مسيحي المشرق، ولم يدخر جهداً عند عودته لباريس ان يتوسط عن المونسينيير دو جيركو مدير البيوت في الأقاليم التركية بطلب احضار أجراس لتسمع بصليلها اصوات المؤذنين الحادة على الصوامع لكي تعم الفرحة الرهبان واتباع المسيح.

ومن المؤكد أن بنك روما في ايطاليا كان الداعم الفعلي لعملية التغلغل لسياسة التمهيد قُبَيْلَ الاحتلال وكان مباركاً من قبل الكنيسة ومدعوماً من أموال الفاتيكان. وهذا يؤكد أن الغزو الإيطالي اضحى يتمتع بغطاء وبمباركة دينية مسيحية، وقد أيده عدد كبير من الأساقفة والكهنة، ومن الطبيعي أن تحاول الحكومة الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من التأييد الكنسي، وذلك من أجل إثارة التعصب الديني لدى جنودها والحصول منهم على قدر أكثر من رفع روح المعنوية والقدرة القتالية.

وقد أقيمت الصلوات وتعالت الأصوات في عدد من كنائس في المدن الايطالية لإيقاظ شعلة روح الحرب الدينية، وقام الوعاظ بدورهم في خطب مفعمة بالحماس والتحريض على القتال، وكانوا يُعَلِمُونَ الجنود الأناشيد والأهازيج الدينية المثيرة في الحرب.

وفي كاتدرائية بيزا العظيمة أقيمت الصلاة يوم الحادي عشر من أكتوبر سنة 1911م لكتيبة المشاة الثانية والعشرين التي رحلت إلى طرابلس، وفي ختام الصلاة وجه أسقف بيزا كلمة إلى الجنود، وأشار إلى الإعلام التي غنمها الجمهوريون في بيزا في

العصور الوسطى من العرب والتي تعود للحروب الصليبية، والتي ترفرف حالياً على جدران الكاتدرائية، وعبر الأسقف عن أمله أن تعود الكتيبة الثانية والعشرين منتصرة وغانمة المزيد من الإعلام ، لكي تغطى "ايطاليا وطننا" بمجد جديد.

فمعظم الرهبان الكاثوليك كانوا لا يلومون أي تصرف غير أخلاقي يمارسه الجندي الإيطالي ضد المقاومين الليبيين، باعتبار أن هذه الحرب مقدسة صليبية ومستباح فيها دم وعرض العدو. فأغلب هولاء الجنود قد أجبروا لزيارة قدس الأقداس قبل أن يصعدوا إلى ظهر السفينة الحربية المتوجه القادم ايطاليا.

وكانت الأمهات تزود الجنود الشبان بميداليات دينية تحمل اسم وصورة الكهنة والقساوسة وتمائم يتبركون بها، لكي تحميهم من أعداءهم، وهولاء الجنود الجهلة بدينهم ولا توجد عندهم عقيدة، فكانوا يسخرون ضاحكين من هذه الهدايا الدينية. وأن جيش الحملة في طرابلس كان مزوداً بعدد من القساوسة الفرنشيسكان.

وحين بدأت البوارج الحربية الإيطالية تقصف الشواطئ الليبية، دخل الفزع والهلع في نفوس القناصل ومواطنيهم المسيحيين الذين فضلوا البقاء في حماية الشرطة العثمانية، وبالفعل ضرب المجاهدون الليبيين وقادتهم مثلاً أخلاقيا في حرصهم على حماية أرواح الرعايا الأوربيين، وعدم مسهم بأي آذى رغم القصف المدفعي الإيطالي المدمر، حتى أن القناصل الأوربيون في طرابلس أعلنوا في بيان رسمي، أوضح الأمر بجلاء للعالم بأن الحرب بين (الليبيين) وايطاليا فقط ، وليست بين أتباع المسيح وأتباع محمد. وفي المقابل حاولت الحكومة الايطالية أن تجعل جنودها يصدقون أن مغامرة طرابلس إنما هي حرب صليبية، وأن مهمتهم هي إعلاء كلمة الصليب في بلاد ملحدة حسب زعمه. وفي بداية المعارك حاول الجنرال (كانيفا) أن يعيد تجربة (نابليون بونابرت) حين غزا مصر سنة 1898، وقد أعلن أنه جاء لتحرير المصريين من نيروظلم الأتراك وقد وظف الآيات القرآنية في مشروعه ليجبر الأهالي للأمر على الاستسلام والقبول بالأمر الواقع الذي فرضه الله عليهم!!!. ولكن دون جدوى فالمقاومة الشعبية المصرية كانت الرد الحاسم على تلك الأكاذيب.

لم يتورع كانيفا في اختلاق الأكاذيب من خلال المنشور الذي وزعه على الأهالي مبيناً فيه هدفه من تحرير ليبيا من ظلم الأتراك، وأن ملك ايطاليا أمره بحماية الليبيين من المغتصبين من الأتراك أومن غيرهم، وكان حديثه عن ملك ايطاليا بأنه

(الملك العادل)، وليحفظه الله، ودعا الليبيين أن يصلوا في المساجد من أجل عظمة الشعب الإيطالي وعظمة مليكه الذي وضعهم تحت وصايته وحمايته ، وأنه يعدهم بأن يحكم بالكتاب والشريعة، ولم يتورع في استخدام بعض آيات القرآن الكريم في عباراته مثل قوله تعالى "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله"، وحاول أن يروج للعلم الإيطالي الذي سيرفرف على سماء ليبيا بأن اللون الأبيض يرمز للإيمان والأحمر للحب والأخضر للأمل. وكان من بين أهداف ايطاليا الاستعمارية منذ بداية نشاطها أن تغرس في نفوس رعاياها إخلاصهم لإيطاليا واحتراماً لحضارتها.

ولم يتأخر القوميون الإيطاليون في السير في موكب الدعاية في تأكيد النزعة الاستعمارية، وقاموا بدورهم على أكمل وجه حين بشروا بالحرب الصليبية في ليبيا، قاموا بمزيد من الحماس ولزمن أطول بالتبشير بالحرب التي تستعيد الأرض المسلوخة لإيطاليا، وإعادة مجد روما التليد، فيقول أعلى مبشر بهذا المذهب "سسبيو سيفيلي" في كتابه الأخير عن "القومية" التي ربطها بالعقيدة المسيحية ويعتبر احتلال هذه البلاد (ليبيا) ليس مجرد عاطفة ثابتة بل ضرورة وواجبا تفرضهما الحقوق التاريخية والمصالح الإقتصادية ووكل الإعتبارات الأخرى. وقد أدركت الحكومة الإيطالية من خلال التجربة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وما وجدته من مقاومة شديدة ارتكزت على المقوم الديني، وأن المساس بالدين الإسلامي بشكل مباشر سيثير شعور وحقد المسلمين عليهم في جميع اقاصي الدنيا، وبالتالي تم تحييده بل وضعت الدوائر الإيطالية سياسة تدعي فيها احترامها للشعائر الإسلامية، حتى تضمن ولاء وكسب ثقة بعض المشائخ والفقهاء الذين لهم تأثير على عامة المسلمين وطرحت فكرة تكوين مستعمرة إيطالية تدين بالإسلام حتى حين.!!

لكن الممارسات الفعلية للقوات الإيطالية ضد الأهالي كانت منافية تماماً لكل الدعاية التي نادي بها منشور كانيفا الذي تم توزيعه ونثرها عبر الطائرات، حين أدعى احترامه للمسلمين ومقدساتهم.

ومن بين مظاهر تحدي لشعور المسلمين من قبل الجنود الغزاة التعدي على حرمة المساجد في المناطق التي احتلوها، حين اقتحموا حرمتها وحول المآذن إلى أبراج مراقبة من قبل الجنود الطليان. ويذكر بعض الجنود بتبجح أن كيف أن المآذن التي كان ينطلق منها نداء المؤذن للصلاة الذي تم إسكاته أصبحت تسيطر عليها البنادق.

وقبيل الغزو الإيطالي لم يكن يجروء الأوربيون على الدخول المساجد، ولكن الحال تغير فيما بعد وصار الأوربي يدخل المسجد متى أراد، وفي المقابل أثناء قصف مدينة طرابلس في الثالث والرابع من شهر أكتوبر بقي الرهبان الفرنسيشكان وبعض الراهبات وعدد من مرضى المستشفى في المدينة، ولم يحدث أن ضايق المجاهدون أيا من هولاء، ولم تطأ أقدامهم الكنيسة كما يفعل الجنود الإيطاليون حين داسوا ودنسوا المساجد بسنابك الخيل نكاية في إهانة المسلمين.!!! وفي حديث بين المجاهدين و(جورج ريمون) حين كان يتجول في معسكرات المجاهدين. أكدوا له إن ما يشاع عن المسلمين من تعصب ما هو إلا كذب ومبالغة وبهتان، إذ لا وجود للتعصب لدى المسلمين، كما أنه ليس لديهم نية شن حرب صليبية ضد أهل الملل الأخرى. فالمجاهدون كانوا يدركون الدعايات المغرضة ضد المسلمين التي اعتاد بعض الصحفيون الغربيون على اجترارها جرياً وراء مادة صحفية لجرائدهم ومجلاتهم وإرضاء لأحقاد أعداء المسلمين في أوربا، أو إذكاء أحلام بعض الواهمين المخدوعين في البلاد نفسها. وقد طلب المجاهدون من الصحفي جورج ريمون أن لا يكتب أو يذكر (الحرب المقدسة) حتى لا يظن الأوربيون ويصدقون مثل هذه الأكاذيب. وفي سنة 1923. وعندما تمكنت القوات الإيطالية من حسم المعركة عسكرياً، باشر الحكام الإيطاليون في البناء المساكن وانشاء المزراع للمعمرين الذين تم جلبهم من مناطق جنوب إيطاليا، وكان للكنائس مكانة خاصة حيث شيدت في مواقع متميزة على سبيل المثال الكنسية في ميدان الجزائر كانت أشهر معلم ترى على مسافة بعيدة من البحر، وكذلك الحال الكنيسة في مدينة بنغازي فهي تشرف وتطل على البحر، وهي ذات دلالات تاريخية وعقائدية كي تطغى على المساجد، وهي محاولة لزرع وغرس المسيحية بكل الطرق.

ولكن تمسك الليبيون بعقيدتهم الإسلامية جعلهم أكثر قدرة على مقاومة حملات التبشير وإفشالها على مدى القرون الماضية، لكنهم لم يكونوا يعادون أصحاب الديانات (المسيحية واليهودية)، بل كان هؤلا ء يمارسون طقوسهم بكل حرية، وهذا دليل على تسامح الليبيين والتعايش مع الآخر المخالف لهم في العقيدة.

الفصول الأربعة تسأل:
لماذا عجز الأدباء والكتاب الليبيون عن تنظيم أنفسهم، وإعادة رابطتهم، وخلق صوت موحد لهم؟ وكيف هي السبل لتجاوز هذه الأزمة؟

استطلاع: خالد درويش

كثيرة هي المحاذير التي تستوقفني حال التعامل مع أدباءنا الكرام، ومثقفينا المبجلين ولكنني وبحكم عملي في عديد الملاحق الثقافية والصفحات الأدبية واحتكاكي المباشر بهم جعلني أستوعب تلك الحالة التي تحتاج مني إلي صبر وافر وكظم للغيظ كي تنجز الصفحات وتمتلئ السطور بإبداعاتهم المتألقة، فلويت عنقي وألقيت على عاتقي بمهمة أن أزورهم في بريدهم الإلكتروني وفيسهم وانستجرامهم وأن أبعثر خلواتهم برسالتي هذه التي حملت سؤالين اثنين عن عجز الأدباء والمثقفين في تنظيم أنفسهم ولم شتاتهم وتكوين وحدة لهم ومكان يجمعهم وصوت يعبر عنهم في اتحاد يصنعونه ويكون لهم اتحادا وقوة، منبر يطلون من خلاله

ولم أنس تلك التركة الثقيلة لرابطة الكتاب وما حدث بشأنها ومن خلالها ولها، وكانت جولات في هذا المجال لا مجال لذكرها، لكن مضى زمن النظام الجماهيري البديع منذ ثمان سنوات أي ولايتين اثنتين لرئيس أوروبي ومضى من كان يقف في طريق حرية الكتاب وإبداعاتهم ومؤلفاتهم وأفكارهم التترى ومؤلفاتهم البديعة وصوتهم الذي كان مبحوحا مجروحا مخنوقا، بعض من ارسلت لهم سؤال هذا

الاستطلاع تلكأ كثيرا ولم يرسل ردا ولعل المانع خيرا وأكثرهم جعل من الأستاذ "خليفة احواس" عقبة في سبيل مشاركته فوجوده غير شرعي على حد قولهم، واستحالة ان نكون في موقع يشغله ولست أدري لماذا صبروا عليه 8 سنوات، والبعض أحال الأمر إلى فبراير ونكبتها وأنها هي سبب البلاء والبعض اعتذر بمشاغله اليومية والبعض كتب لي: خرررررف أما رابطة وأما مثقفين. وأنا شخصيا أشاركه الرأي ولكنني مجبر على السير في الطريق حتى نهايته أي حتى يكون للمثقفين الليبيين (اتحادهم) وأعني: اتحاد الكتاب الليبيين.

لقد اتصلت بأكثر من أديب (وصل العدد إلى 56 مثقف وكاتب) يهمهم الشأن العام ومحسوبون على الثقافة ولكن من بين كل هؤلاء اهتم للموضوع 16 فقط ووصلتني إجاباتهم وردودهم المشكورة وأنا إذ أحييهم فإنني أعترف بفضلهم علي وجميل وصالهم الباذخ فها هي آراؤهم وتشخيصاتهم لموضوع الرابطة وموقف الكتاب وغيابهم وغياب الموقف والصوت. ويبقى الأمل مستمرا.

خالد نجم: أعتقد أن الكتاب انفصلوا عن الواقع بإرادتهم لترفعهم عن المشهد القائم و لصراع السياسي الذي أدى بالبلاد لما هي عليه، وبالتالي هم يَرَوْن أن دخلوهم في أي تجمع بِسْم الرابطة أو الاتحاد ربما يجرهم الي الانحياز السياسي و بتالي يتم الاصطفاف مع معسكر ضد معسكر لذلك اخذو خطوة للخلف احتسبت عليهم و كائنه موقف سلبي مما يحدث ويعتقدون ان دخلوهم في هذا الصراع حتى بالرأي ربما يشوه المشهد الثقافي والأدبي، رغم العديد من المحاولات للتجميع لبناء رابطة واتحاد ولكن عزوف الكثير أدى بيها الي توقف هذه المبادرات عند الاجماع عليها وأخذت موضع الشخصنة. أما بالنسبة لصناعة واقع جديد نحتاج الي إرادة فعلية لكسر حاجز السلبية والولوج الي الواقع المعاش ربما لتخفيف واقع هذا الصراع والمساهمة في لملمة الشتات وبناء اتحاد للكتاب قوي عليه الاجماع والتوافق ومبني على مشهد ثقافي حقيقي وفعلي بعيداً عن المزايدين والنفعيين.

عبدالله زاقوب: ليس خافياً على أحد المدى الذي وصلت إليه الأمور والوقائع، ومن ثم التداعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على الأرض، وما نجم عن ذلك من انشقاقات وصراعات مناطقية، أثرت بشكل ملحوظ على كافة المستويات، الأمر الذي حدا بمعظم الأدباء والكتاب إلى الناي بأنفسهم عن هذه الصراعات البلهاء والمميتة. وإن كنت

أرى غير هذا، فقد أعلنت ذلك ونشرته أكثر من مرة، على صفحات التواصل. وألخص ذلك في.. ضرورة التقاء الأدباء والكتاب لإشهار اتحادهم واختيار هيئته الإدارية.

جمعة عبدالعليم: بداية أعتقد أن الخطوة الأولى في إعادة تأهيل الرابطة هي التئام مؤتمر جامعا للأدباء والكتاب أكثر من مرة وفي أكثر من مدينة ويحبذ أن يكون ذلك على هامش مهرجان للشعر أو للقصة القصيرة أو للمسرح.. بحيث يمتزج العمل مع التنظير وتتبادل الآراء وتتحد الخطى لأجل مناخ أدبي موحد يحيل إلى مشهد وطني موحد فالأدباء أولى بقيادة أوطانهم نحو الوحدة والتطور والإنتاج ..

أما لماذا عجز الأدباء والكتاب الليبيين عن تنظيم أنفسهم وإعادة رابطتهم وخلق صوت موحد فأعتقد أن ذلك يعود للأسباب التالية:

أولا: حالة الفوضى التي نتجت عن أحداث 2011 وما تلاها من أحداث متلاحقة لم تزل مؤثرة سلبا في جميع نواحي الحياة.

ثانيا: الرقعة الجغرافية الواسعة وصعوبة التواصل..غياب التمويل وعجز الأدباء والكتاب عن توفير متطلبات حياتهم اليومية ناهيك عن السفر والتواصل والحوار..

ثالثا: سيطرة القوى العسكرية على الحياة السياسية والاجتماعية وتراجع أهمية المثقفين في مجتمع يدور فيه الحوار عبر فوهات البنادق..

رابعا: غياب المبادرات الجامعة للصوت الثقافي الليبي إذا استثنينا تجربة الشاعر "مطاوع" في تجربة شمس على نوافذ مغلقة. .وتجربة حواء القمودي في أنطولوجيا قصيدة النثر الليبية. .

خامسا سيطرة القوى الظلامية ومقاومتها لتيار التنوير والتضييق عليه.

إبراهيم الامام..: ربما اصطف الكتاب والأدباء في المشهد الراهن ما جعل من اجتماعهم لتكوين رؤية موحدة صعبا واجتماعهم امرا صعبا

الاجتماع ضرورة وليس من باب الترف.. الادب الذي لا يؤثر في الوعي الجمعي لا حاجة لنا به. .على الكتاب الاحتماع لوضع رؤية جديدة لدور المثقف والكاتب.

نوري عبدالدائم: ربما الإجابة على هذين السؤالين ..يكمن في عدم اجتماعهم..

فرج العربي: أخي الشاعر خالد درويش .. اقدر دائما حماسك واهتمامك وحرصك على مشاركة الجميع في الهم الثقافي الليبي الذي يجمعنا وكذلك الدعوة الكريمة للمشاركة في الاستطلاع حول وضع

الرابطة. .ويسعدني أن نتعاون معا ولكن نظرا لظروف خاصة اعتذر عن المشاركة ...مع تمنياتي لك وكل الزملاء بالتوفيق والنجاح ..أكرر شكري الجزيل مع تقديري واحترامي ومودتي دائما

عزة المقهور: بالنسبة للرابطة، طالما أن مجلة الفصول الاربعة قد بدأت العمل بقوة وثبات فإنني اقترح حلا عمليا وهو ان تجهز وترعى لمؤتمر يضم الكتاب والادباء الليبيين يخرج بلجنة تسييرية وبتوصيات لتنفيذها .الوضع الحالي والانقسام السياسي ليس عائقا وقد اعطتنا هون ومهرجانها الأمل .ناهيك عن ان التكنولوجيا رحيمة بنا رغم جغرافيتنا الشاسعة ضف الى ما ذكرت ان المتوقع هو دور للكتاب والادباء من الشباب عليهم ان يبادروا وان يجمعوا الاباء منا.

علينا ان لا نتوقع انفراجا في الوضع السياسي القائم الذي اصبح رهينة بالقرار الخارجي / الاجنبي والدولي .

علينا ان نحافظ على تماسكنا من خلال نسيجنا الداخلي واهم عقد هذا النسيج الادباء والكتاب الليبيين.

محمد المزوغي: كانت هناك رابطة أدباء وكتّاب وكانت هناك مجلة الفصول الأربعة ومجلة لا وكانت هناك مهرجانات؛ مهرجان المدينة الثقافي ومهرجان الحرّية للشعر العربي كان هناك الكثير من الأنشطة التي تقوم بها أو تشرف عليها رابطة الأدباء والكتّاب ثم تدخلت السياسة فأفسدت كل شيء اشُترطت شهادة الخلو من السوابق لإقصاء مجموعة بعينها تمّ التدخل في آلية عمل الرابطة وتنظيمها عُمِل بمبدأ الولاء فانهار كل شيء ووافق هذا هوىً في نفس الكاتب الليبي الذي يميل إلى العزلة والتواري بطبعه فتحولت الرابطة إلى مجرّد شكل لا مضمون حقيقي له كيف نتجاوز كل هذا وكيف نحاول النفخ مرّة أخرى في ما تبقى من رماد؟ أظنّ الوسيلة الوحيدة هي الحوار ثم الحوار ثم الحوار لا أحد يُقصى لا شلّة تستحوذ وتهيمن على كل شيء لا إدانات مسبقة الالتفات إلى المبدعين الشباب وإدخالهم في الخضم والأهم أن يكون في قلوبنا قبل كلماتنا شيء من الحب وقليل من النوايا الحسنة ورؤيا أبعد وقراءة جيدة للواقع المزري الذي نعيشه والذي يتطلب توحيد الجهود والتغاضي عن كثير من الحسابات الشخصية والحساسيات من أجل وطن هو بحاجة إلى كل أبنائه في محنته العظيمة هذه وبالأخص المثقف والأديب الذي ينبغي أن لا يطول غيابه.

جمعة الفاخري: أنا لا أرى خلافاتٍ بين الأدباء والكتاب الليبيين. .كل ما في الأمر هو كسلٍ طويلٍ، أو حالة من اللامبالاة

اعترت المعنيين بالأمر أقعدتهم عن القيام بمهامهم. .وبإمكانهم الآن إعادة تنظيم رابطتهم، ومواصلة العمل من أجل الحضور الأدبي الليبي تمثيلاً وإدارة فيك كلِّ المحافل. وبعد كلِّ هذا الوقت المهدور. .وخسارة التمثيل اللائق بليبيا وأدبائها، على الأدباء والكتاب الليبيين الشعور بالمسؤولية لتدارك ما فات. . وإصلاح الأخطاءِ. .واختيار الأفضل للقيام بمهام إنقاذ سفينة الرابطة المترنَّحة وسط موج الإهمال، وينبغي العمل على مستوى القاعدة باختيار ممثَّلي فروع الرابطة بكل مدينة، ومن ثمَّ اختيار الأمانة العامَّة. . دون محاصصة، وإنما بالنظر للخبرة والكفاءة. .وإعطاء الفرصة لوجوه جديدة يمكنها العمل المنجز خدمةً للمشهد الأدبي الليبيِّ.

فتحي نصيب: كيف السبيل الى تجاوز هذه الازمة؟

اولا أن يسعى الادباء أنفسهم الى اعادة تنظيم الرابطة وعدم التعويل على اية جهة رسمية وذلك من خلال جمع التبرعات او البحث عن جهة اهلية داعمة في البداية على الاقل.

ثانيا ان تعقد اجتماعات في كل المدن والمناطق التي يتواجد بها عدد من الكتاب وكذلك الكتاب الذين خارج البلد تمهيدا لعقد اجتماع عام موسع ينتخب اعضاء جدد لتسيير الرابطة.

ثالثا الاتفاق على اصدار ميثاق شرف للرابطة بحيث تكون اشبه بالنقابة التي تدافع عن الاعضاء وان تكون رابطة جامعة لا مفرقة سياسيا او جهويا وذلك بهدف أن يشعر الجميع بالانتماء الى جسم يمثلهم فعلا دون الارتباط بأية توجهات تعرقل عمل الكاتب.

رابعا إصدار بيان بشأن الترشيحات والايفاد الى المحافل والمناشط الخارجية أن تناط الى الرابطة هذه المهمة وليس الى وزارة الثقافة.

خامسا لتحقيق النقاط السابقة يتم الاتفاق على إصدار بيان عام يسجل به الكتاب والادباء ليكون قوة معنوية يمكن من خلاله ان تفرض الرابطة وجودها على ارض الواقع وتحقيق الامل بإعادتها الى الوجود

خالد المغربي: العجز سببه تناقضات المشهد العام سياسيا واجتماعيا ليس الأدباء فقط من عجزوا عن تنظيم أنفسهم هم جزء من فوضى الأمر الواقع التي حدث لسبب أو لآخر. .كل الشعب الليبي عجز عن تنظيم نفسه بسبب تناقضات ما حدث وهذه التناقضات تتمثل في الهوة

بين مطالب التغيير وآليات التغيير التي حدثت عام 2011.

إن الأدب رسالة سامية في مجملها ترتقي بالمستوى العام ولكي يرتقي الأدب بذائقة العامة لابد وأن يرتقي من يسمون أدباء إلى المستوى الحقيقي لمفهوم الأدب ألا وهو المصداقية التي هي أساس نجاح كل عمل، فقدان المصداقية في الرسالة الادبية عزز من تمكن تناقضات المشهد وتأثيرها السلبي على الأدباء مما جعل بعضهم يجد في الانسياق والاندماج في المشهد الليبي الجديد بهذه التناقضات إساءة لنفسه ولثوابته الوطنية الرافضة لآليات التغيير التي حدثت مهما حاول إقناع نفسه بضرورة التغيير يجد نفسه قد ألزم ببشاعة آليات وكيفية ذلك التغيير بالابتعاد مما جعل المشهد الأدبي بعد أن دخلت عليه أصوات جديدة اندمجت مع التغيير الجديد بعقلية ذات اتجاه واحد في سياق ذلك التغيير مسفهة كل ما كان قبله بل وحتى الشخصيات الادبية المخضرمة التي كانت مندمجة في المشهد العام للنظام السابق وكانت جزء منه تخطت كونها جزء من سلبيات المشهد قبل 2011 إذا جزمنا بسلبيته فهي قد كفّرت ما كانت أداة من أدوات الدعوة له وعندما تغيرت معطيات التغيير نحو الأسوأ اتخذت مسارا حياديا وتخلت عن دورها وعن رسالتها وعن أهمية مصداقيتها تجاه الواقع قناعة منها بأنها جزء لا يتجزأ من تناقضات المشهد وفشله العام وهنا يكمن العجز. .فمن عجزوا عن جعل رسالتهم الأدبية جزء مهما من تسيير دفة الأحداث لتكون الامور نحو كل ما يعزز دور الادب في التمسك بثوابت الامة أي ثوابت عظمة اللغة التي يصعدون من خلالها سلم الادب. .للأسف جعلوا هذه اللغة سلما يصعد به اعداء الامة على أمتهم..

الصديق بودوارة: كنت سعيداً بهذه السطور التي وصلتني عبر خاص الفيسبوك، وذلك لأني استشعرت فيها رائحة مطر قريب، مناخ رطب دافئ ربما سيخلق لنا بعضاً من ربيعٍ طالما تمنيناه وحلمنا به.

سعدت برسالة صديقي الشاعر " خالد درويش"، مبدع تلك القصيدة التي أيقظت فينا ذات يومٍ شعوراً رائعاً بالفخر، قصيدة "أنا الليبي متصل النشيد" ،التي سمعتها منه للمرة الأولى في معرض الكتاب الدولي في طرابلس وبالتحديد في فندق الواحات ذات سنةٍ لم أعد أعرف الآن كم مضى على مرورها من سنين.

حسناً، سأبدأ الآن في الاستجابة لهذه الغيمة المتخمة بمطر التواصل من جديد، وسوف أبدأ من السؤال الأول

مستمتعاً بالكتابة في مواضيع هي الأفضل والأروع من غيرها بطبيعة الحال.

(لماذا عجز الأدباء والكتاب الليبيون عن تنظيم انفسهم وإعادة رابطتهم وخلق صوت موحد لهم ولماذا لم يجتمع الأدباء الليبيون لتحديد مصير رابطتهم؟)

الجواب هنا مفخخ، تماماً مثل السؤال، فالأديب الليبي ليس كائناً هبط من المريخ لتوه، إنه ابن هذه البيئة، ووليد هذه الظروف، ونتاج هذه المحلية المغرقة في انغلاقها على حدودها القصوى من مساعد إلى رأس جدير.

وباستثناء الأدباء والكتاب المرتزقة، الذين اعتادوا تسول سفرياتهم وسهراتهم من هنا وهناك، من عاصمة قريبة أو أكثر بعداً عنها بقليل، ولا يهم الموقف، ولا يعني ماء الوجه، مادامت الاقامة مضمونة وماء الشراب وفير.

باستثناء هؤلاء، يظل الأديب الليبي داخل حدود الوطن رهينةً للوضع الداخلي المتأزم، هذا الوضع الذي انفجر فجأة على خلاف تؤججه خلافات الدول الأوربية التي لم تتفق بعد على حلٍ واحد بخصوص المشكلة الليبية، وبانتظار أن يتفق" الخواجات"، سوف يظل الداخل الليبي ملتهباً كجمرةٍ في موقد.

الأديب الليبي لا يستطيع أن يخرج من هذا القمقم يا سادة، إنه رهين محبسين، تماماً كما كان أبو العلاء المعري ذات يوم، فلا هو سياسي يملك أن يلون مواقفه ويستبدل ولاءاته كما ترغب الظروف، ولا هو مقاتل يمتلك سلاحه الذي يدفع به غائلة الاعتداء عن بدنه ورزقه وأسرته.

عن أي صوت موحد يتحدث السؤال؟ وقد أصبحت البلاد مقسمةً فعلياً إلى ثلاث دول؟ وإن لم يُعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، للشرق موقفه، وللغرب موانعه، وللجنوب معاناته مع الاجتياح والتدخل والعبث.

هذه هي الحقيقة التي لازلنا نكابر في الاعتراف بها، أننا لسنا دولةً واحدة أيها السادة، وهذه ليست دعوة للانفصال، بقدر ما هي قراءة للواقع.

وفي ظرف كهذا، كيف يمكن لما أن نتصور رابطة واحدة، وكيف يمكن أن نطلب من أدباء ليبيا أن يعلنوا موقفاً واحداً، قبل أن نتأكد من أنهم فعلاً على نفس الموقف؟

هذه المرحلة يا سادة تختلط فيها السياسة بالثقافة بالأدب، ومن اختار منا نحن الأدباء أن ينأى بنفسه عن إعلان موقفه، سوف يظل غريباً في منفاه، وسط ضجيجٍ ما آن له أن يصمت بعد.

ولكن، هل هذا كل شيء؟

سأفاجئكم الآن بأني لست متشائماً إلى هذا الحد، بل أني أطالب بتجمع كبير وحاسم لأدباء ليبيا، نعلن فيه موقفاً واحداً بخصوص تشكيل رابطة موحدة، ولكن، هل يمكن أن نعلن موقفاً واحداً بخصوص إنشاء رابطة واحدة بدون أن نعلن موقفاً واحداً من ما يجري في البلاد؟

هل يستطيع الأدباء الليبيون فعلاً أن يعلنوا على الملأ موقفاً واحداً مما يجري؟ وهل موقفهم فعلاً هو موقف واحد؟

سأنتظر الجواب، ولن أمل الانتظار.

السؤال الثاني هو:

كيف هي السبل لتجاوز هذه الأزمة والمرور إلى صنع واقع غير هذا الواقع المتشرذم للكتاب والمثقفين الليبيين الذين لا يمثلهم إلا السيء أو الأسوأ في المحافل الدولية نتيجة غياب الفاعلين منهم والانقياء.

والجواب هنا سيكون مؤلماً كالسؤال، فالكتاب الليبيون فعلاً لا يمثلهم الآن سوى الأسوأ، والسبب هو أن هؤلاء (الأسوأ) هم الذين تناغموا مع النتاج السياسي (الأسوأ) بدوره، فالمؤسسات السياسية التي أنتجتها مرحلة ما بعد فبراير كانت مؤسسات كارثية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وهذه لم تتكرم على المشهد الليبي إلا بالفاشلين الذين استدعوا بطبيعة الحال الحالات الشاذة من الكتاب والمثقفين الذين تسولوا مواقعهم كما أشار السؤال، وأصبحوا ممثلين دائمين للغالبية الشريفة من الأدباء، هذه الغالبية التي تتوارى الآن في الظل احتراماً لأدميتها على أقل تقدير.

ولكن، يبقى السبيل رهيناً بخروج البلاد من مأزقها السياسي، أو باقتناع المسؤول السياسي بشرعية " السيرة الذاتية ." وهو اختراع بسيط كان من شأنه لو تم الأخذ به أن يجنب البلاد شر تصدير نماذج سيئة وتصدرها للمشهد الثقافي كما يحدث الآن.

عبدالله الماي: ما اعرفه عن رابطة الكتاب في ما مضى انها مسلوبة الارادة و لا تستطيع القيام بدورها الحقيقي وهو مناهضة النظام السابق والوقوف في وجه المظالم التي جاء بها ,رغم انها قامت بدورها الثقافي في اقامة المنتديات و المهرجانات والمحاضرات، ولكن الآن نرى ان دورها الحقيقي يمكن لها ان تمارسه اذا تم انتخاب لجنة لتسييرها بعين العقل المبصر لا بعمى العاطفة ولك كامل ودادي

أحمد البخاري: أن شكل ما يعرف برابطة الكتاب الليبيين هو شكل تقليدي كلاسيكي

لا يوجد إلا في الدول السلطوية والبوليسية. .فهل سمعت برابطة الكتاب الأمريكيين. .وهل سمعت باتحاد الكتاب الألمان ..لا يوجد لسبب بسيط ..هو أن حرية إنشاء الروابط هو حرية فردية والدولة غير مسؤولة عن اتحاد أو رابطة واقتران الدولة أو تمويلها أو اتصالها بهذا الشكل يعني السيطرة التمويل المحاباة المحسوبية وحسابات أخرى للولاء والتوجيه..إذن اتفقنا أن كل شخص أو مجموعة لهم حرية تشكيل رابطة أو اتحاد أو تجمّع ..ولا يمكن بحال من الأحوال توحيد الأضداد فللكتاب توجهات مختلفة سياسية وفكرية وحتى كمدارس أدبية ..فلا يمكنك تجميع اليسار مع اليمين مع الخضر مع الحمر. .فلكل مجموعة من الكتاب أيدولوجيتهم وأهدافهم التي يدافعون لها والتي يتفقون من أجلها أو يعملون عليها..تقول أننا نريد رابطة تجمع الكل للدفاع عن حقوق الكاتب بشكل عام. .وللتمثيل الموحد للدولة. .بالنسبة للشأن الأول فيمكن بعد أن تكون كل مجمعة من الكتاب روابطها أو اتحاداتها أن تجتمع فيما بينها وتتفق على مبادئ عامة للدفاع والضغط .. وهكذا سيكون العمل أسهل. .أما عملية تمثيل الدولة. .فكما قلت. .من المفترض أن ينتهي هذا التقليد البالي ..الدولة يمثلها الناجحون بأسمائهم وليس من اشترت ولائهم.

عبد الفتاح البشتي: كل ما آمله ان تتكون الأمانة منكم انتم الشباب ذلك ان جيلنا والذي قبلنا (مضروبين) آي صلاحيتهم منتهية اذا كان مش كلهم فأغلبهم ولا أقول لكم الا كما قال جوته: كن رجلا ولا تتبع خطاي , وفي هذه الحالة خطاهم

أيوب عمر قاسم: إن عجز الأدباء والكتاب الليبيون عن تنظيم أنفسهم وإعادة رابطتهم وخلق صوت موحد لهم هذا راجع إلى التركة الثقيلة، والإرث الثقافي الموروث من النظام السابق المبني أساساً على فرق تسد، وعلى صنع أبواق ثقافية، وليس أصواتاً أدبية، وواقعاً ثقافياً حقيقياً تبنى عليه ثقافة شعب وميراث أمة، ويصنع مناخاً صحياً يجمع المثقفين ومن بينهم الأدباء والكتاب للارتقاء بالثقافة وخلق الوعي المجتمعي وربط جسور التواصل بين الماضي والحاضر للمضي نحو المستقبل بزاد ثرّ وارضية صلبة يقف عليها المثقف والأديب والكاتب وكل مبدع بثقة واعتزاز وبروح فريق تشده إلى الوطن وإلى النخبة المثقفة للارتقاء بالجموع والالتقاء بها لما فيه رفعة الوطن والمواطن والسير نحو غدٍ افضل وأبهاء..

ولهذا لا يستغرب ما نلقاه من تشظي وعجز وعدم القدرة على تنظيم الذات سوى الاتفاق على خطاب موحد وسطي النبرة وذي أهداف واضحة وجلية متفق عليها تتعلق بقضايا الوطن العليا، وتتبنى بناء الإنسان والارتقاء به وتعبر عن أحاسيس وأفكار الأديب والكاتب، وتنطلق من رؤية الأدب كمنبر إنساني وقيمي يعبر من خلاله نخبة محددة من البشر على لوعج الإنسان وتجليات الحياة في داخله وفكره .

أما لماذا لم يجتمع الأدباء الليبيون لتحديد مصير رابطتهم؟

فهذا حسب رأي يعود لعدة أسباب أهمها:

1- الانقسام السياسي وتهافت الكثير من الأدباء والكتاب واصطفافهم مع هذا الطرف او ذاك وهذا يصعّب عملية اجتماع الأدباء والكتاب واتفاقهم على رؤية موحد، ورابطة واحدة؛

2- الوضع الأمني المضطرب وتواجد مجموعات متناحرة وذات أيديولوجيات متضاربة وفكر متعصب تجعل من الكلمة الحرة والمستقلة وذات اتجاه إنساني وفلسفي وجمالي وقيمي محدد أداة غير مرغوب فيها بل تجرّم أحياناً، وبالتالي يغدو كاتبها تحت الفوهة مهدداً في حياة وغير أمن عند التعبير والراي..

3- الكثير من الأدباء والكتاب رغم أنهم اصحاب اقلام وأفكار تجدها نيّرة ومبدعة إلا أنها لا تزال ترزح تحت أعباء القبيلة والجهوية والطائفة وغيرها ولا تستطيع أن تعمل خارج مظلاتها، وربما ظهر عند بعض هؤلاء انحراف في النهج والتفكير باتجاه كل ذلك لدواعي الخوف او الطمع او الاصطفاف..

4- عدم وجود جهة ثقافية وأدبية رسمية قوية وموثوق فيها، وتعبر عن كافة الأدباء والكتاب في كامل ربوع الوطن، وهذا يصعّب عملية اجتماعهم وتلاحمهم وتوحدهم على جسم اعتباري يمثلهم لشدة الاصطفاف الجهوي والفئوي على حساب القيم العليا للكلمة والأهداف السامية للأدب التي غدت في هذا الخضم -وفق تنظير خصوم الكلمة والأدب - ترف وعالم برجعاجي لا يمت للواقع بصلة..

5- غياب الأدباء والكتاب، والمناشط والمنابر الأدبية عن الساحة طوال السنوات الماضية أوجدت منابر عملت بشكل سلبي على الوسط الثقافي والادبي وزادت من الفجوة بين الأدباء والكتاب - خاصة أولئك الذين ينهجون نهج الاستقطاب والاصطفاف - من جهة وبينهم وبين المتلقي، الذي كان من الأصل كسيحاً وكثير العلل..

مفتاح قناو: انا مع عودة الرابطة حاليا بشكلها القديم كرابطة للأدباء والكتاب، على أن ينعقد مؤتمر عام للرابطة ويناقش عودتها تحت تسمية اتحاد الأدباء والكتاب الليبيين، لأن القانون الوحيد الذي صدر في السبعينيات هو قانون إنشاء اتحاد الأدباء والكتاب الليبيين، أما الرابطة فلم يصدر لها قانون خاص بل تم دمجها في البداية مع نقابة الفنانين تحت مسمى الرابطة العامة للأدباء والكتاب والفنانين، ثم انقسم الكيان ليكون رابطتين الأولى للأدباء والثانية للفنانين، وتم تجاهل القانونين الخاص باتحاد الأدباء والكتاب و الخاص بنقابة الفنانين، والصادران عام 1976 م. ..وأن تقتصر العودة في المؤتمر الأول على الاعضاء حاملي بطاقة العضوية القديمة والمسجلين في سجلات الرابطة، وبعد انتخاب مجلس إدارة جديد للاتحاد، يشكل مجلس الإدارة لجنة لقبول الأعضاء الجدد ممن تتوفر فيهم الشروط المكسبة للعضوية.

"من أنت أيها الملاك"
قراءة في رواية "إبراهيم الكوني"
إغواءات لدعوة سرّية

نجاح إبراهيم - سورية

يُعدُّ الرّوائي إبراهيم الكوني، فيما تابعنا له من أعمال روائية، كاتب الصحراء، أو صانع سيرة الصحراء، فهو يستسيغ الكتابة عنها، بل إنها الأثيرة لديه، إذ يتلذذ حين يصفها، بل إنه يصاب بغيبوبة الانتشاء حين يأخذه السّرد رواحاً في أعماق شروشها، فتخال للحظة أنها معشوقته الوحيدة، ينظر إليها في كلّ أطوارها، بعين المحبّ، أو العاشق الذي لا يرى فيها إلا كلّ ما هو جميل وأصيل. فتراه يدخلك كساحر يتقن فنه، في عالمها، يفتح عينيك على معارف لم تكن لتعرفها، يعتبر صحراءه الجامعة التي ينهل منها العلم والمعرفة "الصحراء في مسيرة تعليمي كانت أولى الجامعات..." ص100

إنك تتعرّف إلى رموز الأبجدية الصحراوية، وهي تعدّ بنظره أقدم عهداً من كلّ الأبجديات المعروفة، يقنعك، وهو الذي يملك حجة الإقناع " أنّ ذلك مكتوب على ألواح حجرية، وجدت مراراً مطمورة في أقبية البنيان.." ص93

ويتحفك ببعض قوانينها كأنْ تدرك أنّك "في الصحراء تستطيع أن تصنع لنفسك اسمك، أو فلنقل تستطيع أن تستعيد اسمك الضائع.."ص224 فبالمدينة، الكفة الأخرى الخاسرة أمام الكفة الراجحة (الصحراء) أنت تخسر اسمك، يضيع كما تضيع الإبرة في كومة القش، لأنّ المدينة

هي موئل للضياع، فتشمّ رائحة دعوة سرية لتكوين دولة في الصحراء (دعوة خفية لأبناء تمّت هجرتهم قسراً أو عمداً، بيد أنها -أعني الصحراء- تربط بين أبنائها بخيط لا يمكنهم الابتعاد عنها مهما امتدت خطواتهم شرقاً أم غرباً، شمالاً أم جنوباً" فإذا اضطرتهم إلى الهجرة، فإنهم يستجيرون بتلك المدن التي لم تكن يوماً سوى الامتداد الطبيعي لحميمتهم الصحراء، كأنّ الارتواء من ينابيع الحرية، هو الذي سنّ الناموس الذي حرّم على قبائل الصحراء اجتياز الحدود الصحراوية، وعبور المياه سواء أكانت نهراً، أم بحراً لما في هذا العبور من إثم.." ص211

يستشف القارئ أنّ إبراهيم الكوني في روايته "من أنت أيها الملاك؟ " يحلم بتلك الدولة الأمازيغية، أن يكون لها وجود، فثمّة موروث صحراوي يتناقله الأفراد، محفور على الأحجار المقدسة، باقٍ أبداً "تستطيع الصحراء أن تعطي هوية، كما أعطت الهوية الصحراوية لكلّ نبوة، كما لم يحدث أن أفلح نبيٌّ في ترويج رسالة ما لم يطهرها بنار الهجرة.."ص159-160

في هذه الأحبولة الذكية، السحرية، يدعوك إبراهيم الكوني إلى قراءة صحرائه، لتولد من جديد، ولادة بالروح ولهذا "فإنّ ميلاد الوليد في الصحراء ليس هو اليوم الذي يولد فيه، بالجسد لتصرخ العجائز في أذنه بالعطية المخجلة المسماة اسماً، ولكن ميلاد الوليد هو يوم يولد بالروح.." ص 162

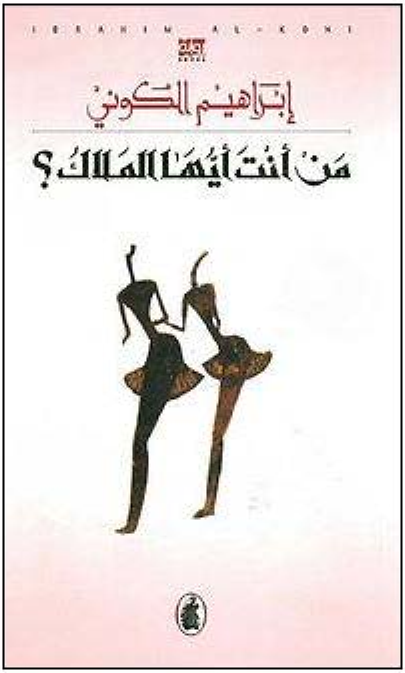
رواية إبراهيم الكوني "من أنت أيها الملاك؟ " التي تبدأ باستماتة بطله الشخصية المحورية في النصّ "مسّي_" الذي يعني اسمه (مولاي) في لغة الأمازيغ، بتسجيل ابنه الذي اختار له اسم يوجرتن ويعني "البطل الأكبر" في لغة الأسلاف وعُرفهم، أراد أن يسجله في الدوائر الحكومية في المدينة، بيد أنّ هذه الأخيرة، لم تعترف بهذا الاسم، لأنه ليس من الأسماء المنزلة لديها " والغاية من ذلك حماية الأجيال من التمجّس أو التهوّد أو التنصّر.." ص 48

ولأنّ " أسماء الأسلاف وصايا في عنق الأخلاف، والوصية في عرف الأجيال دائماً رسالة منزلة.."ص68.

ظل مسّي_ يطارد شبح أن يكون ابنه مكتوماً، أو في عداد المفقودين، إذ يحسّ بالاغتراب، فيحرم وليده، خليفته كما أطلق عليه اللقب، أن يكون له وجود، ليمارس حقوقه كاملة من التعليم والعيش بأريحية بين شوارع المدينة التي هاجر إليها الأب مسّي، وكتب على وليده الولادة فيها، بيد أنّ لوائح المدينة لم تشرّع له هذا

الحق، ولا يمكنه أن يستبدل الاسم بآخر إذ يصبح بمثابة الردة التي يحاسب عليها المرتد " ص70" ومن تهمة الردة لا خلاص.."ص70

فسلك مسّي كلّ الطرق دون فائدة لدرجة أنه سلب منه اسمه أيضاً، فصار عليه أن يستعيد الاسمين معاً، في محاولة حثيثة للإعلان عن وجودهما، فيدوخ ويتنقل من دائرة رسمية إلى أخرى، ومن مسؤول إلى آخر، منتظراً أعواماً تمرّ أمام عينيه وصبره، وأمام أبواب تلك الدوائر الجائرة بحقه وحق وريثه، ليقع فيما بعد في مكيدة أحد المسؤولين يدله عليه صديقه موسى، الذي انتفع كثيراً من وراء ذلك العمل والذي بدا ظاهره خيراً، وباطنه بلاء على مسّي.



عرّفه موسى إلى " الباي" ليعقد معه صفقة، مقابل أن يحرّر له ابنه يوجرتن من المعتقل الذي آل إليه نتيجة مشاجرة بينه وبين أحد الصبية، ووعده باسترداد اسميهما معاً، وذلك مقابل أن يكون دليلاً له في شركة استكشاف النفط في الصحراء.

يوافق مسّي، ويقرّر اصطحاب ابنه معه، الذي ملّ اسمه وحياته وعيشة الشقاء التي كتبت عليه، وفي الصحراء حيث يتدرج مسّي وابنه، يطلعه على وصية الأسلاف ويدله على الحجر المقدس الراقد في قلب الصحراء، وحين تنتهي عملية الكشف عن النفط، يتبين لمسّي أنّ (الباي) قد سرق الحجر المقدس، والأغرب من ذلك يكتشف أنّ ابنه هو الذي دله عليه، متغاضياً عن تهديد الأب حين قال :" ذلك سرٌ توارثته قبائل الصحراء جيلاً عن جيل، والموت قصاص لكلّ من قاد الأغراب إلى ساحته.." ص170

ولكن الولد ضرب عرض الحائط بتهديد الأب ونصيحته، إذ البلاء سيعم، إذا وقع الحجر المقدس في يد الدخلاء، كما يتضح فيما بعد أنّ المسؤول لم يفِ بوعده ويرجع له ولابنه اسميهما، فخسر مسّي الكثير، واستشعر في دخيلة نفسه بلاءً قادماً ولا شك.

وتكتمل دائرة الخراب نتيجة لعنة الأسلاف حين يهرب يوجرتن من مسّي،

وينتسب إلى عصابة مسلحة تقرّر نسف مكتب السجل المدني انتقاماً من مسؤولي الحكومة لعدم اعترافهم بالأفراد المهاجرين من الصحراء إليها، والذين يمتلكون أسماء أسلافهم، بيد أنّ الأب مسّي- يستطيع معرفة مكانه، يستدرجه، وإذ به يلمح شجرة منبتها الصحراء، وحيدة، باقية في المدينة، تدعى شجرة الرتم، فاستغرب أن تنجو من أنياب جرارات القوم الوحشية، وتفكر ملياً إذ إن هذه الشجرة إنما تعني له رسالة " رسالة موجهة إليه كسليل صحراء، وحيد يعرف حقيقة الرتم المقدّس، الذي تقول وصايا الأسلاف:" إنه ملجأ روح الصحراء الوحيد الذي اختاره هذا الوطن الشقي لكي يستجير به كلما حاقت به بلية.." ص253

فيستحيل بحث مسّي- عن هوية أو اسم لابنه إلى رسالة كرسالات الأنبياء، لا يجوز أن يحيد عنها، فها هوذا جزء من الصحراء المقدّسة لا تستطيع المدينة مهما حاولت أن تمحوه، ولا أن تقتلعه، وما وجود شجرة الرتم إلا رسالة، فك حروفها وطلاسمها وما عليه سوى التنفيذ.

"روح الصحراء لا تخرج من مخبئها في شجرة الرتم إلا بقربان جسيم."ص254 فلم يجد سوى ابنه ليقدّمه قرباناً. يذكرنا بسيدنا إبراهيم الخليل الذي أراد أن يقدّم ابنه إسماعيل قرباناً لكن يتمّ الفداء.

ألا من فداء يقدّمه مسّي- للناموس الصحراوي آنهي؟

استقر النصل المغسول بروح الإله الأبدي في نحر السليل، فخرّ الابن أرضاً ليروي الدّم شجرة الرتم.

القضية التي يتناولها الروائي هي قضية الأمازيغ في تلك البلاد، وعدم الاعتراف بحقوقهم كاملة، قضية الأقلية التي تبحث عن مكان بين الأكثرية.

فالرّواية تلامس واقعاً ملموساً، فأحداثها وشخصياته وأمكنتها واقعية، بيد أن طريقة الكاتب تأخذك إلى عالم آخر شبيه بعالم الأسطورة لتخلص إلى أن رواية(من أنت أيها الملاك؟) ليست واقعية بالمعنى الحرفي، ولا أسطورية، إنما هي بين بين، يمتزج الواقعي بالأسطوري، والواقعي بالميتافيزيقي، والممكن حدوثه باللا ممكن، لأن الجزء السادس في الكاتب ينقلك بين تلك العوالم، لتشعر أن قدميك في الأرض تنغرزان في الرمل الحار، بينما الروح تهيم فوق، في الأعالي.

تقوم الحكاية في النصّ السّردي على ثلاث أثافٍ:

الإثفية الأولى: نضال مسّي- في إيجاد اسم لابنه وإثبات هويته.

الإثفية الثانية: حين يصبح دليلاً لشركة التنقيب عن النفط في الصحراء التي يكتشف فيما بعد أنها شركة وهمية، وما هي إلا غطاء لسرقة كنوز الأسلاف.

الإثفية الثالثة: إدراكه حجم الإثم الذي ارتكبه الابن، فناله العقاب حين قرأ رسالة شجرة الرتم لتتم عملية التطهير بالدم، وذلك بذبح وريثه قرباناً لتهدأ لعنة الأسلاف.

في "من أنت أيها الملاك؟ " اعتمد الكاتب أسلوب التقطيع في روايته، كما هي عادته في العديد من الروايات، ليرقم كل مقطع دون عنونته بعناوين فرعية، إذ يبدأ من الرقم واحد وحتى الرقم ست وثلاثين، والمقاطع بحدّ ذاتها متقاربة، يتكامل فيها السرد، إذ تكون متممة لما قبلها لتشكل المقاطع كلها وحدة سردية كاملة، لا غنى عن أحدها.

حيث تترابط زمنياً، فلا قفزات زمانية إلا ما ندر، وذلك حين يسترجع مسي بعض الذكريات حينما يكون طفلاً يرعى الغنم فيباغته حيوان متوحش.

وهذا الالتزام بزمن أفقي إنما هو من خصائص الرواية العربية التقليدية، بيد أن المقاطع التي حاول الروائي وضعها أو تقطيعها لجسد النص هي سمة من سمات الحداثة التي اعتدنا في روايات الكوني أن نلمسها.

ويمكننا القول: إنّ الزمن الحكائي في رواية من أنت أيها الملاك، يمتد منذ أن ولد ابنه يوجرتن، فرغب في تسجيله في أمانة السجل المدني إلى ان شب يافعاً ولم يحصل على الاسم في دوائر الحكومة، يعني ثمة سبعة عشر عاماً، حيث يشكل هذا الزمن سير الأحداث في المدينة، ثم في الصحراء، باستثناء عودة قصيرة إلى الوراء حيث يسترجع مسي طفولة مفقودة حينما كان راعياً للغنم ويباغته ضبعٌ، ينتصر عليه بالحيلة وهو ابن سبع سنين، ليكافأ بمدية من والده هي ذاتها تلك التي يذبح بها ولده قرباناً.

أما اللغة في الرّواية، فهي لغة خاصة بالكاتب إبراهيم الكوني، خاصة بموضوعه الذي لا ينفك يكتب عنه، موضوع أمه الصحراء وأولادها البائسين، وبيئته، فقد صنع لغة متميزة، غنية بالدّلالات والمعاني العميقة، عابقة بالرّموز والإشارات:

"ظل مسي يتطلع إلى اللوحة ببلاهة، فلم يجب، قال الرجل بذات النبرة الغريبة في الصوت، البرزخ، هو اسم هذه اللوحة، مسي- المشبع بروح دراويش الطرق الصوفية الذين لقنوه طويلاً بدلالات حميمة عن البرزخ إلى حدّ لا يتجاسر أهل

الغفلة لينطقوا في حضوره هذه الكلمة إلا لتنتابه القشعريرة، ويستيقظ فيه نداء مجهول.."ص78

أما الحوار في سرده، فهو خلاصة ثقافة عميقة لكاتب يعرف كيف يصوغه، وكيف يأتي موجزاً، مكثفاً، يؤدي الغرض دون ترهل أو تشتت، كأنما هو حكمة أو قولاً مأثوراً!

"في عرفنا، لسان الأبناء دائماً ترجمان لنوايا الآباء:"ص131

....العثور على الكنز عادة لا يشبع صاحب اللقية، ولكنه يشعل شهوته أكثر من أي وقت مضى."ص136

-"الأشباح وحدها تتولى أم الناس من وراء حجاب."ص142

"هل يستطيع من لا يحسن السباحة أن ينقذ غريقاً بالارتماء في أحضان الغريق؟ "ص142

"الوصية تقول: الإنسان يستطيع ما ظل طليقاً".

إنّ هذا الحوار يشبه تماماً الكمأ المقدس، الذي لا ينبت إلا في موطنه الصحراء، حيث يتلاقح الرّعد المباغت مع ضوء القمر في لحظة نادرة، لا يقبض على هذه الالتماعة سوى كاتب متميز كأمثال الكوني الذي يعد ابن بيئته، وإن ابتعد عنها وعاش في الريف الأوروبي، بيد أنها تبقى في داخله ما بقيت الرّغبة في السّرد، وما بقيت الروح في الجسد.

فهو العارف بقوانينها والخبير بناموسها، ولشدة ولعه بها يبيح لنفسه أن يسنّ قوانين لها ومنها، يشبه إلى حدّ المشرع حمورابي، الذي ما تزال قوانينه متداولة حتى عصرنا هذا.

فها هوذا "مسّي" في انتقاله إلى الصحراء كدليل فيها يسطر خطواته من جديد على أرضها، إذ يبحث عن انتماء جديد، لأنه فقد كلّ شيء، ففي الصحراء يستعيد كلّ شيء، فيقول لابنه:

"قرّرت أن نترافق في رحلة الصحراء حرصاً عليك، لأنك في الصحراء تستطيع أن تصنع لنفسك اسمك، أو فلنقل تستطيع أن تستعيد اسمك الضائع."ص224

"وصية الأسلاف تقول: إياك أن تفعل شيئاً على سبيل الانتقام."225

ولكن ثمّة ملاحظات كان لا بدّ لنا أن نضعها من وجهة نظر ليس إلا..

- لنبدأ من العنوان، يتضح للقارئ، أن العنوان من أنت أيها الملاك؟ ليس مناسباً لمحتوى السرد. فمن هو الملاك؟

هل هو الاسم الذي استمات مسّي- بطل الرّواية في الحصول عليه؟ لأنه في هذا المسعى الحثيث إنما يحصل على هوية؟ أتراه الملاك يكون الرجل الذي ينتمي إلى الأمازيغ، فيكون مسلوب الحرية؟

أم يكون من أهدى إليها الكاتب روايته؟

كنت أرى في أن يكون العنوان- لو قدر لي أن أضع عنواناً جديداً لها- محاولة اقتباسه من مفردات وجمل الرواية، كأن يكون: (شجرة الرتم) أو (الكمأ المقدس)أو (الحجر المقدس)أو (الناموس الصحراوي)...الخ.

- في خضم الأحداث لم نلمح ردة فعل لمسي- عندما أخبره نزيه الفياض أن توكيل شركة النفط كان وثيقة مزورة. إذ لجأ الكاتب إلى القطع هنا، وبدء فصل جديد، وهذه المعلومة بالذات كانت كافية لتزلزل مسي وتجعله منهاراً.

- لماذا لم يلاحق مسي- (الباي)الذي خدعه، أينما تراحل والانتقام منه؟ ألأن الصحراء أمه، تنهاه عن الانتقام؟ ! بل لماذا أطلق ا لكاتب اسم أو لقب الباي على المسؤول الذي عقد الصفقة مع مسي- ليعود بنا إلى عصر العثمانيين دون داع؟!

- الملاحظة التالية، لماذا لم ينسف ابنه مع العصابة التي شكلت من أجل نسف أمانة السجل المدني كعملية تطهير والبدء بحياة جديدة؟

- لقد استحوذ السرد في بحث مسي- لتسجيل ابنه على مساحة كبيرة من النص وكان من الممكن اختصار ذلك، بينما اختصر- الكاتب مقاطع سردية يمكن الاسترسال فيها مثل عودته إلى الصحراء في أثناء تنقيب البعثة عن الذهب الأسود. كان من الممكن أن يسرد عن الألواح الحجرية المقدسة فيها أكثر، وعن حياته، وعن قبيلته، وعن ذكريات عديدة له فيها قبل أن يأتي المدينة.

- لماذا قتل ابنه، ملبياً نداءات الروح في شجرة الرتم؟ لمَ لمْ يتمّ فداؤه كما هي قصة إبراهيم الخليل وابنه اسماعيل؟ لِمَ لمْ يلجأ إلى الصحراء ويبحث عن فداء له؟ ألا يكون ذلك جذاباً وشائقاً؟ ! ولا يبعدنا ذلك عن الأسطورة التي كان الكوني يدخلنا في روحها، إذ عوّدنا قراءة إبداعه، فكنا قريباً من تلك الروح ما يجعل امتدادها الكبير مكاناً بل حاضناً للأسطورة.

- ولعل الملاحظة الأخيرة هي نهاية الرواية، وتساؤلنا عن تكرار مفرداتها، فلنقتطع جزءاً منها وليعد القارئ إليها:

"انتصب أمامه صامتاً، لم تدم المواجهة طويلاً، انطلقا في الدرب المؤدي إلى الحقول العارية، كأنهما كانا على اتفاق

مسبق، كأنهما كانا على موعد، بل كان زيارته له في ذلك اليوم كانت تلبية لموعد، كأنها كانت استجابة لنداء.."ص252

سارا عبر الحقول الميتة صامتين، سارا متجاورين صامتين كأنهما في حلم، كأنهما يؤديان طقساً مرسوماً بعهد قديم، كأن صمتهما إدانة لدنس اللسن، كأن صمتهما إكبار لبكارة السكون، كأن صمتهما إعادة اعتبار لقداسة الصمت مقابل خطيئة اللسان."ص252-253

نشعر وكان معلقاً رياضياً يتابع طقس مباراة أمام أعين المشاهدين المتعلقة بالشاشة الفضية، فمن خلال تكرار تلك المفردات إنما يشدّهم أكثر.

ومهما يكن..

فرواية من أنت أيها الملاك؟ لا تخلو من إدهاش ومفارقة، يجعلان القارئ يقف عندهما إعجاباً وتقديراً لحنكة هذا الروائي العربي.

فالموظف نزيه الفاضل، الذي اختفى نهائياً من أمانة السجل المدني أعواماً، تظهره الرواية ليسوغ اختفاءه بأنه حرر إيصالاً بشكل عفوي لمسي. يخول الأخير في منح مسي. حقه في دائرة النفوس. ولهذا اختفى كي يفرّ من عقاب الألواح المدنية."183

مفارقة أخرى، أنّ موسى الصديق الذي أقنعه ليكون دليلاً للباي في الصحراء، حصل على قرار تعديل لاسم ابنته مريم لقاء إقناعه لمسي. وهذه صفقة تمت في الخفاء. ص188

ولعلّ المفاجأة الكبرى أنّ ابنه تواطأ مع الباي حين دله على مكان الحجر المقدّس ضارباً وصية والده عرض الحائط.ص232

وبعد..

إبراهيم الكوني، كاتب بارع ومتميز، إنه الحاوي الذي يستطيع أن يخرج الحيّة من جحرها بسلاسة. أتذكر حواراً دار بيني وبين الروائي الراحل عبد السلام العجيلي قبل عقدين، كنت حينها قد انتهيت من قراءة رواية "الواحة" للكوني، على ما أعتقد.

فسألته ما رأيه بالكوني؟ أجاب مبتسماً: إبراهيم الكوني، أدواته بسيطة، قليلة، لكنه يلعب بها بمهارة الساحر، ليخلق عالمه السردي بتميز، ويكرّر اللعب بالأدوات ذاتها في رواية أخرى.

سألته: وما هي أدواته برأيك؟ أجاب محركاً أصابعه، وناظراً إلى مدى لم أقبض عليه : شخصيات من البيئة، عددها قليل بالطبع: صخور، أحجار، تميمة، أفعى،

شجرة صحراوية، نبات شوكي.. الخ، هذه هي لا أكثر .

سألت: هذه الإبداعات الباهرة، كيف لأدوات بسيطة أن تشكلها؟ ما مرجعيتها؟ أجاب رافعاً حاجبيه إلى الأعلى : ثقافته واسعة، ومرجعية كتاباته متنوعة، تكمن في أحضان الكتب القديمة، ينهل منها، ويصوغها بما يتفق مع صحرائه، والذي يعد هو ابنها البار".

طال الحديث عن الكوني، راح العجيلي يذكر لي بعضاً من مرجعياته، بيد أنني لن أذكرها الآن.

غواية الصورة وخداع الخرائط الذهنية
طقوس العتمة - أنموذجا

انتصار عبد المنعم - مصر

توطئة

في زمن الفضاء الواسع والقرية الكونية الواحدة، لم يعد مستساغا أن يكتب الروائي أو القاص على لسان الطير والحيوان ليمرر ما يريد قوله مجازا إن حالت الظروف السياسية عن قوله صراحة. فأسلوب كتاب "كليلة ودمنة" الذي قامت فكرته على حوار بين فيلسوف وملك، ورغبة الفيلسوف في إصلاح الحاكم الظالم وكشف عيوبه أمامه بطريقة غير مباشرة تحفظ عليه حياته من العقاب، لم يعد صالحا للتكرار.

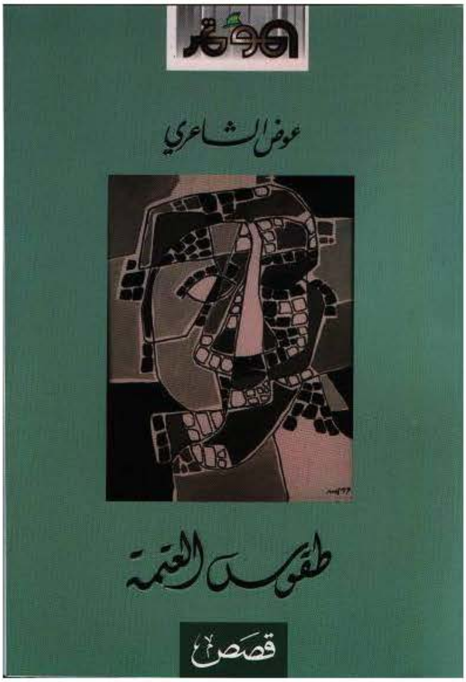
ولما لم يكن من المستطاع التحدث إلى الملوك والسلاطين بمبدأ النصح المباشر في زمن كتابة "كليلة ودمنة، و في عصر ترجمة "ابن المقفع" له، كان من الضروري اللجوء إلى طريقة لقول المراد دون التعرض لغضب الحاكم. وهكذا جاءت النصائح والحكم على هيئة حكايا خرافية. فعلى ألسنة الحيوانات مثل البوم والغربان والجرذان جاءت الحكايا وأحداثها لتكشف عن خفايا السياسة الخارجية من جهة، والسياسة الداخلية في الدولة وصراع السياسيين وتنافسهم من جهة أخرى.

وعندما قام "عبدالله بن المقفع" بترجمة "كليلة ودمنة " خشي أن يتخذها القارئ على سبيل التسلية والمزاح، فذكر في تقدمته للكتاب الهدف من هذه الترجمة

تحت عنوان (غرض الكتاب) بأنه (قصد به استمالة قلوب الملوك وأهل الهزل من الشبان.. ولا يظن أن مغزاه هو الإخبار عن حيلة بهيمتين، أو محاورة سبع لثور، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود).

ولكن، كان هذا في زمن كان للكلمة سحرها وفاعليتها، وكان للأدب رسالة، وكان المثقف يعرف دوره في تغيير الواقع السيء بإيصال النصيحة ومن ثم النقد إلى الساسة دون الصدام معهم قدر الإمكان. ولكن وقد تبدل الواقع، وتحول الساسة إلى آلهة لا تقبل النقد أو النصح، أصبح الأدباء والمثقفون قليلي الحيلة، وهذا ما أشار إليه دكتور حسين سرمك حسن بقوله :

"يرى الكثير من النقاد العرب أن القصاصين – والمبدعين عموما – قد تحولوا من فاعلين في الحياة إلى مفعول بهم في الواقع العربي. فبعد أن كانت قصيدة واحدة من الجواهري تكفي لانطلاق تظاهرة عارمة تندد بالطغاة حدّ الاشتباك بقوات السلطة وسقوط شهداء



أحبة، لم يعد يحضر أماسي الشعر سوى الشعراء أنفسهم. وقل الشيء نفسه عن القصة والرواية"..

وعلى الرغم من هذا، لم يقف المبدعون موقف العاجز عن تمرير ما يرونه كاشفا عن عيوب ونقائص، وذلك باستخدام حيل ابداعية تعتمد على اللعب بالكلمات ذاتها وبدون اللجوء إلى استنطاق أسد أو ذئب. فالكلمات ليست بالضرورة الأشياء التي تصفها، والرموز ليست هي الأشياء التي تمثلها، بل هناك صورا أخرى وراء الكلمات المكتوبة. وهناك مستويات عديدة لمدلولات الكلمات في تمثيلها للعالم الخارجي الذي يصل إلى المستقبل وهو القارئ عبر العديد من المرشحات والمؤثرات الداخلية والخارجية على حد سواء.

وهذا نفسه يعتبر جزءاً من الفرضيات التي قامت عليها فرضيات" علم البرمجة اللغوية العصبية". و الفرضيات هي الجانب الفكري من البرمجة اللغوية العصبية، وعلى هذه الفرضيات تقوم

التقنيات المختلفة في البرمجة، أي تعتبر القاعدة التي يتم البناء عليها. وقد تم التوصل إليها بعد تأمل وملاحظة للسلوك الانساني على المدى الطويل، ليدرك العلماء المهتمون أن له قوانين أو فرضيات تماثل قوانين الكون.

ولذلك من الممكن النظر إلى فرضيات البرمجة على أنها طريقة جديدة لاكتشاف معلومات جديدة بغرض التعرف على أفكارنا، والنظر إلى العالم بطرق مختلفة. حتى لو اشتركنا في مشاهدة حدث واحد، فإن تفسيرنا لذلك الحدث سيكون مختلفا بيننا جميعا طبقا للأفكار والقيم التي نملكها. فبينما يبقى الحدث واحدا فإن ما يعنيه الحدث أو تفسيره سيختلف باختلاف الناس. ويعتبر ذلك أمرا طبيعيا لأنه يعتمد على خبراتنا السابقة عن العالم. أي نحن نعيش في عالم من الفرضيات، بعضها ندركه، وبعضها لا ندركه ولكننا في كل الأحوال نستخدمها في كل لحظة من حياتنا. مع ملاحظة أن فرضيات البرمجة اللغوية ليست بنفس مصداقية القوانين العلمية والمسلمات الرياضية، الفرضيات تتعلق بفهم كيفية الاتصال والتفكير البشري.

ومن هذه الفرضيات فرضيات الخرائط الذهنية. والمقصود بالخارطة الذهنية رؤيتنا للعالم، أي أن صورة العالم في ذهن الانسان ليست هي العالم. فخارطة العالم في أذهاننا تتشكل من المعلومات التي تصل إلى أذهاننا عن طريق الحواس، واللغة التي نسمعها ونقرأها، والقيم والمعتقدات التي تعودنا على ممارستها والتعايش معها. وبالتالي فإن هذه الخارطة تختلف من انسان لآخر، ولا تمثل العالم بل تمثل الطريقة التي نرى أو نستقبل بها العالم..

فهناك دائما فرق كبير ما بين الخارج (الحقيقة) والتمثيل الذهني (صورة الحقيقة)، ونحن نستجيب لخرائطنا الذهنية عن الحقيقة وليس للحقيقة نفسها. فالخرائط التي في أذهاننا عن الحقيقة تتحكم في ادراكنا واستجاباتنا، أي نحن نستجيب للعالم ليس كما هو موجود بل نتيجة لخارطة العالم التي في أذهاننا والتي نرسمها ونحن تحت تأثير عوامل كثيرة تتحكم في تلك الخارطة.

وجميع هذه الخرائط تدرك بالحواس لتتكون من صور وأصوات ومشاعر واذواق وروائح. والخرائط التي نعلنها للناس هي الخرائط الواعية. ولذلك لا يميل الناس في المجتمعات القمعية إلى الافصاح عن خرائطهم ويفضلون الاحتفاظ بها في لا وعيهم. وكلما زادت الفجوة بين الخرائط المعلنة وغير المعلنة، أدركنا أن هؤلاء يعيشون في مجتمعات

مضطربة ، فالشعور بالأمان يساعد الانسان على أن يعبر عن كل خرائطه الذهنية بلا حرج.

وهذا هو الحال في مجال الأدب أيضا. فعندما يستخدم الكاتب الكلمات لإثارة الأخيلة المختلفة لدى القارئ، فإنما يستخدم (وبلا وعي) فرضية الخرائط الذهنية التي يستطيع كل قارئ أن يرسمها لنفسه وبنفسه من نفس الكلمات معتمدا على خبراته في الحياة وأفكاره وثقافته ومعتقداته. وهذا من شأنه إضفاء المزيد من الجمال والمعنى على عمله بخلق القارئ المختلف المتفاعل النشط. ومن ناحية أخرى قد تكون حيلة (واعية) هروبية دفاعية للتنصل من الصورة القريبة لتمرير صورة أخرى أو فكرة أخرى أعم وأشمل قد تسبب صداما أو ضررا إن جاءت مباشرة.

طقوس العتمة/ غواية الصورة وخداع الخرائط الذهنية

جاءت المجموعة القصصية (طقوس العتمة) للكاتب والصحافي الليبي "عوض الشاعري" أنموذجا تتجلى فيها مدى استعانة الكاتب بفرضية الخارطة الذهنية ليرسم صورا وأخيلة متعددة متأثرة ببيئته البدوية الصحراوية، ليهرب بها من الصدام مع واقعه السياسي في وطنه (ليبيا) الذي لم يكن ليجرؤ على انتقاده حتى في الأحلام. وسواء كان ذلك بصورة متعمدة أو تحت مسميات عديدة مألوفة مثل الاستعارة والتورية والاسقاط، إلا إنه من الملاحظ تكرار الأمر ليخرج عن تصنيف المصادفة إلى كونها تقنية متعمدة استخدم فيها كلمات وصور قريبة لتتداعى بعدها صور أخرى مختلفة باختلاف المكان والأشخاص وبيئاتهم وثقافتهم.

وكما نعلم أن النص الأدبي الإبداعي هو" تعبير لغوي جمالي عن تجربة إنسانية بصورة موحية عرفها الكاتب بالتفاعل المباشر أم غير المباشر.. واللغة منظومة من الإشارات و العلامات السيميائية، والكلمة إشارة أو دال يستحضر الصورة أو التصور الذهني للموجود العيني للكلمة" أو كما يقول ي. د.هيرش: الأدب نشاط لغوي محكوم بالواقع الحياتي الذي يعيشه الكاتب ضمن سياقات متعددة من تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية وغيرها .

وهكذا جاءت صور مجموعة "طقوس العتمة" مفعمة بصور مستمدة من طبيعة الصحراء والبحر المحتضن لها والقبيلة التي يعرفها الكاتب جيدا وعليها جرى تفاعل شخوص قصصه مع الأحداث المختلفة من جانب، والمرتبطة أيضا كون

الطبيعة تتجاوب مع شخوصه وتعكس أو تستجيب لأحوالهم .

ففي قصة "عروس البحر" على سبيل المثال يصور الكاتب هروب النهار تحت وطأة عباءة الليل عندما تلح حالة الفقر والحرمان على الراعي. ويستخدم فيها الكاتب بعض الكلمات مثل "قطيع" ليرسم بها معان مختلفة ذات دلالات، تارة تشير الكلمة إلى قطيع من الغنم، وتارة أخرى إلى البشر المنقادين المنساقين دوما وراء غيرهم "التاج الأسود". وقصة "عروس البحر" مليئة بالمفردات القادرة على رسم أكبر عدد من الصور في ذهن القارئ.

فالنجمة اللامعة لم تكن نجمة بل اشارة ضوئية لمهربي الحشيش، وعروس البحر لم تكن هذا المخلوق البحري بل ماركة لنوع من أنواع الحشيش، وعصا موسى أو عصا الراعي لم تعد صالحة ليفرق بها البحر أو ليهش بها على غنمه..

(ضرب البحر بعصاه فانفلقت نصفين، نصف ذهب مع الأمواج ونصف راح يهش به على غنمه)... فالعصا فقدت بعض قوتها حين انشطرت قسمين لتضيع معها قوة الراعي الروحية الذي أرهب قطيعه بينما يمور داخله بالشجن، ليمارس على قطيعه فعل القهر الذي يعانيه تحت وطأة الفقر والعوز .

وإن كان صوته يعلو شاديا فهو يشكو حالا يعرفه العاشقون الفقراء فقط الذين يعانون حرمان الروح والجوارح ليعبر "وادي العين" باكيا، وكأن الطبيعة تواطأت مع حالته لتجعل له واديا للبكاء وهو فعل العين. ورغم ذلك فهو يستلذ بممارسة فعل القهر على صغار الرعاة ليسقط عليهم نواقصه وخوفه من شيخ القبيلة الذي يرسم له صورة ذهنية لينتقم منه ومن تسلطه في خياله فقط، وهنا يلجأ الكاتب لتسريب سؤال عن ماذا لو تسيد من يشعر بالنقص الداخلي على غيره ؟

ومن خلال الصور والأخيلة التي تتداعى في ذهن الراعي تأتينا الإجابة بأنه سيمارس فعل القهر الذي يعاني منه هو نفسه على رفقاء الأمس والبسطاء الذين يخدمونه. فالراعي لديه طموح كبير لم يعد العدة لتحقيقه، وهو منفصل تماما عن الحقيقة ليقع ضحية مخاتلة الصورة وخداع ذهنه فيظن أن نجم الشمال يرسل له التحية بومضات ضوء متقطعة تنعكس على الماء ثم يتبين أنها كانت اشارة متفق عليها وما النجم إلا كشاف ليلي .

ولأنه ضعيف لا يقدر على شيء، يلجأ الراعي إلى الأخيلة ليحقق أمانيه فينتقم من شيخ القبيلة في حلم من أحلام اليقظة، ثم لا شيء فقد أفرغ حنقه داخله. ومثل هؤلاء يبقون طاقة سلبية، ثوراتهم

لا تتجاوز حلم قصير ومجموعة صور ذهنية يرممون بها واقعهم المتصدع، يعاودون بعدها معاشرة قاهريهم بخنوع ورضا نفسي- قسري. حتى وإن صادف وبات تحقيق حلمه على بعد خطوات تفصله عن اطارات(الحشيش)، فما كان منه غير أن بدأ في الحلم مرة أخرى وتأتي أحلامه كتعبير صادق عن أحلام المقهورين الذين يرون في اشباع الحاجات البيولوجية غاية ومنتهى آمالهم...

(سيبني البيت العالي...سيتزوج، بل سيصاهر الظالم الذي أراد الانتصار عليه.)....

فهل المال يحقق السلطة أم يتزوجها؟

أفعاله لا تتعدى بضعة تساؤلات تتوالى بلا فعل إرادي واقعي واحد. وعندما هم بالفعل أخيرا كان الأوان قد فات وتأخر الوقت الذي قضاه في مونولوج داخلي مضطرب يبين الحالة التي تنتاب كل من ألف أن يكون مستقبلا منفذا لإرادة الغير لا مبادرا بفعل شيء ولا قائدا بالطبع .

وفي "التاج الأسود" وبتلك المفارقة بين اللون الأسود وعدم صلاحيته ليكون لونا لتاج تعودنا على رؤيته براقا بالجواهر، على الفور تتوالد في الذهن الكثير من الصور الذهنية لتجد معادلا مرئيا لكلمتي تاج وأسود معا. ثم تأتي كلمات مثل "الليلة، والعتمة، الظلام، سوداء " في متن القصة مرات عديدة للتأكيد على الصورة الغامضة التي يكللها السواد. ومن خلال المونولوج تتكشف رويدا مدلول التاج ولماذا كان أسودا كشيء طبيعي لميراث العار. و يتكرر الشيء نفسه بصورة أخرى في قصة "عينان" فمن يحمل إرثا من الهم يطارده حتى في يقظته ليصور له صورا ذهنية خادعة ومزيفة للحقيقة القائمة بين يديه، وذلك بسبب تأثره بخبراته السابقة التي تخصه وعايشها لتتوالد تلك الصور الواحدة تلو الأخرى لتجعله يشك فيما يراه ويعتقد ما يراه في ذهنه لا ما هو في الواقع أو الحقيقة. فالسارد المطارد يظن العينين تراقبانه لتأخذ ثأرا قديما بينما هما لكفيف يحدق في الفراغ. كذلك في "الطريد" تأتي الصور قاتمة وتستجيب لها الطبيعة فتصبح كالحدث كابية اللون..

.." ملقيا آخر نظرة على بيوت القرية التي ظهرت من بعيد كبيوت للأشباح، بلونها الرمادي الكئيب الغارق في بحر من اللون الأحمر الكابي"...

وتتوالى الصور الملونة وتأتينا روائح القرية وأصوات الحيوانات لترسم صورة للطبيعة المحيطة بموسى الطريد الذي اجتمعت القرية لتأتمر به كما حدث مع موسى عليه السلام، و نعود إلى العصا في القصة الأولى

التي بدلا من أن تفلق البحر قسمين، انفلقت هي نفسها.

وهنا موسى البطل مطاردا ومتهما من كل القرية.. مجموعة من الصور المتتابعة تتوالى صعودا نحو "موسى" هذا القروي وذاك النبي لتستخلص مجموعة من الخرائط الذهنية المختلفة الملونة بنفس ألوان الحزن والقتامة ككل الألوان التي لون بها الكاتب مجموعته بدأ من العنوان "طقوس العتمة" التي تدور كلها في الظلام ومفرداته وكل الصور المتولدة عن الحياة فيه ومن ثم استمراء الحياة تلك في رسم صور الخنوع والاستسلام حتى تخلل الوحل الروح كما الجسد ونهشته "أقدام الكلاب "بينما هو ساكنا مستكينا وتأتي الكلمات على نفس الشاكلة (الظلام، العتمة وحل، شيطان مريد، مستنقع، ركام ..)

وفي المقابل تأتي قصة "الولوج السري" مفعمة برائحة البحر والزهر والزعتر والشيح والتين البيوض كونها تعود إلى أيام جميلة ماضية عاشها البدوي الصغير مشاكسا في حضن أجداده قبل أن تتحول البهجة إلى القتامة وتتحول القتامة إلى عتمة نمارس لها طقوسا لا نخلفها من كثرة تكرارها.

وفي "حراس الأعمدة" ترتسم أيضا مجموعة من الصور المخاتلة لتفسير دلالة العنوان فأي نوع من الحراس وأي أعمدة؟ وطبقا للثقافة الجمعية فالحراس تحيل فورا إلى الشرطة أو ما شابهها من مهن تتعلق بحماية ممتلكات وغيرها. وتظل الصور والخرائط الذهنية تتتابع لكل ما تحيل إليه كلمة أعمدة، حتى إذا ما دخلنا وقرأنا تتبدى لنا مفارقة العنوان واختلافه تماما عن كل خارطة ذهنية سابقة. فالحراس ما هم إلى مجموعة من الشباب المستنسِخ للحضارة الغربية يقفون مستندين على أعمدة الانارة يتربصون بفتيات المدارس عند خروجهن من المدرسة. ويمضي الكاتب في رسم الصور بكلمات مراوغة قادرة على الايحاء بصور متعددة يغلب عليها القتامة ولربما جاء بقصة "طوير الجنة" ليخبرنا بألا نجزع فهذا هو المعتاد وأن المكابدة هي فعل الحياة المعتاد ولا خلاص إلا في الجنة حيث تتحقق الاحلام وتتبدل الحياة رحبة بأعشاش واسعة وعيش هانئ رغيد ورزق وفير .

وفي أبسط القصص من حيث الموضوع والتناول يأتي على سبيل المثال قصة "قميص الرجل الأكثر وسامة" لترتسم على الفور صورة ذهنية لقميص يوسف بن يعقوب، فهو كان أوسم رجال عصره،

ولقميصه شهرة في التاريخ، وتتداعى أحداث قصته مع اخوته ولا يتوقف تسلسل أحداث القصة إلا بعد أن نقرأ ونعلم أنه الموضوع الأزلي الرجل والمرأة وصراعهما المكرور مع الغيرة .

وأيضا في "كان نومه وشيكا" واشارة إلى شخص ما نظن أنه عشيق للزوجة أولا من اللغة المستخدمة مثل" صحت.. هيه أنت أترك امرأتي..." ثم يتبين أنه وليدهما. وهكذا في قصص "طقوس العتمة " أمثلة كثيرة توضح كيف من الممكن استخدام الكلمات بعيدا عن صورها القريبة المتجسدة في الذهن، ليوحي بها الكاتب إلى أشياء مغايرة من جانب ليرسم بها القارئ صورا تختلف باختلاف ثقافته وبيئته من جانب وما يتوقعه من جانب آخر، وكل هذا تشترك فيه الكتابة الإبداعية وفرضية الخرائط الذهنية وهي فرضية من فرضيات علم البرمجة اللغوية العصبية الذي نشأ في أوائل السبعينيات على أيدي مؤسسيه جريندر وباندلر.

بين الفقد والانتظار وسردية الدفقة الشعرية قراءة في ديوان "ينتظرونك"

"سمائي عميقة ولا تتغير /
كل ما أحببته يولدُ بلا انقطاع/
ودائما كل ما أحببته في بدايته"
أوديسيوس ايليتيس

محمد عطية محمود – مصر

في ديوان "ينتظرونك"1 للشاعرة الليبية "خلود الفلاح"2، تبدو العلاقة المتأرجحة بين الدفقة الشعرية، وما تنتجه من حالة سردية تتراوح بين الاختزال المكثف، وبين التفاصيل التي يحملها السرد لتلك الدفقة، والتي غالبا ما تحمل حكاية متوارية خلف ركام التفاصيل المقتضبة الدالة، كمفردات للحياة ودالة عليها من منظور فردي ذاتي يطمح لإسقاطها على درجة أرقى من درجات الوعي أو المفهوم الإنساني العام الذي قد يصل ببعض الأمور إلى حد الفلسفة أو ربما اللعب على حافتها المشغولة بالهم الإنساني التأملي في بعض الأحيان، وهو ربما ما عبر عنه المفتتح باستعارة مقولة أوديسيوس ايليتيس: "سمائي عميقة ولا تتغير/ كل ما أحببته يولدُ بلا انقطاع/ ودائما كل ما أحببته في بدايته".

ذلك المفتتح الذي يؤسس لفلسفة التعامل مع نصوص/ ومضات الديوان، كما يمثل عتبة مهمة لها، ويؤصل قيمة معنى استمرارية الفقد المتواري، مع استمرارية استيلاد هذا الفقد من رحم الحياة والتجدد، والمرتبط دوما بمفردات دالة على هذه الحالة تنتشر في تضاعيف الدفقة الشعر/ سردية، فيتجسد الولوج

إلى باب الحياة وتداعياتها - كنموذج - برؤية الشاعرة التي تتكيء على اللون الأزرق/ الحلمي/ الأثيري في نعت الباب، الموارب، وهو المُعرَّض لتمام/ اكتمال فتحه في أية لحظة، كاشفا عن المسكوت عنه من الحكايات التي تلوكها الألسنة، ربما خفية؛ ليتأنسن الباب متخذا فعل الهذيان الإنساني بفلسفة التعبير عن الأزمة الكامنة تحت السطح الهاديء، في قولها :

"باب أزرق/ موارب/ يهذي/ بحكايا الجيران/ لعابري النسيان"

وهو مما يعمق مدى الإحساس بطعم الانتظار الجاف، بالمعنى المتواري خلف الباب المراوغ والمخاتل لكل مِنْ مَنْ في الداخل والخارج على حد السواء، ولأزمة عدم التواصل معه، والتي يمثلها التعبير بـ "عابري النسيان"، بالرغم من وجود عنصر الحكايات التي تلوكها الألسنة، وهو الذي يتكامل مع المشهد السردي الخارجي من خلال معطياته الكاشفة الراصدة للأحاسيس، وكذا الإحالات الحسية التي تسقطها الدفقة على الجانب المادي الخارجي بتأصيل اصطباغ الماديات بالحس المعنوي المتكون داخل الذات والمشمولة بتداعيات الشعور به، في:

"الشارع حزين/ كرائحة جوع/ الكرسي مهمل/ كنفس مهترئة"

وهو ذاته/ الشارع الذي يحتمي منه الداخل بهذا الباب الموارب، وهو الذي يحمل في فضائه رائحة الجوع، المتلازمة مع الخواء الذي يبدو تأثيره البالغ في صورة "الكرسي المهمل" الذي تحوَّل بفعل الإبداع الشعري إلى ذات تتنفس ولكنها مهترئة، فهو الباب الذي ربما وارى، فيما يواري، جسد الجد/ التاريخ الذي تحوَّل في ضمير الشاعرة/ الساردة إلى حالة غيبوبية تأخذ كل شيء في تضاعيفها، حين تهذي بالغيبوبة، والتي تتخذ سمتًا جماليًا هنا باستمرارية الإحلال محل الإنسان/ الجد/ التاريخ، الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة :

"غيبوبة/ تتمدد/ على سرير جدي/ المحتفي/ بالمشهد الأخير"

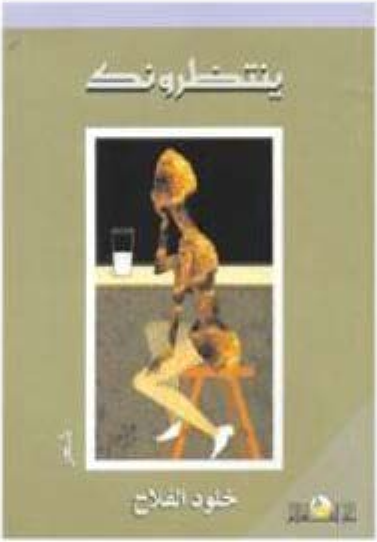
كما يجسدها الشعور باكتمال مسلسل الفقد وتسلله وتدرجه لينتقل هابطًا إلى الأم التي تتآلف مع الإحساس بفقدها كل الأشياء اللصيقة والعناصر المحيطة بالذات الممعنة في إحساسها بالفقد والخسارة وتأثير الزوال:

"الخليوي نائم/ الصحيفة بائتة/ التلفاز مكتئب/ الصحون باردة/ دون شوربة أمي "

فالمفردات هنا تصمت وتحتفظ بهمود الفقد/ الموت في دلالة الخليوي، والاقتران بالأمس بالقبوع في متن أحداث قديمة بائتة تأتي في سياق جريدة قديمة مهملة، أخبارها بائتة بلا معنى، وصحون تفتقد حرارة ما كانت تطهوه الأم، إمعانًا في تقنية استنطاق الأشياء واللعب على ظلال الفقد والانسحاب لبيان تأثيره المعنوي على المكان المادي ..

بحيث يبرز دور الإحالة التي تراهن عليها الدفقة الشعرية، لتشكل وعيًا بجماليات المكان الداخلي الخاص المنغلق على الذات وهمومها، والذي يتحوّل إلى مشهد عرض غيبوبة الجد، شبه الأسطوري الذي تحتفي به الدفقة/ الشاعرة، بأسلوب فلسفي تنحو إليه؛ لتعبر بأقل عدد من الكلمات الدالة المقتضبة التي قد تمثل كل منها على حدة سطرًا شعريًا منفصلًا مشحونًا، محملًا بطاقة حسية عالية جدًا ومرهفة وملتصقة بمفردات المكان الذي يعطي إشاراته ودلالاته، والتي تتوالى معها تلك المفردات للولوج في المشهد السردي الذي تتكيء عليه اللحظة الشعرية في انتقالها من الداخل الخاص إلى الخارج العام:

"الغرفة العارية/ تقرضني/ غبش الخطى/ في الطريق الطويل"



فالغرفة العارية بالداخل تسقط الدفقة الشعرية دلالة عريها، وبرودتها المتسقة مع البرودة التي خلفها فقد الأم، ومن ثم انكشاف الغرفة المقحل، على الطريق/ العام المفتوح على العالم الخارجي من حول الشاعرة/ الذات المتألمة التي تتحلق حولها الدفقات، وتحوم مفرداتها دالة على هذا الاستيحاش الذي تشعر به الذات المفردة، لينطلق على العالم باسطًا هيمنته ..

كما ينتقل التعبير الحسي ليتمثل بالصوت الداخلي القادم عبر وسيط موسيقي/ صوتي هو البيانو الذي تتحول ترانيمه وألحانه المعنوية إلى مفردات مادية تمثل

عناصر متعددة من عناصر الحياة وفعالياتها:

"عازف البيانو/ يقسم الترانيم/ إلى:/ حقول/ وفراشات/ ورتابة/ ومقاهي نت/ ومستشفيات/ ومشاعر/ وتخفيضات هائلة "...

إلى هنا ويتمثل الحلم المرتبط بالاحتياجات التي يود ضمير الشاعر في خلقه أو إعادة إنتاجه على سطح واقع صعب مغاير، ليكتمل به ملء الفراغ الداخلي أولاء طمعًا في امتلاء خارجي/ ظاهري يمور بالحياة وفعالياتها المشتهاة بالرغم من تباينها واختلافها وتقابلها، ليبسط بساطه على الواقع المحيط ليكون واقعا بديلًا متخيلًا، لكن اكتمال الدفقة يضع حدًا دراميًا لما يمكن أن نسميه حلم يقظة، تقطعه الخاتمة:

"عازف البيانو/ بنظارته العتيقة/ التهم أصابعه"

تأتي هذه الخاتمة، بكونها مفارقة سردية تجسد واقعًا ماديًا معاكسًا لحالة الخلق الإبداعي التي توازت واتسقت مع ما يمور بداخل الذات الشاعرة، ليوغل في الإحباط الذي يشمل الداخل ويخيم بالتالي على الخارج الحقيقي، بإسقاطه عليه، حيث تمثل النظارة العتيقة معادلًا موضوعيًا لعدم القدرة الجيدة على إبصار الحقائق، المناقضة تمامًا لما ساقته الومضة من أوهام غير قابلة للتحقيق على أرض الواقع الجدب، وهي الحالة التي ربما تؤكدها، ويكملها النموذج:

"حين أفقد ماء الورد/ حين أفقد رائحة العشب/ أتأهب للبكاء"

فهنا يتحقق وجود الفقد المعنوي متمثلًا في رائحة العشب التي تتفاعل معها الحواس، المتعطشة للمادي المتمثل في حاسة التذوق المفتقد التي يمثلها ماء الورد، فيتحوَّل ماء الورد المفتقد المشتهى إلى ماء مالح لدمع العين الذي يكرس لحالة الحزن التي تتلازم مع عملية الفقد.. وهي الحالة التي تكاد تتفق مع الحس المعنوي المنكسر المتغلغل في الدفقة التي تقول فيها :

"قارورة عطر/ مهشمة/ تشتهي/ دروب الأنامل"

حيث تصير هنا القارورة المهشمة، كمستودع فارغ من محتوى عطر الحياة الهارب من النفس وكمعادل موضوعي لها، وكموازٍ للانتحار الذي يقف في طريق الأنامل بجرحها كجزاء على اقتراف فعل الحلم، وهي الحالة التي تكرس لمفهوم فقد الاحتواء الذي قد تمثله القارورة، وفقد الحلم الذي يمثله مفارقة العطر وهروبه كهروب الحلم ذاته، وتبخره.. فهو

ربما كان ذات الحلم الذي تبخر من النافذة التي تقف بين الداخل والخارج، انتحارا على مذبح الانتظار الذي تتوافر له عدد من الومضات التي تتكامل فيما بينها لإنتاج حالة رومانسية مغرقة في الالتحام والانصهار والوجد مع محبوب غامض، تبدو من خلال ومضة :

"مفرش المائدة/ الأنيق جداً/ يحدق/ بحرارة/ خارج النافذة"

وهي التي يتوالى بها المشهد السردي المكون من تلك الدفقات؛ فتبدو بلاغة المقابلة بين حرارة الانتظار، وبرودة كوبي الكاكاو المنتظرين أيضا تحت الشرفة الواصلة أيضا بين الداخل الحسي والخارج المادي، والتي اكتسبت سمة البرودة والانكماش الحسي الذي ينمو بداخل الذات المهجورة التي تعاني مرارة الانتظار :

"كوبا كاكاو/ متعانقان/ تحت شرفة باردة"

هذا بالرغم من كون المسافة الحلمية بين الذات وما تشتهيه، تتمثل في الوعي الذاتي بجنة مشتهاة، تحتبل بالأماني، وتخلق حالة من القرب بين ظلين غير حقيقيين، يتمثلان الحالة المشتهاة من القرب!!

"في المسافة الصافية/ بين ظلينا/ نمت حديقة صغيرة"

وصولًا إلى الحالة التي ربما رصدتها دفقة عنوان الديوان "ينتظرونك"، لتحمل عنوانه ودلالة معاني دفقاته، وهو إضافة الى توفيق الشاعرة في اختياره، تأتي معه الدفقة/ الحالة السردية الملتبسة بالشعر، كتأسيس لوعي جمالي، دال على ما يمور بالنفس من آمال، بمعنى التشبث بالحلم والاقتران بالأمل الذي لا يلوح إلا من خلال مجموعة الأحلام التي تتناقض معها سمات الفقد البارزة والمعلقة على مشجب الحياة/ الذات وما يدور في فلكها، وتدور به هي في فلك الحياة، حيث تعمق وتؤسس لفعل الغياب المترصد لكل فعاليات الأمل بالدفقات، تكريسًا لفعل الانتظار والإذعان لقوانينه، فها هي تيمة التعانق مع حالة الانتظار المتغلغلة في متن الدفقات تعلن صراحة التكريس لهذه الحالة من الفعل اللا إرادي، المنبثق من خاطر الذات المهجوسة بالفقد وآمال الوصل معا، في تركيبة/ حالة إنسانية فريدة:

"ينتظرونك/ الشارع/ المارة/ الباعة/ رجال المرور/ باب البيت/ البلاط/ علاّقة الثياب/ الصحون/ الملاعق/ وكوب الحليب ".

فكل المفردات المادية الدالة على الحياة هنا تواءمت مع الذات بفعل التوحد والانصهار وإحلال الذات العاشقة للحياة

التائقة للقاء، فيها، لتكون مشهدًا سرديًا أبطاله هم كل هؤلاء، الذين يبرزون تعاطفهم المعنوي معها - برغم ماديتهم الثابتة - بتواجدهم على ساحة وعيها المضطرم، والمحفوف بالشوق إلى هذا المنتظر الغامض، ووقوفهم على سر الأزمة الطاحنة التي تعصف بالذات، تلك التي تمني نفسها بنفسها بهذا حلم الاحتواء الأكبر، المكرس أيضا لفعاليات الانتظار، والمؤكد عليه:

"في الشتاء القادم/ سأشتهي لكِ/ صالة/
لا تتجاهلكِ مقاعدها

سأشتهي لكِ/ حائطاً يواريكِ

سأشتهي لكِ/ كعكاً وخبزاً وجبناً

سأشتهي لكِ/ برتقالةً تضيء "

لتنغلق الدائرة بتمام الرجوع إلى نقطة البداية والانكماش والتوحد بالذات الذي يشعل جذوة الأمل لتجابه كل رعشات الاشتهاء المتمثلة في حضن يحتوي الذات من خلال مشهد سردي صرف متكامل، والحلم من جديد بمكان محدد آمن تتواجد به أشياء/ عناصر تتخلى عن جمودها وماديتها؛ لتتحول إلى أشياء معنوية حانية تملك فعل الاحتواء، والحماية، وتوفير ملذات الحياة ومباهجها، والخروج من عتمة الانتظار...

1- "ينتظرونك" . شعر . مجلس الثقافة العام – الطبعة الأولى – 2006.
2- شاعرة وصحافية ليبية، صدر لها: بهجات مارقة، ينتظرونك، طاولة عند النافذة، شعريات ليبية.

قراءة في نص "عفريت"

عائدة النوباني - فلسطين

النص الجميل يأسرك بنعومة ويتحتفظ بك حتى النهاية والنص الجيد هو الذي يحتفظ بك حتى بعد أن تنتهي من قراءته. وكان هذا النص دعوة جميلة من حسام الثني لقراءة نص تتغلغل به العامية كما العفريت بنعومة وخفة لا تزعجك ولا تبعدك عن النص بل إنها أتت بذكاء أو هي طريقة خاصة بالكاتب لتجعل للنص بُعداً إضافيا...

فـ(جليانة) الصبية الحسناء "بنت العشرين... تقبض بكفها ع الريح وتخلق المعنى" وكأنها جنية رغم هذا "أنتِ بنت يا جليانه وتعرفي معنى السجون... أنتِ بنت يا جليانة وتعرفي معنى قيود الآخرين" النص أتى بخفة شديدة ليقوم بـ".. ونويت نشيطَن نهزّ عرش المجتمع" فالنص رغم براءته الظاهرة إلا أنه بحدة غرس سكينا حاداً في وجه المجتمع الذي يقيد الحريات، حرية المرأة على وجه الخصوص ولم يترك النص من هذه القيود إلا وأتى به " قاتل احساس إنك تكوني رهن آوامر آخرين" فبدأ بحرية الاختيار، ثم "تفقدي احساسك بوجهك لما ينتزعوه منك" ثم بالنقاب الذي يحول وجه المرأة إلى عورة "لما تشتهي ملح البحر، ومات تشميه" وهنا أتذكر دعوة حكاية ساذجة لكاتب أراد كتابة نص روائي (إسلامي) فجعل بطلة العمل تذهب إلى البحر وتسبح به... بحر لا أدري إن كان على الأرض أم في كوكب (ملكية خاصة) ثم "لما تحتاجي فنجان قهوة مع صديق.. ويجرّموك" وهنا لم يأت النقد فقط لمسألة الاختلاط التي يحرمها المجتمع ولكن أيضا للأفكار المنحرفة التي تجعل من كل رجل يجلس مع امرأة أو يتحدث إليها هو حبيبها أو بينهما علاقة محرمة.."أو تفردي شعرك جناح الريح"

وهذا نقد آخر للحجاب الذي تغطي به المرأة شعرها... والذي كان له وقع أعمق على "جليانة" من الانتقادات الأخرى فهي "ما تحب شي يهز اركانها ما تبي كفر استغفر الله العظيم تبي سلام" والحقيقة هنا ابتسمت فهل كانت دعوة الكاتب لهذه القصة بالذات لاحتوائها على العامية التي لم أفهم منها كلمة في نص سابق له أم هي تحدٍّ لقراءة النص الذي ينتقد حقوق المرأة وحريتها و(حجابها) الذي أرتديه؟

"تبي سلام حتى إنكان على حساب ضلوعها" الحقيقة أن النص ماكر وجميل بنقده اللاذع للمجتمع ولكل ما يفرض على المرأة وحتى لا يسيء البعض الفهم فالنقد له وجهان فهو ضد القيود والنقاب والحجاب وعدم الاختلاط ولكنه أيضا مع رغبة المرأة الأصيلة بالحرية والتحرر من كل القيود، فليس أروع من أن تترك امرأة شعرها للريح ولا أجمل من أن تترك جسدك عاريا تماما بين كفي الماء المالح، لكن هنا وبعيدا عن (الغضب) الخفي الذي يغلف النص و(النقد الشرس) الذي أخفته ببراعة لغة جميلة وعامية ناعمة... بعيدا عن كل هذا أود الإشارة إلى أمرين في غاية الأهمية وهما أن المرأة وحدها تقرر إن كانت تخضع لهذه القيود (وهي كارهة) أو تخضع لها لأن (هذه الحياة لم تأت لتحقيق الرغبات) وحتى لا ندخل في متاهات يميل لها البعض فالنص خاص وليس عاما بدليل النهاية الحزينة، التي فرقت الأحبة، وفصلت جليانة الجميلة عن حبيبها العفريت الذي لا "يعلم الغيب" لكنه يعرف "نظرة الوداع" النهاية محزنة وهي لا تختلف عن كثير من الحكايات المشابهة التي يفترق بها العشاق لاختلاف وجه نظر كل منهما في مسألة أنا أعتبرها شخصية ولا يجوز أن يفرضها أحدهما على الآخر... فالقناعات مرتبطة بشكل أساسي بالشخص بحريته ومصيره بعلاقته بربه وبنهايته. ..

النص رائع وله أبعاد عميقة وأكبر بكثير مما قدمه لنا الكاتب وهذا بالضبط النص الذي يعجبني بصرف النظر إن اتفقت أو اختلفت مع أفكاره فهو نص جميل وعميق وذكي جداً باستخدامه العامية والقصة الدينية لتقديم قصة تكررت في كثير من الكتابات ونهاية لا تبتعد كثيرا عن قصص العشاق التي تنتهي بالفراق... لكنه فراق "طلوع الروح..."

روائح الزمن الرديء

د. الصديق بودوارة

(في العصر الذي نتحدث عنه، هيمنت على المدن رائحة نتنة لا يمكن لإنسانٍ من عصرنا الحديث أن يتصور مدى كراهتها. فالشوارع كانت تنضح برائحة الغائط، وباحات المنازل الخلفية برائحة البول، وأدراج البنايات برائحة الملفوف المتعفن وشحم الخراف.

أما الغرف غير المهواة فقد كانت تنضح برائحة الغبار الرطب، وغرف النوم برائحة الشراشف المدهنة واللحف الرطبة المحشوة بالريش، وبالرائحة النفاذة المنبعثة من المباول.

من المدافئ كانت تفوح رائحة الكبريت، ومن المدابغ رائحة قلويات الغسيل الواخزة، ومن المسالخ رائحة الدماء المتفسخة، أما البشر فقد كانوا ينضحون برائحة العرق والملابس غير المغسولة. من أفواههم كانت تنبعث رائحة الأسنان المتعفنة، ومن بطونهم رائحة البصل. وإن كان العمر قد تقدم بهم قليلاً فقد كانت لأجسامهم رائحة الجبنة العتيقة والحليب الحامض والأمراض الورمية.

كانت الروائح الكريهة تفوح من الأنهار والساحات ومن الكنائس ومن تحت الجسور. ومن القصور.

كانت رائحة الفلاح كريهةً كرائحة القس، ورائحة الحرفي المتدرب كرائحة زوجة المعلم. كانت طبقة النبلاء كلها تنضح بالرائحة الكريهة، بما فيها الملك نفسه الذي كانت تفوح منه رائحة حيوان مفترس، ومن الملكة رائحة عنزة شمطاء)

*

باتريك زوكسيند. رواية العطر

هكذا أبدع الراحل "زوكسيند" في وصف واقع خال استفزه في فرنسا القرن الثامن عشر، ورغم أن هذه الرواية الأسطورة احتوت على العديد من مفاتيح الابداع الذي وصل إلى حد الذهول ، إلا أنها أيضاً أصبحت قاموساً بحد ذاته لمفردات تصنيف جديد من نوعه، إنه تصنيف يقوم على تقسيم الكائنات والأحداث والأمكنة والمشاعر إلى مجاميع، ليس بحسب الزمن أو الكيفية أو الاسلوب، بل بحسب الرائحة.

إن "زوكسيند" يقدم لنا خلطةً جديدة لمعالجة الزمن، فيبدع في التحليل والوصف، ويمعن في الغوص عميقاً في بحر الروائح حتى يصل بنا أحياناً إلى مادون خط الجنون بأقل القليل.

لكل شيء رائحة، هكذا يشرعن "زوكسيند" منهجه ، فهل يجوز لنا الآن أن نستعير من هذا المبدع بعضاً من سطور نظريته العظيمة ؟

لكل شيء رائحة، هكذا صرت استعرض المشاهد من حولي بعد هذا الانهيار الكوني البشع في كل ما يحيط بي. فهل كان "زوكسيند" يتنبأ بما سيحدث بعد كل تلك السنين؟

لكل شيء رائحة..

عبثاً حاولت أن أتخلص من هذا الهاجس، حتى أني تخلصت من نسخة الرواية السر، الرواية التي أوحت لي بهذا اليقين الذي لم يفارقني إلى الآن، لكن محاولاتي ذهبت أدراج الرياح، وها أنا أعود من جديد إلى محاكاة "زوكسيند" في تفصيله المدهشة لخارطة ما يحدث.

لكل شيء رائحة..

للفوضى رائحة ريح عاتية، وللفساد رائحة كارثة قريبة، وللخيانة رائحة ذنب ينفذ بجلده ، وللاغتيال رائحة شجرة تحتضر، وللمفاوضات المريبة رائحة أمر دبّر بليل.

*

لكل شيء رائحة..

لخلافات "الخواجات" بشأننا رائحة درب غامض، ولاستغراقنا في الجهل رائحة عصفور أعمى، ولنوايا المتربصين بنا رائحة ذئبٍ يترقب بلا ملل.

لكل شيء رائحة..

للأنذال الذين لا يدركهم المرض ولا ينال منهم الموت رائحة قدر غاشم، وللصوص المحترفين رائحة نوم متقطع، وللسفلة الذين يعتلون المناصب رائحة خطأ جسيم.

لكل شيء رائحة..

للمجالس البلدية رائحة طاولة عرجاء، وللدوام الرسمي رائحة مخمور يترنح، وللرواتب الخيالية رائحة طاووس قبيح، ولنواب الشعب رائحة نكتة بليدة.

لكل شيء رائحة..

لصندوق الانتخاب رائحة مكب قمامة، ولألقاب الفخامة والمعالي رائحة مهزلة سخيفة، ولوجوه الساسة رائحة لوح ثلج سميك.

لكل شيء رائحة..

لأوباش العصابات المسلحة رائحة زمنٍ لعين، وللشوارع الخائفة رائحة فأر محاصر، وللمال المنهوب رائحة جرح غائر، وللضمير الميت رائحة قبرٍ لا يزوره أحد.

لكل شيء رائحة..

للفقراء الذين داستهم عجلة الأحداث رائحة زهرة تعاني من وطأة سواد الأسفلت، وللطيبين الذين تلاعبت بمصائرهم سكاكين السفلة رائحة قطعة لحم تجت رحمة جزار.

لكل شيء رائحة..

روائح بلا عدد، ووجع بلا حدود، فيما تظل رواية "زوسكيند" تحفر عميقاً في تربة ذاكرتي وكأنها تروي لي من جديد حكايةً كنت اعتقد أني حفظتها عن ظهر قلب.

عبدالسلام شلوف قاصاً

حسين نصيب المالكي

التقيت به في أواخر يوليو سنة 1986م، في مطابع الثورة بنغازي، كنت أسمع عنه من خلال اقاربه في طبرق والبردي، بعد أن عرفني به مدير المطابع حينذاك الأستاذ عبدالسلام المغربي، قائلا لي:- هذا الصحفي من عندكم من البردي.

صحفي أديب كريم ومضياف، لا يعرف التكلف أو الكبرياء، كلفته يومها مشرفا على صحيفة البطنان، قبل تكليفه كنت أسمع عنه، وأتابعه في التلفزيون في برنامجه رحلة عبر المدن الليبية، واستمرت لقاءاتي معه مع كل عدد من الصحيفة، بل زارني في طبرق، وشارك معي بتصوير استطلاعات الصحيفة، عن منطقة البردي، وعن مدينة طبرق وغيرها..

هذا الأديب/ هو عبدالسلام محمد فرج شلوف، ولد في البردي سنة 1940م، انتقل لمدينة درنة لمواصلة دراسته الثانوية، سنة 1954م ثم انتقل الي مدينة بنغازي لمواصلة دراسته الجامعية، والاستقرار فيها مع زوجته وابنائه، وبعد حصوله على ليسانس الآداب، تحصل على ليسانس قانون، كما تحصل كذلك على ليسانس السياحة من المكسيك، ثم تحصل على ماجستير تاريخ قديم سنة 1984م، ثم دكتوراه من جامعة قاريونس سنة 1992م.

قدم للإذاعتين المرئية والمسموعة مجموعة من البرامج، من أبرزها برنامج رحلة عبر المدن الليبية، والذي قام فيه المذيع عبدالسلام شلوف، بجولة شملت مناطق الوطن كافة، واستفاد من تلك الرحلات للمدن والمواقع الليبية، بإصدار كتاب عنها، صدر عن دار مكتبة الفضيل بنغازي، بمناسبة المهرجان التاسع للفنون

الشعبية في ليبيا، وقدم كذلك برنامج خمائل وبلابل، وبرنامج بين العامية والفصحى غيرها.

كان يكتب المقالة والبحوث والدراسات التاريخية، صدرت له العديد من الكتب التاريخية من بينها نقوش ونصوص سنة 1994م مركز الجهاد الليبي، ثم كتاب الأسماء القديمة للمدن والقرى الليبية، صدر سنة 2002م، عن مجلس تنمية الابداع الثقافي.


الكاتبان؛ حسين نصيب المالكي، وعبدالسلام شلوف.

كما عمل استاذا متعاونا مع العديد من الجامعات الليبية منذ سنة 1990م، مثل جامعة قاريونس، وجامعة اجدابيا، وجامعة سلوق، وجامعة طبرق، وجامعة المرج، وجامعة قاريونس، وجامعة درنة، وجامعة عمر المختار بالبيضاء، وأكاديمية الدراسات العليا بمصراته، وأكاديمية الدراسات العليا بمدينة بنغازي، وكذلك جامعة محمد بن علي السنوسي الاسلامية.

نشرت استطلاعاته عن المدن الليبية في مجلة المشعل ومجلة الثقافة العربية الى جانب أبحاثه التاريخية، وإشرافه على الرسائل العليا في الماجستير والدكتوراه، ومشاركته في الندوات والأمسيات الثقافية في المدن الليبية، كان عضوا برابطة الأدباء والكتاب الليبيين، وعضوا برابطة الصحفيين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب.

أيضا اهتم بالتراث الشعبي وكان يجمع نصوصه، منذ كان صغيرا، سواء كانت غناوة العلم، أو الشتاوة، أو المثل الشعبي الليبي، من خلال اسفاره العلمية والسياحية، وصدر له عن مكتبة دار الفضيل بنغازي، الثلاثية التراثية الغناوة والشتاوة والمثل الشعبي، ثم كتاب هجاوي الرحى سنة 2009م، وعن مجلس الثقافة العام صدر له كتاب غناوة العلم دراسة ونصوص.

وفي اللغة العربية أصدر ديوان شعر بنغازي عن مطابع الثورة، القصائد التي قيلت في مدينة بنغازي، وكذلك ديوان مدينة طرابلس، جمع القصائد التي قيلت في مدينة طرابلس ونشرت في كتاب سنة 2008 م، عن دار الفضيل للنشر والتوزيع والعديد من المخطوطات مخطوط عن ديوان درنة وغيرها.

كرمته هيئة الصحافة في ليبيا سنة 2010م، في احتفال بهيج حضره مدراء فروع الهيئة وكذلك بحضور لفيف من الصحفيين والكتاب والأدباء. نشر انتاجه في جميع الصحف والمجلات الليبية كما أشرف على بعضها في المطابع، حتى اقعده الكبر والمرض.

وأخيرا علمت أنه كتب القصة القصيرة أيضا، منذ الستينيات، وكانت له أول قصة بعنوان سالمة سنة 1962، التي نشرت في صحيفة بريد برقة، بل وله ثلاث مجموعات قصصية مخطوطة، لم تصدر بعد في كتب، واطلعت له على العديد من قصصه القصيرة، موزعة هنا وهناك على صفحات الصحف والمجلات الليبية.

القاص عبدالسلام شلوف دائما يحب أن يعنون قصصه بأسماء النساء: من قصة سالمة الي قصة مبروكة الي قصة حنان مجلة المشعل العدد 74 سنة 1994م، وهاتان القصتان يهديهما الي ابن اخته الشاعر علي الخرم.

قصة مبروكة طويلة وهي تحكي عن الزوجة المثالية في حياة زوجها الشاعر العبثي، والتي لم يتألم ويتوجع إلا عند فقدانها ووفاتها شعر أنه فقد شيئا كبيرا في حياته ولن يستطيع الزواج بعد وفاتها، لأنه لن يجد مثيلا لها أما قصة حنان فهي عن نفس المضمون ولكنها كانت ومختزلة القصة.

أوعن المكان كما في قصة الوكر فتحكي عن ضجر الزوجة وقلقها من المدينة والعيش فيها وحب قريتها مسوس والعودة اليها مع زوجها لعكس حب الهجرة من الريف الي المدينة التي وردت في قصص العديد من كتاب القصة القصيرة في بلادنا.

أما قصة خسارة التي نشرها القاص بمجلة الاذاعة الليبية في العدد 15 سنة 1964م، فهي تتناول موضوعا شيق عن الحب بين طرفين بالرسائل، وعندما تحث المقابلة يفاجا انهل ليست هي التي كانت تكتب له الرسائل الجميلة المنمقة، بل صديقتها وأن من يحبها، هي أمية لا تقرأ ولا تكتب:

(وظل يردد فيما يشبه الجنون أو الهذيان:

-خسارة غريبة عجيبة خسارة.

بينما صورة حليمة تتراقص أمام عينيه، فيتمنى لو كانت مكان فتحية ولك الحياة لا تعطينا ما نريد وضرب كفا بكف وعاد يردد :- خسارة خسارة).

وله العديد من القصص القصيرة الأخرى مثل سامحيني وغيرها، قصص عن البطولة والجهاد وعن العلاقات الأسرية الجميلة في زمن الستينيات. نشرها القاص في صحيفة قاريونس من بينها اضداد وإيمان والربيع وذات اللثام وغيرها ..

وقصص عبدالسلام شلوف قصص شيقة، يهتم فيها كثيرا باللغة وهي قصص شاعرية كلاسيكية تعالج مشاكل المجتمع الليبي في فترة الستينيات، تعتمد على البداية والوسط والعقدة والنهاية، ولديه قصص مأخوذة من التراث الشعبي الليبي، مثل: غناوة وقسامي وغيرها من القصص عن الجهاد الليبي ومشاركة المرأة ودورها في تلك المعارك.

أرواحنا في الليل

رزان المغربي

لطالما عذبتني مشاهدة أفلام مقتبسة عن أعمال روائية، وبالذات تلك الأعمال الكلاسيكية في الأدب العالمي، حيث تتشكل الصور والأمكنة كما رسمت ملامحها في خيالي، وهناك فرق لابد من الإشارة إليه على مستويين صناعة الفلم اولاً وابتعاده عن تفاصيل الرواية ثانية، فالأعمال تتحول إلى (عربيا وأجنبيا) إلى السينما لتصبح ملامح الأشخاص ممهورة بإداء الممثلين وصورهم المعروفة، وسوف أكون مباشرة في الانحياز إلى صناعة السينما الأجنبية فهي مهما قست على خيالي، لابد أن تقدم فنا راقيا يعتمد على صناعة حقيقية عكس السينما العربية. وهو ما قد يشكل المستوى الثاني من الخيبة

وحتى لا أبتعد عن موضوع المقال وهو قراءة تلخص الأبعاد النفسية للإنسان بعد أن يتجاوز السبعين من عمره، كيف تصبح حياته مرهونة للأطر الاجتماعية المتعارف عليها، أيام تمر تتشابه لاجديد ولامشاريع تبدأ ولا انتظار نتائج تظهر سوى انتظار مواعيد الأطباء والجلوس في المنزل معانقا الوحدة. شاهدت (أرواحنا في الليل) فيلما تجسد فيه دور البطولة (جين فوندا) بدور (أدي) مع (روبرت ريدفورت) بدور (لويس)، والفيلم اقتبس عن رواية الامريكي المعاصر (كينث هاروف) وكانت هذه آخر أعماله، ويمكن القول أن هناك إيقاع هادئ تجري فيه الأحداث وقد تكملت الظروف لتصنع هذا الإيقاع، فهي تتناول حياة أمرأة تجاوزت السبعين وجارها الذي يسكن في ذات الحي مقابل بيتها، وفي أحد ضواحي ولاية كولاردو، في قرية صغيرة أو مجمع سكني قريب من المدينة، هناك الجميع يعرف بعضه البعض، ليس بالضرورة وجود علاقات صداقة بينهم، إنما مثل كل التجمعات

الصغيرة الهادئة يتم تناقل الحكايات بالنميمة وجلسات المقاهي، وبعد مضي ما يقارب الاربعون عاماً على هؤلاء الأشخاص يتشكل انطباع عام لكل فرد منهم على الآخر.

يبدأ الفلم بمشهد زيارة البطلة أدي (جين فوندا) لجارها لويس (روبرت رديفورت) ويفتح لها الباب والدهشة تعلو ملامحه، لكنها بكل بساطة تطلب منه أن يأتي إليها في بعض الليالي ليمضيان الليل معا وينامان سوياً، وتوضح مباشرة أن ليس هدفها إقامة علاقة جسدية، أو عاطفية، فقط ليتحدثان !



ونراه يفكر في الأمر ثم يقرر أن يجرب ويحمل كيس بقالة ورقي فيه منامته ويدخل إلى بيتها من الباب الخلفي ويخرج منه صباحا، كانت الليلة الأولى غريبة وهامسة، و(أدي) لم تكن ثرثارة كانت تحب الاستماع، تتكرر الزيارات وخوفه من أن يراه الجيران، لكنها تصمم أن يجري كل شيء في العلن متحدية النميمة وتصبح أحاديثهم حول الذكريات والماضي لكل منهما، فهي تعلم أنه مر بمرحلة وترك زوجته لفترة بعد أنعشق امرأة تسكن في الحي لكنه عاد إلى بيته واستمرت حياته،

وتخبره كيف فقدت طفلتها لأنها لم تراقبها جيدا، وهي تلعب مع شقيقها في الحديقة مما اثر على علاقتها بزوجها وابنها فيما بعد .

في الأيام التالية تتصاعد الأحداث وبنفس الإيقاع الهادئ، حيث يذهب لويس صباحا كما اعتاد إلى المقهى الذي يجمعه بأصدقائه المتقاعدين، ويسمع تلميحات لعلاقته بالمرأة التي يزوره كل ليلة مما يجعله يمتنع عن ارتياد المقهى، لكن الأحداث والقصص تتشابك، ويأتي ابنها من المدينة ويستنكر تلك العلاقة ثم يطلب منها رعاية ابنه (جيمي) لأنه في حالة انفصال عن زوجته!

وكان لحضور الطفل الذي يعاني من الخوف والقلق دور كبير في توطيد العلاقة بين (ادي) و(لويس)، حيث يأخذ (لويس) دور الجد الحقيقي ويفتح له قبو بيته وقد خبأ فيه قطار يخص ابنته الوحيدة حينما كانت طفلة، ثم يشتري له كلباً، ويعتد الطفل على تلك الحياة وأن لجدته رفيقاً يصحبهم إلى التخييم في غابة قريبة.

مع الوقت نكتشف المعنى العميق الذي يقدمه العمل حول معنى الوحدة ومعنى الزمن وكيف يمكن أن يكون مصدر قلق أو مصدر بهجة وتغير في حياتنا بعد أن اعتدنا على نمطية حياة المتقاعدين العجائز، ليس الهدف تلبية الرغبات الجسدية بقدر العطش إلى الرفقة والمؤانسة الروحية العميقة .

وتوالى الأحداث وتتطور بطريقة منطقية لما بدأت عليه، من مغامرة الخروج عن المألوف، ونرى تلك العلاقة تتطور رغم معارضة الابن الذي يعاني مشاكل عائلية ولا يرى في أمه إلا الجدة لابنه وعليها تحمل المسؤولية، لكن الرهان يبقى حول ما زرعته في قلب جارها من تغير لعالمه ودخول الألفة بينهما، وترضخ لرغبة ابنها وتسافر إليه لرعاية الحفيد لكن جارها يرسل اليهم القطار ومعه هاتف جوال ونرى في نهاية الفلم وهي تقرأ القصة لـ(جيمي) حتى ينام، ثم تهرع إلى الهاتف ليستمر الحديث مع جارها قبل أن تنام .

(أرواحنا في الليل) عمل بديع يلخص لنا سيرة أرواحنا الشابة التواقة للآخر وأنه يمكن اكتشافها والغوص في الذات حتى في المرحلة التي يظن الأخرون أنه علينا الاكتفاء بما رسموه لنا من أدوار في الحياة .

وهكذا يمكن أن أعود إلى التأملات التي بدأتها حول الرواية والسينما، حيث طيلة مشاهدة العمل، ولنهايته، كان يتوارد إلى خاطري رواية (ماركيز) (غانياتي الحزينات)، والتي كتبها تحت تأثير رواية (موراكمي) (الجميلات النائمات)، وكلاهما

عـن رجـل فقـد قدرتـه الجنسـية ولكنـه يبحث عن الحميمية في الليل، صحيح أن ذلـك البحــث غريــب في اختيــار فتيــات صغيرات، ولكن أليس هناك عوالم خفية للناس حينما يبلغون سن الكهولة؟

كثير مـن هـذه العـوالم لا يكشـفها إلا عمـل روائي يهـتم بـالروح الإنسـانية يبحـث عـن أسرارها ولواعجها، فيما لا أتذكر أن الرواية العربية عالجت مثل هذه الموضوعات، وحتى السينما العربية تذهب نحو البطل الشاب والفتاة المراهقة، وكأنهم يؤكدون على واقع مجتمعنا بأن الكبار أمرهم محسوم عاطفيا ورغباتهم في طي النسيان!

المهدي القنطراري .. ودوره في إسقاط هتلر

د.أحمد إبراهيم الفقيه

كان ركن الخطابة في حديقة هايد بارك بمدينة لندن، يشكل معلماً من معالم الاستقطاب السياحي، يقصده القادمون إلى العاصمة البريطانية من العالم الثالث، لاستنشاق عبير الحرية ومشاهدة أناس يخوضون في القضايا السياسية والدينية، دون حسيب ولا رقيب، ويتحسرون لأنهم في بلدانهم يحاسبون على كل همسة يهمسون بها لا ترضي الحاكم، كما يمكن لكلمة واحدة أن تكون سبباً في سجن أو إعدام المواطن، وكان أكبر زحام عربي عرفه هذا الركن حصل بعد حرب يونيو 67 فيما سمي بالنكسة، واحتدم فيه النقاش بين العرب وخصومهم أنصار إسرائيل، حيث كانت المشاعر في أوج غليانها، وكان الناس القادمون من الشرق الأوسط يقصدون ركن الخطابة يومي السبت والأحد وهم يتربصون ببعضهم البعض، وكان البوليس حاضراً لفض أي اشتباك لأن النقاش أحياناً يحتدم ويتحول إلى عراك بالأيدي وليس بالألفاظ فقط، وكنت موجوداً أيامها للدراسة، مفجوعا بالهزيمة التي مني بها العرب على أيدي الجيش الاسرائيلي، أحرص كل عطلة اسبوع على ركوب القطار ومغادرة مدينة الدراسة لانكستر للمشاركة في معارك الهايد بارك السياسية، حيث كنت التقي بأصدقاء عرب في حالة استنفار دائم للمواجهة والدخول في نقاش فكري مع الأطراف المعادية للقضايا العربية، ونشأت في إحدى الأيام حلقة نقاش حول طرد اليهود من ليبيا، وكانت القضية ساخنة، لم تمض سوى أشهر قليلة على حدوث النزوح اليهودي من ليبيا وإفراغها من آخر يهودي كان يعيش بها، وأحضر اليهود المتضررون، خطيباً انجليزياً، صاحب بلاغة وفصاحة، صنع لنفسه منبراً، وانبرى يتحدث عن الممارسات النازية التي مارسها الليبيون ضد شركائهم في الوطن من أتباع سيدنا موسى وممن استوطنوا ليبيا منذ العصر الروماني، سابقين على سكانها العرب، ولم يكن

موجوداً في هذه الحلقة غيري من الليبيين وعرب لا خبرة لهم بالمشهد الليبي في تلك الأيام، فكنت معنياً دون غيري بالتصدي له، وكشف أكاذيب الاضطهاد والطرد والمصادرة التي يروج لها، إلا أن أنصاره الكثيرين من يهود وانجليز وأجانب، كانوا يتصدون لي ويطالبونني بالسكوت لأنني أقاطع الخطيب، ولا يريدون لي أن أرد وأفند ما يقول، إلى حد التهديد بالعنف لإسكاتي، لذلك صممت في المرة القادمة على استنفار عدد من الدارسين الليبيين في بريطانيا، جاءوا يعززون موقفي، ويشكلون طوق حماية لي، ويصنعون دوشة تمنع الخطيب من الكلام قبل أن يسمع كلامي، مما حدا به أن يسمح لي بالتعقيب بعد إتمام خطبته، وكانت الأطروحة التي أرد بها على ما يقوله الخطيب، هي أن الحكومة في ليبيا هيأت لليهود أماكن آمنة لإقامتهم وحمايتهم من غضب الناس، وسبب الغضب، أن بعض المنتمين للفكر الصهيوني من يهود ليبيا كان يرسلون أولادهم إلى اسرائيل للدخول في الجيش بعد تلقي التدريب العسكري في القاعدة الأمريكية بطرابلس، وكان كلامي معززاً بقصاصات من صحف بريطانية تقول هذا الكلام أقدمه للخطيب ليطلع عليه أنصاره، وكنت أقول أيضا أنني أتحدى أن يأتي يهودي واحد ليذكر أن الدولة الليبية، صادرت منه فلساً أو أممت عقاراً أو صادرت قطعة أثاث أو منعته من بيع أملاكه وتحويل فلوسها إلى الخارج، وأن كل من غادر طرابلس، ترك توكيلاً لأحد المكاتب القانونية، يتولى بيع ما تركه خلفه من عقار أو ممتلكات اخرى.

وحدث أن كنت أعرف فتي من يهود طرابلس كان يدرس اللغة في لندن، فاتصلت به أسأله إن كان يستطيع أن يأتي معي إلى ركن الخطابة ليؤكد ما كنت أقوله، فكان وجوده معي باعتباره من أبناء الجالية اليهودية، ووقوفه إلى جانبي، وشهادته ضد ادعاءات الخطيب، شهادة صاعقة له ولأنصاره، أصابت الحاضرين من غير أطراف الصراع بالاندهاش والإعجاب، وصار جمهور المنبر، بما فيهم الخطيب نفسه، ينصتون باحترام وانتباه لما أقوله، وانصرف تفكيري كله إلى كيف أستفيد من هذا التعاطف الذي حصلت عليه، وأكسب مزيداً من الأنصار إلى صفي، ولم ينجدني إلا بطل من أبطال طفولتي في القرية العم المهدي القنطراري، وسر تسميته أنه عاش مغترباً عن عشيرته عشرة أعوام فصار الناس ينسبونه إلى هذه العشيرة حتى ضاع اسمه وصار يتسمى بها حين عاد، بحكاياته عن الحرب العالمية الثانية التي خاض غمارها مع الإيطاليين، قبل أن يسلم نفسه إلى الجيش الثالث ليكون عنصراً من عناصر الجيش السنوسي

الذي يحارب مع البريطانيين تحت قيادة مونتجومري، وكان استخدامه الغالب لهم خلف خطوط الأعداء، ويقول أنه ورفاقه من الليبيين هم الذين أفسدوا على هتلر خططه في كسب الحرب وكسروه مرتين، مرة عندما تخلوا عن جيش المحور الذي يقوده الجنرال جرسياني وأسلموا أنفسهم لأعدائه، فاضطر إلى الانسحاب من جبهة الصحراء الغربية والتراجع ألفي كيلو ميتر هارباً من المعركة قاصداً الحدود التونسية، مما اضطر هتلر إلى جلب أعظم قائد من قواده هو روميل لقيادة الفيلق الافريقي واسترداد المواقع التي فقدها جرسياني، إلا أن الجيش الليبي كان له بالمرصاد، لأنه كان يواجه جيش الحلفاء في الجبهة وينتصر.عليه ثم يريد العودة إلى خطوط الإمداد فيجد أن الليبيين قد دمروها، وكان آخرها في حرب العلمين عندما كان هو مهدي القنطراري شريكاً في عملية تدمير خزانات الوقود التي تمد جيش روميل في المعركة بالوقود، حتى فوجيء بأنه لم يعد يملك وقوداً لتحريك آلياته، وصار يستنجد بهتلر في برقياته يريد عصير البرتقال لأن هذه هي التسمية الكودية للوقود، لكن الوقت كان قد تأخر، وكان جيش الحلفاء يتحرك باتجاه الآليات الألمانية التي تحولت إلى مجرد حديد خردة، وتحقق الانتصار الساحق في الحرب الذي كان بداية الهزيمة لهتلر في حروبه, وكان عمي المهدي فخوراً بما قال أنه سمعه من الجنرال مونتي، كما كان يسمي مونتجومري، عندما قال إن الدور الأساسي في هزيمة هتلر كان لأعضاء الفريق الليبي في الحرب، وبالتالي هم من أسقط النازية وحرر العالم من شرورها.

ولكن هذا الكلام الذي سمعته طفلاً يريد أن أجد له توثيقاً ليصبح قابلاً للإعادة والتداول بين الناس، ولهذا ذهبت إلى استاذ خبير بليبيا وسبق أن عمل بالتدريس فيها ورغم تخصصه في الجغرافيا فهو عارف بالتاريخ وأشرف على أكثر من رسالة جامعية عن الحرب التي دارت في الصحراء الغربية وانتصار العلمين، فقلت له عما أريد، وأعطاني عنوان كتاب ورد فيه كلام يشبه ما سمعته من عمي المهدي القنطراري، فذهبت إلى المكتبة لأجد الكتاب وأكتشف أن المؤلف كان يهودياً بريطانياً، مما يعطي شهادته قوة ومصداقية، وأقرأ الجزء الذي كتبه عن الليبيين الفاعل والمؤثر في إسقاط الزعيم النازي ادولف هتلر، الذي أقام المحارق لليهود في المانيا وبولندا، فصورت كل صفحات هذا الجزء، وأنفقت مبلغا في طبع نسخ تزيد على الثلاثين، لتوزيعها على الحاضرين في الحلقة، لأن الكاتب يقول أن هزيمة هتلر في العلمين، واندحار قواته التي كان يقودها أحد عباقرة الاستراتيجية

العسكرية، ثعلب الصحراء أروين رومل، كان المسمار الأول في نعش النازية وبداية النهاية للحرب التي خسرها الفوهرر. وأن هذه الهزيمة لم تكن لتتحقق لولا بطولة أبناء ليبيا المشاركين في الحرب، مشيراً إلى دورهم في هزيمة جرسياني، حيث أنه في يوم واحد كما يقول المؤلف أسلم أكثر من ثلاثين ألف مجند ليبي مع الإيطاليين أنفسهم إلى جيش الحلفاء، ليصبحوا جنوداً يحاربون معه، ويرتدون على الايطاليين ويطاردونهم عبر الصحراء، حتى أخرجوهم من الحرب، فاستخدم الجيش النازي ثغر ميناء طبرق لإنزال الفيلق الافريقي بقيادة رومل الذي جاء من مناطق نورماندي في فرنسا، بعد أن أظهر براعة في إدارة المعارك هناك، وكان قادراً على اكتساح جبهة الحلفاء وإنزال الخسائر بها، إلى حد هدد بهزيمتهم، والوصول بجيشه إلى القاهرة، إلا أن الليبيين، باعتبارهم خبراء بأرض بلادهم كانوا قد انتشروا خلف خطوطه، بناء على خطة محكمة وضعها الجنرال مونتجمري، تحتاج إلى التضحية والاستبسال وروح الفداء التي أثبت الليبيون أنهم أهل لها وقادرون عليها، فوصلوا إلى كل خزانات الوقود وأشعلوا فيها النيران تاركين جيش رومل مجرد ديكور لآليات عسكرية، فجاء النصر يسيراً لجيش الحلفاء واكتسحوا الجبهة وتحرك جيشهم من العلمين لا يوقفه أحد حتى حدود ليبيا مع تونس، حيث كان الانزال الأمريكي قد أفرغ ذلك الجزء من الشمال الافريقي من جيوش المحور.

وكان ذهول الحاضرين كبيراً لما قلت، خاصة بعد أن تولى الخطيب نفسه توزيع ما تم تصويره على ثلاثين واحداً من أنصاره، وقرأ مقاطع من شهادة هذا الكاتب اليهودي الذي يتحدث عن دور الليبيين في إنهاء النازية وإسقاط هتلر، إلى حد أن عدداً من اليهود أنفسهم ممن كانوا يهددونني باستخدام العنف والطرد من الحديقة، جاءوا يهنئونني ويحتضنونني، تحية لما فعل رجال من أبناء وطني في هزيمة النازية وإسقاط زعيمها الإبليسي- ادولف هتلر، وكان أوج هذا الاعتراف، هو هبوط الخطيب من فوق منبره، ليقول لي أنه يعتذر عما قاله عن نازية الشعب الليبي، وأنه منذ اليوم سيختار موضوعاً آخر لخطبته، دليلاً على اقتناعه بكلامي. فقلت له أنني لست صاحب الفضل في ذلك، وإنما صاحب الفضل عم من أعمامي في بلدة مزده اسمه الحاج المهدي القنطراري، عليه رضوان الله.

المكحلة

أحمد يوسف عقيلة

... مستوحدة في ذيل الوادي تتشمس فوق عتبة بابها.. تظلل عينيها بكفها المنحنية وهي تحاول رؤية الدرب القديم الصاعد مع سفح الوادي.. الدرب الذي نحتته أقدام الرجال ذات شباب.. تنظر في المرآة الصغيرة الدائرية ذات المسند.. تزيح خصلة شعرها الأشيب من فوق خدها بأصابع مرتعشة بها أثر حنّاء.. تحاول وضع المرود في المكحلة.. يرتعش رأس المرود فوق الفوهة.. ينزلق مع جانب المكحلة عدة مرات..

تتنهد.. تغمض عينيها.. ثم تشرع في سرد الرجال الهابطين مع الدرب القديم.. تلتفت إلى ظلمة بيتها.. تسمع لهاثهم.. وخوارهم.. تدغدغها بذاءاتهم في أذنها.. تتمايل.. تشهق.. تمد ساقيها.. تعض شفتها.. يوقظها غراب عابر ينعق نعقتين متتاليتين.. تنحدر دمعتان.. تتعرجان مع التجاعيد.. تعود إلى المكحلة.. المرود المرتعش ينزلق دائماً خارج الفتحة.. ترفع المكحلة أمام عينيها.. بينها وبين الضوء.. تحاول تثبيت يديها.. لكن المرود يظل ينزلق خارجاً.. تحاول التوقف عن التنفس حتى لا يرتعش المرود.. ومن خلف المكحلة يبدو الدرب القديم الخالي.. المتعرج مع سفح الوادي وقد قطّعه العشب.. وشحب في غبش الدموع...

(2018)

جندي

صافيناز المحجوب

وحيداً... بعيدا عن جمهرة الأطفال التي تلعب في مرح لعبة الحرب اقتربت منه كان صارم الملامح إلا أن براءة الطفولة لم تغادر بعد عينيه السوداوين، كان يحمل بين يده جنديا مبتور اليد سألته: لماذا لا تشرك جنديك معهم في الحرب؟

جلس على الأرض المتربة ووضع الجندي وقال: انظري! أتعلمين من هذا المحارب؟

قلت: لا!

قال : وهل تعرفين ماذا فعل في الحرب الماضية؟

أشرت براسي نفياً، فتابع حديثه: لقد كان مغواراً لا يشق له غبار، ليس بالاسم فقط إنه فدائي... كل قطرة عرق صببها جبينه كانت لأجل الوطن وفي سبيله ضد الأعداء المعتدين، أيضاً يده المقطوعة كانت لأجل الوطن.

فقلت: من فعل به ذلك؟؟

أجاب والغضب في نبرات صوته: إنهم الأوغاد، عرفوا إنهم خاسرون فأرادوا أن يجعلوه عاجزاً ذليلا!

فقلت: ولكنه يملك اليد الأخرى، فلا تحرمه من شرف المشاركة في الحرب .

دمعت عينا الصغير، وضم جنديه إلي صدره وخطي ثلاث خطوات بعيداً عني ثم التفت وقال: ولكن الشظايا أصابت عينيه، وجري الصغير. وتركني وسط حرب الصغار وأسلحتهم الخشبية.

حوش العيلة

إبراهيم عبدالجليل الإمام

1

مـا أن تتـدبر ثمـن قطعـة الأرض الـتي ستشـيد عليهـا بيـت المسـتقبل.. دينـارا دينـارا حـتى تسـارع بشرائها.. تبتسـم فرحـا فأخيرا صرت صاحب أرض وقريبا سـتكون صاحب بيت ..

2

ما أن يسمع الآخرون بانتهاء الصفقة حتى ينهالوا عليك تقريعا وتوبيخا.. بعضهم لم يعجبه موقع قطعة الأرض فهناك أرخص منهـا بكثـير.. الـبعض الاخـر يتنـاثر رذاذ تقريعهم على وجهك لأنهم اعتبروك أكبر مغفلٍ في العالم..

فلا أحد يشتري هذه الأرض بهذا السعر إلا أنت..

البعض الأخر يعترض عن توقيت الشراء.. قليلون غاضبون لأسباب لم يبدوها لك.. تمسح رذاذهم وتتجاهل غضبهم وتلتفت إلى أرضك تخطط كيف تبنيها.

3

ترسـم في ذهنـك آلاف الخـرائط لبيـت المستقبل.. تحاول ألا تتسرع حتى لا تقع في المحظور.. تقارن بينها وتفاضل لتختار مـا يتناسـب مـع حلمـك وقـدراتك.. أخـيرا تضـع الخريطـة الـتي اسـتقر عليهـا رأيـك.. يسـارع احـدهم -دون طلـبٍ منـك- بـاقتراح ما.. سيكلفك الكثير من الدنانير لتنفيذه..

تقع في حرج كبير فاقتراحه لا يتناسب مع مخططاتك. لكنك تذعن صاغراً خشيت التقريع والتوبيخ وتطاير الرذاذ ..

4

تقـرر أن تبـني بيتـك مـن الطـين فهـو أقـل كلفـة.. فـالطين متـوافر بكـثرة في كل مكان ويمكنك ان توفر الكثير من الدنانير.

ثم ما الغيض في أن تكون الجدران من طين أو من إسمنت.. فوظيفة الجدران هي رفع السقف وحمايتك من البرد والحر وتسترك عن فضول الآخرين.. ثم أن بنائك لبيتك بالطين يمكنك من ان تبنيه فسيحا واسعا ..

5

لكن صاحب الرذاذ المتطاير لا يتركك وشأنك.. فيتدخل قارناً حواجبه غضباً نافثاً رذاذاً كثيفاً في وجهك.. يمنعك الحرج من مسح رذاذه أو التغاضي عن اقتراحه بتقليص مساحة البيت للتمكن من بنائه بالإسمنت الأكثر صلابة ومتانة.. لكنه يتجاهل أنه الأغلى ثمنا أيضا..

تتحسس دنانيرك في جيبك.. تجد أنها لا تكفي لتفادي رذاذ مقرّعك وموبخك.. فتقرر تقليص مساحة حلمك حتى تتمكن من التوفيق بين ما يريده الاخرون وبين ما في جيبك من دنانير.

6

ما ان تبدأ في الشروع في بناء بيتك الذي تقلص إلى غرفتين فقط ومطبخ صغير وحمام بالكاد تقف فيه لتقضي حاجتك.. المهم أن كل ذلك سيكون بالإسمنت – الأكثر متانة-.. تضحي بحلمك من أجل تحقيق رغبات الاخرين.. يقف أمامك أحدهم شاهرا نصائحه في وجهك.. معبراً عن أسفه على ما آلت إليه أمورك لعدم مشورتك لأصحاب الرأي مثله وسقوطك فريسة سهلة أمام آراء السفهاء ..

تخبره بأن دنانيرك لا تمكنك إلا من بناء غرفتين وبعض المرافق.. حينها يبتسم في وجهك ليذكرك بأنك يمكنك أن تستلف بعض الدنانير ليكون بيتك لائقا بأمثالك ..

7

يتنصل منك بمجرد أن تطلب منه سلفة صغيرة لتتمكن من تنفيذ بيتك كما اشار.. تبحث عن مغفل يمكن أن ستنازل عن بعض الدنانير.. يعبس جميع المغفلين في وجهك.. تكتشف انك الوحيد المغفل.. تتورط في كتلة من الإسمنت.. لا يمكنك التراجع..

تبيع سيارتك لتوفر بثمنها بعض لوازم بيت المستقبل ممنياً نفسك بشراء غيرها وأحسن منها بمجرد الانتهاء من بناء بيت المستقبل فلا مستقبل لمن لا بيت له ..

8

تمر سنوات من عمرك كان من المفترض أن تقضيها داخل بين المستقبل.. لكنك تنفقها هذرا وأنت تعد هذا البيت بالإسمنت والحديد المسلح بعد ان تخليت عن فكرتك مستبدلا إيهاب أفكار

صاحب الرذاذ المتطاير وغيره من الحكماء الذين لا يتركونك تستمتع برأيك السفيه.. تقفل أبواب البيت بعد أن غزا الشيب جل شعر رأسك وأحاله إلى كومة صوف نصفها تساقط بفعل الديون ونصفها المتبقي أبيض لونه بفعل الهموم ..

9

تتنفس الصعداء بعد الاقتراب من الانتهاء من أعمال البناء والتشطيب.. في ليلة ليلاء يطرق باب بيتك الجديد أحدهم.. يستنكر ويحتج عليك بقاءك طيلة هذه السنوات دون زواج.. متهما إياك بالإسراف وأنك من أخوة الشيطان..

فلو أنك أحسنت التصرف في مالك لكنت الآن تنعم بزوجة جميلة وثلة من الأولاد الأشقياء..

تحاول أن تنفي عنك تهمة الإسراف وتوضح أن دنانيرك استنفذتها في بناء بيت المستقبل.. بل تخبرها بأن كثيرين يتربصون بك من أجل استرداد دنانيرهم التي استعنت بها من اجل اكمال هذا البيت..

يغادرك وهو اكثر قناعة بأنك لا تستحق النصح بل التقريع والسب والشتم ويتأكد له انك اخ للشياطين بما لا يدع مجالا للشك.

10

تقرر البحث عن إحداهن ترضى بمشاركتك بيت المستقبل..

يطول بحثك دون طائل.. يبدو أن اخبار جيوبك الخالية من الدنانير يعلمها الجميع.. لكن إحداهن توافق على مضض.. فقطار الزواج قد لا يعود لمحطتها.. تخبرك إنها مضطرة للموافقة على الارتباط بك فقط إشفاقا ومناً منها عليك فهي تؤمن بالمثل القائل ظل راجل ولا ظل حيط..

تخبرها أنك تملك بيتا خاصا بك.. مبنيّ من الاسمنت والحديد المسلح كلفك الكثير من سنوات عمرك وشطرا من شعرك.. تضحك من سذاجتك وتشترط لإتمام هذه العملية أن يكون بيت المستقبل خالصا لها ومسجلا باسمها.. فهي تؤمن بالمثال يا مأمن الرجال يا مأمن المية بالغربال ..

11

تذعن صاغرا.. فلابد من تفادي رذاذ ذلك الصديق الناصح مهما كلف الأمر.. يتم الاتفاق على الصفقة.. تقيم عرسا تحاول أن تبدو فيه سعيدا.. لكن وجوه الأصدقاء المتجهمة في وجهك تمنعك أن تنسى.أنك بنيت هذا البيت بدنانيرهم التي لم تعرف

بعد طريقها لجيوبها.. كما أن عرسك أيضا أقمته بدنانيرهم.. وتحاول كذلك أن تنسى. انك تخليت عن كل ذلك لتلك المرأة التي صارت زوجتك ..

12

تدخل بيت المستقبل لتنعم فيه بما تبقى من حياتك بكثير من الهموم وبرأس فقد جل شعره.. وبجيوب خالية من الدنانير.. تتحسس أصابعك ورقة واحدة مكتوبا عليها أن هذا البيت ملكا لزوجتك.

تـيـار

ستيوارت ديبيك*
ترجمة: مأمون الزائدي

على طول الضفة الخضراء للنهر، على سطح الماء رأى الفون1 انعكاس صورته العارية فأمسك بمجرى التيار.

ربما كان التيار من أطبق عليه، فلف معصمه كحبل مغمور تحت الماء. حبلاً من القنب الباهت لزجاً بطحالبه، من نوع الحبال الذي تركت أخدوداً على أكتاف الحضارات، حبلاً يسّخر العبيد ويربطهم بالأحجار العملاقة للأهرامات أو يربط أعناق الأسرى أثناء سوقهم إلى سوق النخاسة، حبلُ مشنقة، حبلاً لربط المتمردين بعمود الجلد، والساحرات والمهرطقين في المحرقة، ولتكبيل المجانين كما لو كانوا حيوانات، حبلاً يتدلى منه المنتحرون عند مفارق الطرقات، حبلاً يضع به الفاتحون مراسيهم مثل شصٍ في حلق العالم الجديد، حبلاً لا يمكن حتى لهوديني العظيم أن يفك عقده.

حاول الفون بعضلاته البارزة أن يقاوم التيار، فيما سحابة من الزبد تنفجر بصمت وتعلوه، كما لو كان عالقاً في هبوط سمكة وحشية، بعض المتغذيات على القاع بلحية من المجسّات وعيون جاحظة تبتعد عن كهفها تحت الماء ولكنها ترفض أن تنجرف نحو أشعة الشمس الرقيقة.

ناضل الفون ساحباً نفسه، فتجعدت الضفة تحت قدميه وكأنها نسيج يفقد شكله من سحب خيطه المفكك. نسيج من نباتات البوط والقصب والسرخس وزنابق الماء، تمتزج ببطء معاً حتى يختفي التمييز بينها في تشابك أخضر. ظل يسحب فيما أخذت الضفادع والسلاحف تقفز فارة من مملكتها المدمرة، حشرات اليعسوب التي تحوّم أضاعت المكان الذي فقست فيه. واصل الشدّ، بعيداً إلى الحقل الذي برغم أشجار الأرز فيه، بدأ

يتحرك مثل سجادة فارسية تحت بيانو كبير.

استنفذ الشد والسحب قواه تحت عين الشمس المتألقة -ليس بالطريقة التي تجعله يعرق ويلهث من أجل التنفس. وبدل ذلك، امتلئ بالنوم المفاجئ والنعاس، وانهار بجانب القيثارة الصغيرة التي أسقطها كي يمسك مجرى التيار. وبينما كان يغوص في النوم، بدأ الحقل أولاً ثم ضفة النهر يرتخيان تدريجياً، ويستعيدان شكلهما المعروف. عادت السلاحف والضفادع إلى أماكنها، واعتلى اليعسوب الهواء المتلألئ. وبدأ الفون يحلم.

انتشر حلمه عبر النهر المتجمع حيث انعكست صورته قبل أن يبددها. وفي حلمه، كانت امرأة شابة تستحم وسط زنابق الماء، كان الحلم نفسه أكثر تعرضًا وهشاشة من انعكاس صورة جسده العاري. أخذت رعاشيات2 تنغمس وتحطّ فيه لبرهة بارقة. أسراب كالحور الأسطورية الطائرة من ذباب مايو وبراغش الماء تصنع غمّازة على سطحه الهادئ، في حين توسعت الدوائر من حيث قبّلت الأسماك الصغيرة المتقافزة جانبه السفلي المظلم. نسيم معطر برائحة الأرز داعب أوتار القيثارة، مصدراً لحناً موسيقياً. طيور صائد السمك والبلشون الأزرق وأبو قردان تحلّق وتهبط على الأرض، وتتبختر حول جسده المسفوح بتلك الخطى المتمايلة كدمى المسرح التي تميز طيور الماء. لم تفلح في إيقاظه حتى الضحكات المجنونة للطائر الغواص والتي تردد صداها المخيف في أنحاء النهر .

التيار الذي كان يمسكه صار الآن يتدفق من قبضته، متحرراً بين أصابعه مثل جديلة تنفلت على ظهر عذراء.

---

*هو قاص وشاعر أمريكي من أصل بولندي (من مواليد 10 أبريل 1942). يقيم في شيكاغو بولاية إلينوي. نشأ في أحياء ليتل فيليج وبيلسن في شيكاغو في الخمسينيات وأوائل الستينيات. تخرج من مدرسة سانت ريتا الثانوية في كاسيا عام 1959 وحصل على درجة الماجستير في الآداب من جامعة لويولا في شيكاغو. مارس التدريس لمدة أكثر من 30 عاما في جامعة ميشيغان الغربية، وحاز على عدة جوائز.

1-كائن ميثولوجي نصفه إنسان ونصفه ماعز.

2- ضرب من حشرات اليعسوب

حين لا تصلُ

محمد المزوغي

تَأْتِي بِكَ الرِّيحُ
أَمْ تَمْضِي بِكَ السُّبُلُ
كلُّ الدُّرُوبِ سَواءٌ
حِينَ لا تَصِلُ

قد كنتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّرْبَ يَحْمِلُنِي
حَتَّى تَحَسَّسْتُ ظَهْرِي
حِينَ أَرْتَحِلُ

تقولُ لي صَفْحَةٌ
في الصَّبْرِ قد هُجرتْ
خُذْنِي إِلَيكَ
فَبِي وَحْدِي ستَكْتَمِلُ

أَوْغَلْتَ فِي الْجُرْحِ

فَانْظُرْ هَلْ تَرَى مُدُنِي

عَلَى ضِفَافِ جِرَاحِي

كَيفَ تَغْتَسِلُ

يَاوَرْدَةَ الْبَوحِ

لا عِطْرٌ فَيُسْكرِنِي

مِنْ بَعْدِهِمْ

أَنْصَفَ الْجُلاّسُ أَمْ عَذَلُوا

فَحَيثُمَا الْتَفَتَتْ عَينَايَ قَابَلَنِي هذا الْجِدَارُ

عليه عُلّقَ الْمَلَلُ

أَظَلُّ أَبْحَثُ عَنِّي

قد تركتُ هُنَا

بَعْضِي وأَكْثُرُنِي

فِي التِّيهِ يَنْتَقِلُ

يدسُّ فِي خُطْوَتِي آثَارَهُ فَأَرَى ظِلاَلَ مَنْ عَبَرُوا
فِي الْجَمْرِ وَاتَّصَلُوا

أَبْصَرْتُهُمْ حِينَ مَرُّوا
قَالَ عَارِفُهُمْ
خلّفتُ أهلي
وها قد جئتُ ياجبلُ

هَذَا الْحَنِينُ الّذِي خَبَّأْتُهُ لُغَةٌ بِكُلِّ مُفْرَدَةٍ
لِلْعِشْقِ تَشْتَعِلُ

لِي لَحْظَةٌ عِنْدَهَا
مَاضَمَّهَا أَبَدٌ
أو خَطَّ حَرْفاً لَهَا
فِي سِفْرِهِ أزلُ

أَغَاريدُ .. من مَعْزُوفَةِ الثَّمَانينَ..

إلى صديقي الشَّاعِرِ الدُّكتور عبد المولى البغدادي، في ربيعِ قلبِهِ الثَّمانينَ.

جمعة الفاخري

ما الَّذِي يَحْتَاجُهُ الشَّاعِرُ لِترميمِ الحَيَاةِ، لإعادَةِ تقويمِ الكونِ؟

عَشْرُ أَصَابِعَ من نُورٍ تُدَشِّنُ - مَوْلِدَ الحُلْمِ - أَعْرَاسَ

القَصَائِدِ..

عُكَّازٌ مِنْ ضَوْءٍ يُرْسِلُهُ عُيُونًا تَجُوسُ خَلالَ الدُّرُوبِ والقُلُوبِ..

عَصَا شِعْرِيَّةٌ يُنَمِّقُ بِهَا وُجُوهَ الصَّبَاحَاتِ الدَّفِيئَةِ..

يَهُشُّ بِهَا عَلَى أَحْلَامِنَا الجوعى..

قطيعُ قصائدَ مدهشاتٍ تُنْبِتُ فِي يَبَابِ العُمْرِ نَخْلاً ولوزًا

ورُمَّانًا وخَوْخًا .. تُفَّاحًا وكُرُومًا.. تنمو على جَنَبَاتِهَا

حقولٌ وبساتينُ، وتزدهرُ فيها مدائنُ وأمنياتٌ.

قطيعُ قصائدَ مدهشاتٍ تُزْهِرُ في خَرِيفِ الانكسارِ جُزُرَ أزاهيرَ..

وَمَحْمِيَّةَ أمنياتٍ باهراتٍ.

عَرَبَةُ أحلامٍ عذارى يُمكنُها أن تُسْكِرَ الكَوْنَ شَذًا وَعَبَقًا

وَأَلَقًا وَغَدَقًا..

حَفْنَةُ أَصْدِقَاءَ أَصْفِيَاءَ أَنْقِيَاءَ تُمَسِّدُ ضَحَكَاتُهُم

أَفَواهَ الجِرَاحِ الفواغر..

لفيفُ محبِّينَ صادقينَ يُشْرِعُونَ قُلُوبَهُم على مَحَبَّتِهِ،

يُوَارِبُونَهَا عَلى مَدَائِنِ الجَمَالِ السَّامِقَةِ فِي قَلْبِهِ.

حَقْلُ أُمْنِيَاتٍ أبكارٍ، وثمانونَ حلمًا نديًّا شَذِيًّا .. ثمانونَ

أَمَلاً شَهِيًّا طَرِيًّا..

ثمانونَ عامًا مُشَيَّدَةٌ على ضِفَافِ قلبِ شاعرٍ بأحلامِهِ وآلامِهِ..

بأمنياتِهِ وأُغنيَاتِهِ..

قَلْبُ الشَّاعِرِ لا يَهْدَأُ وَلا يَصْدَأُ .. قَلْبُ الشَّاعِرِ لا

يَشِيخُ .. ولا يتلعْثَمُ .. كَلِمَاتُهُ لا تَتَقَادَمُ بِالتَّرْدَادِ،

وَصَوْتُهُ لا يُوْهَنُ بالغناءِ، وأشعارُهُ لا تَبْطُلُ بِالإِنْشَادِ،

وَمَعْزُوفَاتُهُ لا تَبِيدُ بالانثيالِ والاحتدامِ..

إِنَّهُ يَظَلُّ يَجُوبُ الأَمْكِنَةَ وَالأَزْمِنَةَ مُوَزِّعًا عَلَى

الحَيَاةِ حُبَّهُ.. عَلى النَّاسِ، والعَصَافيرِ والفراشاتِ

والنَّحْلاتِ..

على الحدائقِ والحقولِ والبساتينِ..

على شمعِ أناملِهِ تورقُ القَصَائدُ .. تصحو الشُّمُوسُ وتخصبُ الفصولُ

..تُزْهِرُ المدائنُ .. تَتَشَيَّأُ الحَيَاةُ بكلِّ من فيها، وما فيها.

المُرَوِّجُونَ للجَمَالِ والحُبِّ وَالحَيَاةِ لا يَكْبُرونَ .. لا تَشِيخُ قُلُوبُهُم .. ولا تَهْرَمُ

أَرْوَاحُهُم .. لا تَتَقَاعَدُ قُلُوبُهُم عنِ ارْتِكَابِ الحُبِّ..

واقتِرَافِ البَهَاءِ.. وَاقْتِنَاصِ عَرَائِسِ القَصِائدِ..

لا تتوانى سَحَائِبُ أَعْمَاقِهِم عن زَخِّ الشِّعْرِ.. وَضَخِّ أَنْهُرِ العِطْرِ..

لا تَتَوَقَّفُ نَوَافِيرُ قُلُوبِهِم عن رَشِّ زوابِعِ الأريـجِ والعبيرِ..

لا تتجافى أرواحُهُم عنِ بَثِّ بَدَائِعِ السِّحْرِ.. ونثِّ روائعِ الحكايا..

العُمْرُ كِذْبَةٌ كَبِيرَةٌ لا يُصَدِّقُهَا غيرُ أولئكَ الآيلَةِ

أَرْوَاحُهُم للنَّخرِ..

المُوَارَبَةِ أَعْمَارُهُم على التَّهَاوِي.. المَبْنِيَّةِ أحلامُهُم

عَلَى شَفَا جُرْفٍ هارٍ من قُنُوطٍ يَنْهَارُ بِهِم فِي هَاوِيَةِ

الغِيَابِ الكَفُورِ!!..

أَمَّا الشُّعَرَاءُ فَلا يَغِيبُونَ .. إِنَّهُمُ الاسْمُ الحَرَكِيُّ

لِلْحُضُورِ النَّعِيمِ..

عُمْرُ الشَّاعِرِ مَزْجُ قَصَائِدَ، حَدائِقُ غَنَّاءُ فَيحَاءُ ذاتُ

بهجَةٍ .. في كلِّ حديقةٍ يَزْرَعُ وطنًا .. وآمالاً وتاريخًا..

في كلِّ حديقةٍ يُنْبِتُ أصدقاءَ وعشَّاقًا ومريدينَ..

في كلِّ جدولٍ يُجْرِي يَنَابِيعَ وِدَادٍ، وَيُرْسِلُ جَدَاوِلَ شِعْرٍ

..ويعصرُ سحائبَ عطرٍ .. ويرسمُ أفاويقَ سحرٍ ، ويمدُّ سهولَ طُهْرٍ،

ويدلقُ أَنْهُرَ ضِيَاءٍ..

في حديقَةِ الثَّمَانينِ تورقُ القصائدُ القمريَّةُ، وتونقُ الحكاياتُ

النَّقِيَّاتُ .. وتشرقُ شموسُ الأحلامِ .. وتدفقُ شلَّالاتُ المَجَازِ..

بِعُكَّازِ مَجَازِهِ السِّحْرِيِّ يَشُقُّ أَنْهُرَ الوجدِ.. ويُفَرِّقُ

بِهِ غِرْبَانَ اليَأْسِ السَّوْدَاءَ، ووطاويطَ القُنُوطِ الكَافِرَةَ..

يَسْتَدْنِي أُمَّةَ الأَحْلامِ العظيمَةَ .. يَضُمُّ إليهِ كُلَّ

أَحَلامِ العَاشقينَ.. يكتشفُ كلَّ ما ضَاعَ من أُمْنِيَاتِ العُشَّاقِ

على مَرِّ المَوَاجِدِ.. على امتدادِ التَّوَاشِيحِ والتَّسَابِيحِ

وَالتَّبَاريحِ..

يُؤاخِي بينَ شُعُوبِ العُشَّاقِ .. يُوحِّدُ نَبَضَاتِهِم ونظراتِهِم

وَلُغَاتِهِم .. يُطْعِمُهُم حُبَّهُ، وَيَسْقِيهِمْ لَبَنَ شِعْرِهِ،

وَخَمْرَةَ رُوحِهِ، وَحُمَيَّا تَشَاوِيقِهِ، يُلَقِّنُهُم أبجديَّاتِ

المَحَبَّةِ .. يُحَفِّظُهُم قَوامِيسَ تَبَتُّلِهِ .. وَمَعَاجِمَ

تِهْيَامِهِ.. ثم يَدْلُقُهُم في فَضَاءِ العشقِ الأَنِيقِ عُشَّاقًا

ساحرينَ.. سَادرينَ.. نادرينَ!..

على شَهْقَةِ قَلْبِ الشَّاعِرِ يُدَوْزِنُ المُحِبُّونَ آهَاتِهِمُ

الحُرَّى .. عَلَى نَفْثَةِ رُوحِهِ تَنْشَأُ القَصَائِدُ السَّاحِرَاتُ

..وعلى رَعْشَةِ أَصَابعِهِ تَنْمُو مَلَايِينُ المَعَانِي..

وَتَشْهَقُ مَلَايِينُ الأَحْلامِ..

بِعُكَّازِ مَجَازِهِ يَشُقُّ عَتَمَاتِ الكَوْنِ الأَزَلِيَّةَ..

ويُمْطِرُ يَبَابَ العُصُورِ من دِيَمِ رُوحِهِ المِدْرَارِ، من غَدَقِ

أَعَمَاقِهِ الذَّرِيفِ الهَطُولِ..

كلماتُهُ تونِقُ حقلاً.. وتسمقُ نخلاً .. وتورقُ بستانًا .. وتشهقُ سماءً..

وما الثَّمَانُونَ..!؟

الثَّمَانُونَ عندَ البَشَرِ العاديِّينَ إنذارٌ باقترابِ المَوْتِ..

إشعارٌ بِتَهَدُّمِ الرُّوحِ..

أمَّا عندَ الشُّعَرَاءِ فَهْيَ إيذانٌ بانطلاقِ الحَيَاةِ .. إعلانٌ

باستواءِ الأحلامِ..

على حَدْبَةِ الثَّمَانِينِ يستقيمُ العالمُ .. تستوي الأحلامُ .. وتنضجُ

القصائدُ..

تتكاثرُ فراشاتُ الأملِ .. وتنفرجُ عوالمُ الدَّهشَةِ .. ويمتدُّ دربُ الأمنياتِ الصِّباحِ.. وتصحو الأفجرُ الرِّطَابُ العِذَابُ، وتتثاءبُ الصَّبَاحَاتُ الشَّذِيَّةُ البَهِيَّةُ..

ما معنى أن يُبْلَغَ الشَّاعِرُ سَنَّ الثمانين ؟

معنى ذلكَ أنَّهُ عَبَّأَ الحَيَاةَ بِالجَمَالِ والعبقِ والألقِ ملايينَ المرَّاتِ.

الحَيَاةُ بِقَلْبِهَا الرَّقِيقِ لا تحتملُ أن ينفخَ فيهِ شاعرٌ كلَّ هذا العطرِ.. كلَّ هذا الشَّذا..

الحَيَاةُ تُودِي مُبَكِّرًا بِالعَبَاقِرَةِ، بالسَّحَرَةِ الأفذاذِ الذين يُخْرِجُونَ من قُبُعَاتِ الكلامِ حَمَائِمَ البَيَانِ، ومن أَكْمَامِ الألفاظِ عَصَافِيرَ الدَّهشَةِ، ويُطَيِّرُونَ من أفنانِ المَجَازِاتِ عَنَادِلَ الإِعْجَازِ.. لِيَسْحَرُوا بَهَا القُلوبَ والأَعْيُنَ..

منذُ طَرْفَةِ بنِ العبدِ وأبي تمَّامٍ والشَّابِّيِّ والتِّيجاني يوسف بشير، وعلي الرقيعي وعبد المجيد القمُّودي وغيرهم.

فما الَّذِي أَبْقَى جَمِيلاً كالبغدادِيِّ كُلَّ هذا العمرِ..!؟ كُلَّ هذا العطرِ..!؟

ذلكَ لأَنَّهُ تَحَايَلَ عَلَى الحَيَاةِ بِالحَيَاةِ، خَدَعَهَا

بأناقَتِهِ .. وَلَبَاقَتِهِ .. بِشَبَابِهِ الدَّائِمِ .. بربيعِ روحِهِ

الَّتِي لا تَشِيخُ .. فلم تتبيَّنْ عُمُرَهُ حَقِيقَةً وَلا

اِفْتِرَاضًا .. فالرَّبِيعُ لا يُنْبِئُ بِغَيْرِ الشَّبَابِ..

وَالإِينَاقُ لا يَشِي بِسِوَى العِطْرِ والضَّوْءِ والأنسامِ..

كانَ كُلَّمَا استجوبَتْهُ الحَيَاةُ مَدَّ لَهَا بِطَاقَةَ قَلْبِهِ

الفَتِيِّ الَّذِي لا يَهْرُمُ .. فَتَطْمَئِنُّ بِهِ .. وَتَطْمِئِنُّ

مِنْهُ عَلَيْهِ..

وهذهِ الثَّمَانُونُ مَاذَا تَعْنِي ..؟

إِنَّهَا تاريخٌ من شعرٍ وهوًى وَعِشْقٍ وجَمَالٍ .. تاريخٌ من

حِكَايَاتٍ وَرِوَايَاتٍ..

هِيَ دَوَاوِينُ وَأَشْعَارٌ وَقَصَائِدُ.. إِنَّهَا أَرْخَبِيلاتُ

بَهَاءٍ .. جُزُرُ وِدَادٍ، أَصْدِقَاءُ وَتَلامِيذُ وَعُشَّاقٌ

وَمُرِيدُونَ..

إنها سِفْرٌ .. وَسَفَرٌ.. مُدُنٌ وَبُلْدَانٌ .. وَمَطَارَاتٌ

وَبَوَّابَاتٌ.. وَعِبَارَاتُ تَرْحِيبٍ.. وكلمَاتٌ مغموسَةٌ في

التَّوَجُّسِ.. وَنَظَرَاتٌ غَارِقَةٌ فِي الخَوْفِ.. وَرَعَشَاتٌ

مَحْفُوفَةٌ بِالغِيَابِ .. وَزَفَرَاتٌ مُغَلَّفَةٌ بالمَوْتِ..

وَتَلْوِيحَاتُ وداعٍ . .ونبضاتُ أملٍ وألمٍ.. إِنَّهَا ابْتِسَامَاتُ

التَّلَاقِي.. لِذَاذَاتُ الإِيَابِ .. إِنَّهَا عِنَاقٌ وأحضانٌ

وَقُبُلاتٌ..

أَنْ يَصِلَ الشَّاعِرُ للحديقةِ الثَّمانينِ معنى ذلكَ أَنَّهُ قد

زَرَعَ في الحَيَاةِ ثمانينَ حَقْلاً من ليلكٍ وسوسَنٍ وأُقْحُوَانٍ

وزيزفون..

معنى ذلكَ أَنَّهُ قد بنى ثمانينَ مدينةً، وفتحَ ثمانينَ بلدًا..

وأسَّسَ ثمانينَ وطنًا، وآخى بينَ ثَمانينَ أُمَّةً .. وَوَحَّدَ

ثَمَانِينَ شعبًا..

معنى ذلكَ أَنَّهُ أَطْلَقَ ثمانينَ ألفَ سِرْبِ حَمَامٍ وَيَمَامٍ،

وعنادلَ وهداهِدَ ونوارسَ..

معنى ذلكَ أَنَّهُ شَيَّدَ ثمانينَ ألفِ قلعَةٍ لِلحُلْمِ وَالأَمَلِ

وَالنُّورِ، قِلَاعٌ لا يلتهمُهَا الأسى .. ولا يَهْدِمُهَا الغِيَابُ

المَقِيتُ..

معنى ذلكَ أَنَّهُ يُنَصِّبُ في رائعةِ الخُلُودِ ثمانينَ سماءً

مُجَلَّلَةً بِالأَقْمَارِ وَالنُّجُومِ والغُيُومِ، وَأَنَّهُ

اِبْتَكَرَ حَيَاةً مُكَلَّلَةً بِالأَحْلَامِ وَالابْتِسَامِ والانسجامِ.

وَأَنَّهُ أَطْلَقَ مُلْيُونَ سِرْبٍ مِنَ الأُمْنِيَاتِ الَّتِي لا

تَغِيبِ.. وَمِنَ الأَحْلَامِ الَّتِي لَا تُغَادِرُ.. وَسَرَّحَ

مِلْيُونَ ضِحْكَةٍ كَانَتْ تَخْتَنِقُ فِي آسَارِ الصُّدُورِ.. فِي

صُدُورِ الأُمْنِيَاتِ.

وَأَسْكَرَ الكَوْنَ بأناشيدِهِ وأغاريدِهِ، وَرَنَّحَ الحَيَاةَ بسحرِ

معزوفاتِهِ..

وأنَّ قَلْبَهُ المُضِيءَ قد بلغَ سِنَّ العِشْقِ المُقَدَّسِ، سِنَ الوَلَهِ..

وأنَّ روحَهُ قد ناهزَت سِرَ الخلودِ، قدَ عاقرَتْ سِحْرَ الوُجُودِ،

وَأَنَّ أَحْلَامَهُ قد رَفْرَفَتْ مِلْءِ الحَيَاةِ، حَدَّ الجَمَالِ

بَأَلْفِ جَنَاحٍ، وَأَلْفِ نَجَاحٍ، وَأَلْفِ قَصِيدَةٍ.. وَأَلْفِ

مَعْزوفَةٍ تَذْرُفُ حُلُمًا وَأَمَلاً وَانْتِشَاءً..

فإذا ما التَفَتَ الشَّاعِرُ عِنْدَ نَاصِيَةِ الثَّمَانِينَ أَشْرَفَ

عَلَى عَبْقَرِ المَعْنَى، وَأَطَلَّ على وَطَنِ أَحْلامٍ، وَأُمَّةِ

عُشَّاقٍ، وَسِفْرِ أَشْعَارٍ مُجَنَّحَةٍ .. أَطَلَّ عَلَى كَوْنِ

مَحَبَّةٍ .. عَلَى عَوَالِمَ مُدْهِشَةٍ من تَرَاتِيلَ وَتَهَالِيلَ..

وَتَفَاصِيلَ .. عَلَى عُمُرٍ مُتَرَامِي الأَفْرَاحِ، مُغْرَورِقٍ

بِالدُّعَاءِ وَالضِّيَاءِ.. وَالغِنَاءِ وَالرُّوَاءِ..

اجدابيا: 26/ 7/2017

أنتِ في مداري

عصمت شاهين دوسكي - العراق

أنتِ في مداري

من نبع إحساسك ارتوي

ومن جمال روحك يكون اختياري

حينما ابحث عنك،

أجدك بين سطور أشعاري

كلما أردت الابتعاد عنك

تفجر عطرك المجنون بين آثاري

كلما جاوزت حدودي

وعبرت الخطوط الحمراء

والبيضاء

والسوداء

زاد فيك إبحاري

يا نسمة الجبل .. يا همس البحر

أمواجك الطفولية الشقية

أشعلت نيران فوق ناري

تحملي جنوني، توهاني،

مراهقتي الكبرى ، هذياني

منذ ألف عام لم تأتيك أخباري

أنا عاشق في وطن النساء

وكل العشاق يسرقون الشعر

والحب والتمرد من أسفاري

أنا أسطورة لن تتكرر

وانتصار حب يتبع كل انتصاري

أنا ملك النساء

وكل النساء يختلسن،

يبحثن بصمت عن أسراري

يجردوني من قلمي وقرطاسي ومفاتيح غرفي

يعبثن كالقطة المتوحشة بين سريري

ووسادتي وأحلامي ويميني ويساري

يا صغيرتي الحب ملحمة كبرى

وأنا القائد المختارِ

ادخلي معارك الحب والشوق والحنين

بلا دروع وسهام، لا ترددي، لا تحتاري

كوني امرأة ناضجة، شرسة ، متمردة

اتركي رومانسيتك في جعبة اختياري

اصد عنك كل الخناجر والسهام

وأقدم لك بدلا عنها ورودي وأزهاري

أفرش لك بساطا أخضر

والوصيفات خلفك يحملن

فستانك الأنثوي في محراب مداري

أتوجك ملكة على حروفي وسطوري

وأوامرك كالسطور تمتص أحباري

أحدثك وقت السحر ..

عن دمار عشق ... وانتصار عشق

ومدى العشق بين دماري وانتصاري

نعم صغيرتي الجميلة

الحب عندي حضارة وتاريخ

أكتبه بخصلات نساء يتوهجن لإعصاري

طوفاني يقلع جذور التقاليد .. وسيف العشيرة ..

وقانون المدنية واللا مدنية

ويترك نافذة تدخل فيها أنواري

نامي يا صغيرتي

دعي أحلامك تدور كالأقمار في مداري

تفاصيل الدهشة

محمد الهادي الجزيري

لدينا إذنْ زهرة تتألّف من قطرات ندى

يساريّة الروح

تغفو على جنبها الأيسرِ

في سرير فسيحْ

لدينا كذلك نافذة

لا ترى ما نرى من جمال فصيحْ

تطلّ على ساحة من حشيش وموتى

ونقطة ماء تؤكّد أنّ هنالك خلف العمارات

بحرا من الملح

يبغي الوصول إلى الزهرة الْ تتألّف من قطرات الندى

غير أنّ المدينة تمنعه

من بلوغ السرير الفسيحْ

لدينا تفاصيل سابقة لنعاس التي لا تنام بداخلنا أبدا

وأشياء محظوظة إذ تمتّ لها بصلةْ

قلادتها مثلا

سكرت من تأرّجحها بين تفّاحتيها المحايدتين...

ولم تقرب الزهرة الخمر بعدُ

أعدّت عشاء الحنين نعم

غير أنّ الشرود أغار على روحها مثل ريـحْ

لدينا غطاء غبيّ لقارورة عذبة مثلها

رفعته يداها فأمسى بفضل يديها المسيحْ

لدينا شموع تسيحُ من الوجد

في طبق ذاهل يشتكي من لظاه إلى صمت طاولة

ثملتْ من حمولتها والبهاء

وكم تتململ حين تحطّ عليها أنامل زهرتنا

بل تكاد تصيحْ

لدينا تفاصيل سابقة لعشاء الحنين

ونوم المليحة سكرى بعشق فتى جامح ومليحْ

ولكنْ أبى السرد إلاّ المرور بخلوتها

قبل ذكر الذي كان بين غريب بلا نزوات
وأنثى بلا مرض
في عناق بلا حرج بين نار وروحْ

تقول القصيدة إنّ صديقتها جذبتها من البيت
حيث النبيذ النبيل الحفيّ بها
وحيث الوسائد حبلى بآهات عشاقها
إلى قاعة يتناسل في جوفها شعراء
لكم ضحكت من عناء المنشّط
وهو يهيب بهم أن يموتوا
ويخفي نفاياتهم في سلال المديحْ

لكم سخرت من وقار صديقتها المستريحة
حذو مرافقها المستريحْ
ولكنّها ضجرت في النهاية
فانغلقتْ في انتظار الخلاص...
تسلّتْ بعدّ المقاعد والسجناء الضيوف
استدارت تفتّش عن كوّة للهواء
استبدّت بها رغبة في الصياح

إلى أن تدفّق في دمها

صوت نهر جريحْ

تمكّن منها الفتى وهو ينزف آياته غير منتبه

لتلبّسها بهواه

وإن كان من طبعها أنّها لا تبوحْ

رأته ولم يرها

كان يحلم جهرا وشِعرا بها

وكانت تجمّع أوصافه في خزانة جوّالها

وتصغي

إلى الشعر وهو يعدّد أوصافها

"لكأنّي على موعد معها

تلك من تتألّف من قطرات الندى

تلك من شعرها لا يظلّل إلاّ الفتى

تلك من وجهها دعوة للسلام

ونظرتها مقصلةْ

تلك من فمها صامت وصريحْ

تلك من نحرها غادر

وقلادتها مسبحةْ

تلك من قدّها ذابح

وغدا سيكون ذبيحَ الذبيحْ"

تناسل بعد الفتى شعراء

وظلّ المنشّط يخفي نفاياتهم

ويهيب بهم أن يموتوا

لتضحك أنثى بلا مرض لغريب بلا نزوات

ويولد في غفلة المعجبين

عناق بلا حرج بين نار وروحْ

تقول القصيدة إنّ نبيلا سرى بالحزين

إلى مطعم لابن عمّهما من يهود الرباط

عجوز يجيد الحياة

ويفقه ما العشق

أدّى به ذات أنثى محرّمة من بنات الملوك

إلى السجن

لكنّ ما فات فاتْ

يغنّي لسمّاره الغرباء إلى مطلع الفجر

أبهى التباريح من زجل مغربيّ إلى ولعٍ تونسي إلى...

كأنّ أناه الضئيلة عاصمة الأغنيات

وأمّا النبيل الجميل فأكرم صاحبه الصبّ

صبّ لهُ، ثمّ صبّ لهُ، ثمّ صبّ لهُ...

جداول من خمرة منتقاةْ

ولولا الحنين إلى الزهرة الْ تتألّف من قطرات ندى

لتهاوى الحزين وماتْ.

صباحا توهّج في سُكرهِ

وتلا حبّها لتلاميذَ .. مختلطين نعمْ

إنّما ليس فيهم بناتْ

فسبحانها كلّما امتزج الشعر والخمر والشوقِ

سبحان ممحاةِ كلّ البناتْ

مساء أطلّت على حزنه المتأنّق في حفلة الاختتام

وكان الموشّح بينهما نادلا ورسولا

يبوح بما يوشكان على الاختناق به

دون أن يجدا للمواء سبيلا

يقول لها: جنّ منكِ الفتى

ويقول له: قد تداعى إليك كيان التي

خلق الله من روحها العطر والسلسبيلَ

يقول له: هُمَّ توّا بها

ويقول لها: أهلك الطيّبون أحاطوا الغريب بأغصانهم

فاعذريه قليلا

ويسقيهما الأمل العذب والصبر

وهو يشقّ الصفوف السميكة في قاعة من حنين وأندلس

لا تعي أنّ في عرسها غصّة وقتيلا

من الغدِ لم يبق للعاشقيْن غدُ

ليس أكثر من لحظة

قرب لا شيء في شارع ربّما أو رصيف من الحزن

أو أيّ شيءْ

وقفا لوداع الذي لم يقله غريب بلا نزوات

لأنثى بلا مرض

كادَ لولا يدُ المتسوّل

زاعقةً نفذت بين نار وروحْ

تغمّدها بالدراهم مبتسما كذبيح سخيٍّ

ولكنّها طمعتْ في أساهُ

وظلّتْ تصيح تصيحْ

فيا من رأى في الحدائق أو في القصائد أو في الدُّنَى

زهرة تتألّف من قطرات ندى

تتحوّل في دهشة المتسوّل ريحْ

مضى المتسوّل بعد أن اختلس الوقت..

وافترقا غصّةً وقتيلْ

لدينا القليل عن الزهرة الْ تتألّف من قطرات الندى

تقول رسائلها أنّها تتعطّر قبل الخروج إلى الميّتين

وبعد التملّص من موتهم

بحشاشة ليمونة

وببعض النبيذ النبيلْ

لدينا تفاصيل عنها ولكن أتشفي رسائلها كلّ هذا الغليلْ؟

لدينا ابتسامتها .. تتموّج في نهر مرآتها

تتخطّى الزجاج الدروب الشعاب الجبال وتهمي علينا

ونعرف أنّ هوايتها الركض

تنساب كلّ مساء

على الرغم من وجع يسكن الساق

تنساب في دهشة الناس

تركض خلف الحنين إلينا

ويغلبها في ختام السباق الحنينْ

لدينا الكثير عن الزهرة الـْ تتألّف من قطرات الندى

وهو جدّ قليل قليل قليلْ

ترى أيّ لون لها حين تشتاقُ؟

أو عندما يختلي بحرائقها الماءُ؟

أيّ إله يرافقها في ضجيج الصباح؟

وكيف تعالج عشاقها في زحام المرور؟

وأيّ كتاب يليق بخلوتها أوّل الليل؟

أيّ منام جدير بها آخر الليل؟

أيّ لحاف له الحقّ في ضمّها؟

حين تحلم بالشاعر الطفل قاتلها والقتيلْ؟

مات قلم

إلى روح الفقيدة (الشاعرة نجاة إلياس).

شعر عائشة بازامة

في لهيب الكلم

نحترق

نذوي

نسير على

الجمر

حفاة

القدم

ولدنا كلمة

ننتهي

كلمات

تنحت فينا

نخلة

تفاحة

زيتونة

وسط

الألم

عطرنا المحابر

رداؤنا

أوراقنا

منسية

سباقنا

منابر

درينا حلم

تفكيرنا مسافر

والماضي

السحيق

فينا مغامر

والحاضر

خرافة

والغد مقامر

نعيشها اللحظات

بين حزن

وقلم

مات القلم

عاش القلم

بنغازي: 3 نوفمبر 2018م

نصوص

تهاني دربي

غيمة ... تنثال

نغمة ... تهسهس

كلمة تقلب الكيان

زهر يملأ المكان

لله درك يا جمال ...

انصرف

لست علي ما يرام

حتى نقيم حلقة ذكر

تحضر فيها

روح الهذيان

ترقص

وتدور.. تدور.. تدور

ثم تحلق

حتى يغيب المكان.

*

هشيم يتحرك

خوي ويأمل

بقلوب وجله نغازل السماء

لعلها ترحم

فتمطر علينا

ثورة بيضاء

يشنها بدلا عنا

جند السماء

يالا سخفنا

نتوكل فقط علي الاستجداء

ننتظر ومعنا

فيض المحرمات

أكلت قلوبنا الخيبات

لا فكاك

تحولنا الي مأتات

نسير وكأن علي رؤوسنا الطير

كيانات مشوهه

البهجة لا تعرف لنا باب

والسعي في مضاربها

يعتمد فقط المنفوخ شوادرهم

خسة

علل

قبح

هم يعتلون المدى

ونحن نفترش الرماد

ونسأل الرب حسن الختام

وكأنه كانت لنا

بدايات

ملعون أبوكم علي هكذا حياة.

*

كيف أصوغ

من الكلمات صراخ روحي؟؟

كيف أحمل حروفها فداحة هلعي؟؟؟

أهذي وأهذي....ولا رحمة

ألوذ بحضنك القديم

أتصيد حنان

فوراً

تستعيد أصابعي مهارتها

فتحضر في الحال

حياكة مبرقشة للذي كان

دون أن تتمكن هي ذاتها

من

لظم حاضر فسيفساءك المريع

ليبيا

بذات الاكتمال.

عادة ليست سرية

محمد عبدالله

لا تتردد في الخروج إلى الشارع
بمخدتك ولحافك وتمشي حافيا في الأسواق
أو أن تبيع أسنانك مقابل قضاء بعض
الوقت في إحدى الحانات
لا تتردد في الصراخ من النافذة
لتخبر المارة أنك عاجز عن مضاجعة زوجتك
أو أن تخبرهم عن رئيسك الشاذ في العمل
لا تتردد في إطلاق رصاصة في رأس حبيبتك
بسبب تأخرها دقيقة واحدة عن الموعد
أو أن تغني وترقص في جنازة صديقك
لا تتردد في القول بأنك لا تحب سماع
النشيد الوطني
ولا تعرف رسم علم بلدك

ولا أسماء البلدان المجاورة

لا تتردد في الكتابة عني أي شيء

عن جارتكم العاهرة

عن موت كلبك

عن حماقات إخوانك

عن زملائك الساذجين في العمل

عن سرقاتك السخيفة

عن فشلك في الدراسة

عن كرهك للحكام العرب

عن حبك للمجلات الإباحية

عن الأشياء التافهة والرخيصة

أما أنا فلن أتردد عن فعل أي شيء

حتى عن تمزيق هذه القصيدة ...

امرأة بلا خطيئة

سليمة بن نزهة

نبت لي جناحان فضيان

وابيض سواد مقلتيّ

صرت بعدك خفيفة كريشة

ورصينة كوتد

ممتلئة بكل شيء

وخاوية الوفاض مني

تخلصت منك

وما شفيت من إدماني عليك

ما كنت أعلم أن للحرية

طعم لاذع

لا لذة فيه

ورائحة نتنة مغلفة

بعطور باريس الفاخرة

تخليت عن أسوأ عاداتي

ما عدت أُقبِّل النجوم كل غسق، ولا أبلل وسادتي كلما تأخر طيفك !

ما عاد لي زمن تسابق خطواتي

الريح للقياه

استبدلت نبضي بعقارب ساعتي

وباركتني العجائز وهن يستبدلن أغصان الشجر الأخير بضلوعهن .. و يسترن هوة (كانت قلبي) بتفاحة حجرية ..

امرأة بلا خطيئة أنا ..!

بمشاركة دولة ليبيا
مؤتمر قصيدة النثر المصرية
الدورة الخامسة 2018م.

متابعة: حواء القمودي

...تبدأ الحكاية من تساؤل: أين ليبيا وتجربتها مع قصيدة النثر، كان التساؤل من الشاعرة الليبية عائشة إدريس المغربي، الشاعرة اللاجئة هي وأسرتها إلى فرنسا، لكنّها تثير هذا السؤال ويصل للشاعر عمر شهريار أحد أعضاء لجنة مؤتمر قصيدة النثر المصرية لتكون الإجابة بعد اجتماع لجنة المؤتمر.

(مساء الخير عائشة، لقد اجتمعت لجنة المؤتمر ووافقت على أن تكون ليبيا ضيفة شرف العام القادم، بعد أن عرضت عليهم استفسارك بشأن عدم وجود شعراء من ليبيا في الدورة المنتهية، فهل يمكنك اعداد انطولوجيا عن قصيدة النثر الليبية تمثل أجيالها واتجاهاتها كافة.

كما أرجو منك تكليف ناقد ليبي تثقين به بكتابة دراسة عن مشهد قصيدة النثر في ليبيا، علما أن الانطولوجيا سيتم تمثيل كل شاعر فيها ب80سطر، حوالي 20 سطر سيرة ذاتية عن الشاعر و 60 سطرا شعريا (السيرة 20+ النصوص60) وسيتم طباعتها في كتاب بمعرفة المؤتمر ونهديكم نسخا منها).

كيف يتحقق الحلم

ذات ليلة من نوفمبر 2017م تُلّح صديقتي الشاعرة عائشة المغربي لمكالمتى عبر الفايبر، ولتضع هذه الأمانة في قلبي وتطلب مني اختيار ناقد لكتابة الدراسة،

حاولت جادة التنصل وضعت كل مبررات الخوف، فأنا معلمة لأربع فصول، والكهرباء تنقطع والنت بطيء كسلحفاة، وحتما سيخطر لأحدهم أن يهجم ذات صباح على (سوق الجمعة) حيث أسكن، ثم أنّا مزاجية غير مثابرة (تربحي ياعويشة) لكن غصرلرها أربكني وأخجلني، ولتبدأ الرحلة الممتعة العذبة والمعذبة، الشاعر رامزالنويصري رحب بالفكرة وبالمشاركة في الانطولوجيا بكتابة بحث عنها هذه القصيدة التى مازالت تبحث عن ذاتها، ثم ليكون مشاركا في إعدادها لالتزامه بكل الجانب التقني في التجهيز والترتيب، نعم بدأت رحلة وكان التواصل مع لجنة المؤتمر والاتفاق أن تكون الانطولوجيا جاهزة بنهاية شهر فبراير.

وتقديرا منهم لكل الظروف التى تمّر بها بلادنا، والتي حتما ستؤثر علينا تأخر إعداد هذه الانطولوجيا حتى يوليو 2018م.

مؤتمر أهلي...

مؤتمر قصيدة النثر المصرية مؤتمر أهلي، لكنّه نجح في الانفتاح على قصيدة النثر في عالمنا العربي، منذ الدورة الثالثة أشرك المغرب، ثم في دورته الرابعة كانت تونس، لكن ما يثير الاعجاب أن يقوم مؤتمر أهلي بإمكانيات بسيطة بطباعة انطولوجيا لبلد يستضيفه، ولكن حين تلتقي بهم ستعرف ماذا يستطيع المثقف الحقيقي والجاد أن يفعل، فالحكاية ليست بالإمكانيات المادية، بل هو الايمان بجدوى الفعل الثقافي.

الشاعر عادل جلال منسق المؤتمر، صحبة أعضاء لجنة المؤتمر، إبراهيم جمال الدين، أحمد عابد، سوزان عبد العال، عادل سميح، عمرشهريار، هناء نصير، شعراء وأكاديميون وأصدقاء جمعتهم الرؤية وحققوها فعلا ثقافيا يتنامي عاما إثر عام، لأن شعارهم: في الإبداع متسعٌ للجميع.

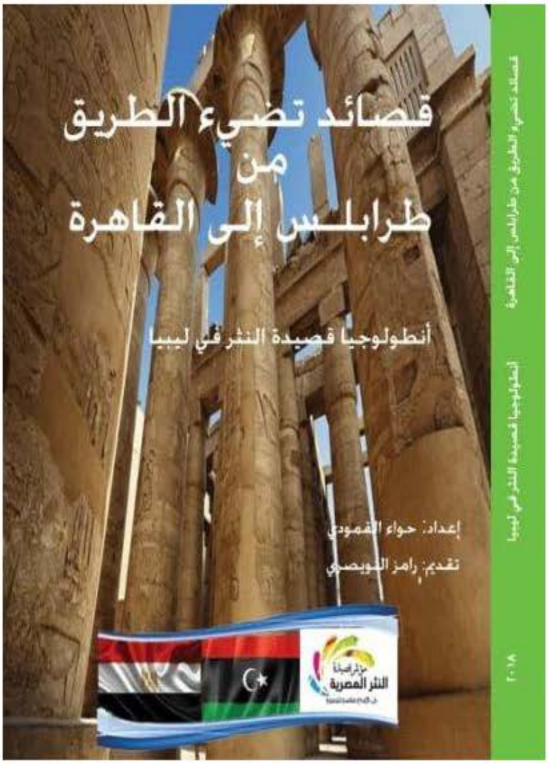
قصيدة النثر الليبية:
ضاجّة تسابق الريح

الثلاثاء ليلا 18 سبتمبر كان اللقاء الأول مع هذه الكوكبة المتميزة، والمكان هو اتيليه القاهرة، وكانت أول نسخة من انطولوجيا قصيدة النثر في ليبيا (قصائد تضيء الطريق من طرابلس إلى القاهرة). وأن أرى علم بلادي ليبيا ممتزجا مع علم مصر الحبيبة وأمسك بيديّ نتاج السهر والمتابعة، وأن أعيش الزخم مع أصدقاء وصديقات تواصلت معهم عبر التقنية،لكن هاأنذا أراهم الآن وأشعر بتلك الألفة والمودة التي فاضت منهم وعبّرت عن حقيقتهم الناصعة.

وبدأت فاعليات مؤتمر قصيدة النثر:

الدورة الخامسة: بمشاركة دولة ليبيا.

منذ الاربعاء 19 وحتى الجمعة 21 سبتمر، ثلاثة أيام وست جلسات مع ثلاثة أمسيات شعرية، وكان الافتتاح بكلمة المنسق للمؤتمر عادل جلال والذي قدم نسخ الانطولوجيا هدية لنا، وهذه أول مرة يكون نتاج مجهودهم ظاهرا أمام الملأ، لتعقد أول جلسة نقدية، "هل يمكن اعتبار قصيدة النثر نوعا شعريا جديدا" د.محمد بدوي، و"قصيدة النثر تقنيات النص المفتوح وجماليته" د. يسرى عبد الله، ولتكون قصيدة النثر في ليبيا ختام هذه الجلسة. أمّا الجلسة الثانية فكانت بعنوان مسارات والتي قدم فيها الشاعر والمترجم "رفعت سلّام" مسارات تجربته مع الحياة وقصيدة النثر /من هذا القبيل/، ليكون الشاعر محمد فريد أبوسعدة و/رقصة النثر / حكاية حياة وتجربة.



ويكون الختام بالأمسية الشعرية الأولى، والتي شارك بها الشاعر الليبي محمد عبد الله.

ذاكرة القصيدة

يوم ثاني يحتفي بقصيدة النثر عبر جلسة نقد ومسارات وأمسية شعرية، أسامة الحداد عن الشاعر والناقد شريف رزق، عمر شهريار عن الشاعر محمد صالح، ليكون الشاعر جمال قصاص في مسارات قصيدة النثر /مثلما الحب/ والشاعر والمترجم محمد عيد ابراهيم في /رَبُّ على شكل طائر/ لتحتفي الأمسية بشعراء ليبيا، الشاعر الكبير عمر الكدي صحبة الشاعرة فريال الدالي والشاعرة حواء القمودي وتسجيل غياب الشاعر أحمد الفيتوري لظروف صحية، صحبة شعراء قصيدة النثر المصرية.

ويكون الجمعة هو يوم ختام مؤتمر قصيدة النثر المصرية، حيث الجلسة الخامسة تتابع انشغالها بقصيدة النثر "شعرية المقدس والمدنس في قصيدة النثر" د.عبد الناصر هلال، مع الباحثة الدكتورة نانسي- إبراهيم "شهرزاد تبوح بشجونها: دراسة في نماذج شعرية نسائية معاصرة."

لتكون المسارات للشاعر أحمد طه: امبراطور الحوائط، الشاعر عبد المقصود عبد الكريم: سيد الممالك وعبدها.

وتكون أمسية الختام لعدد من شعراء قصيدة النثر المصرية، وتكريما لضيف المهرجان ليبيا يختتم شعراؤها هذه الأمسية.

فأي الكلمات تليق أيها الأصدقاء، يا صديقتيّ الشاعرة سوزان عبد العال، والشاعرة والمترجمة هناء نصير، أمّا صديقتي الصغيرة "سمّو" فقد أضافت تلك اللمسة العذبة لطفولة الشعر، أمّا صديقي الصغير "متيم" فقد سألني "حتيجي معانا السويس". ذلك أن مؤتمر قصيدة النثر المصرية يواصل عطاءه وينفتح على إبداع هو متسع للجميع.

مهرجان الخريف السياحي الدولي - هون الدورة 22
ملتقى الخريف الثقافي.. الدورة 12

متابعة: حواء القمودي

شروق الشمس بيوم الخميس 25 أكتوبر تحتفي طرابلس الجميلة بقدومه، ونحن نستعد لمغادرتها باتجاه مدينة هون، عاما إثرعام كنت أتمنى أن أعانق هون في مهرجانها الذي ترسخت أقدامه وصار أيقونة، وهكذا نشدّ الرحال نعبر بلادا شاسعة مدينة إثر مدينة، وحين نصل إلى تلك الواحة/المدينة، يكون الحبّ والترحاب علامة وعالما.

..ذاكرة مدينة تتوقد حبا.

الجمعة 26 أكتوبر كان افتتاح المعارض، والعشية كانت لحفل افتتاح الدورة الثانية والعشرون لمهرجان الخريف وحيث أغنية الافتتاح أو مغناة مهرجان الخريف السياحي (يا أرض الكرم والجود).

في ربوع مدينة هون القديمة ترسم الأنامل العاشقة فنا بديعا بكل مكونات ومكنونات عمتنا النخلة، أتساءل كيف ينطوي هذا الفن وتطوى صفحة الأيام ليظل حبيسا، أطلقوا سراحه يجول في ربوع عطشى. للفن والحب، وأقف عند ما أبدعه الشباب، ما أبدعته جسارة البنات الرافلات في البهاء، تماضر السنوسي حبيب وسارة كمال بوزيد وفرح عبد الله زاقوب ورفيقاتهن ورفاقهم يؤثثون عالما من الفن والإبداع والتجريب، ويضج السؤال: هل يتوقف كل شيء هنّا؟

وكان السنوسي حبيب هنّا

في بيتهم القديم نجد صفحاته التى لن تطوى وذكرياته وصوره، الشاعر السنوسي

حبيب، العاشق الذي ناضل مع جمعية ذاكرة هون القديمة كي تبقى مدينته القديمة منارة، حيث الحفاظ على الذاكرة الجمعية لمدينة هون وصونها للأجيال القادمة.

سامر الليل.. عاشق القمر.

احتفالية بمسرح هون يوم السبت 27 اكتوبر والتى تنظمها ذاكرة المدينة، أمّا صاحبها فهو ذاك الرهيف الودود، العابر مثل نسمة صالح مصباح عباس، لا أظن أني عشت أحتفالية بذاك الجمال والحنان الذي فاض دمعا من العيون وتصفيقا من القلوب، مسرح يكتظ كلما نقص قليلا، وأيادي تحاول أن تقول الوفاء، أما الحب فكان السيد فهو في حضرة العاشق تجولت بنا الاحتفالية في ربوع ابداع صالح عباس، قراءة وغناء وحتى نقدا، وكان الشريط الوثائقي الذي أعطى مساحة لبوح الأصدقاء والأهل، هؤلاء الذين كانوا حاضرين قلبا واجفا ودمعا يتألق لمكانة الأبن البار والزوج الصالح والأخ الرفيق والأب الرقيق.

هل تظنون أنّي أبالغ، ليتكم كنتم معنا لتعرفوا معنى أن يكون الإنسان إنسانا وأن يكون صالح مصباح عباس مبدعا بكلماته وحياته الثرية بالمحبة والحنين، وحنين هي ابنته التى وقفت على المسرح ترتجل كلاما أنيقا وصادقا وعفويا وآسرا وتتبع خطى أبيها مبدعة تنقش الكلمات.

..شعرٌ ومؤانسة خريفية

كان للشعر والابداع حضوره، افتتاح ملتقى الخريف الثقافي في دورته الثانية عشر الشاعر عبد الوهاب قرينقو والشاعرة حنان محفوظ والشاعرين أكرم اليسير ومحمد عبد الله، والقصة الومضة كان لها حضورها، أمّا من أدار هذا الفيض فهو الأستاذ رضابن موسى بمسرح هون، ولفضاءات أخرى أن تفسح الصباح أو مابعده بقليل للشعراء علاء الأسطى وهود الأماني مع آخرين ولتكون الأستاذة سالمة المدنى إدارة فيوض الشعر والقصة.

وليكون تكريم لكل المشاركين في الأمسية والأصبوحة تذكارا من مهرجان وملتقى، أمّا المحاضرات فتنوعت: ورقة في الموسيقى والمالوف، وبين الموروث والفصحى، محددات انتاج النخيل والتمور بليبيا، ورقة عن الموسيقى في هون بين الماضي والحاضر.

الخيل والرمل والرقص والغناء

منذ افتتاحه وحتى الختام، كانت الأهازيج وتجسيد تنوع الحياة اليومية في مدينة هون، وأفراح النجع، وافتتاح عروض

الفروسية، والألعاب الشعبية على سفوح الرمال.

قلت الختام، لقد توقف المهرجان باليوم الأخير الاثنين 29 أكتوبر حداداً على أرواح تحلم بالحب والخبز والزيت، أرواح تؤانس تراب بلاد أضناها الوجع والفقد، لكن عشاقها وعاشقاتها يواصلون الحلم وتأثيث البيت بألوانها الزاهيات.

شروق وشروق

بين شروق طرابلس وشروق الشمس في هون المودة والنقاء تبدأ رحلة عودتنا، تؤانسنا الذكريات تملأ أرواحنا عبقا، وأياد الأصدقاء والصديقات تغمرنا غمرا، الأستاذ عبد الله زاقوب والمصور المبدع كمال بوزيد (من أبدع كلمات مغناة الخريف لهذه الدورة وفي دورات سابقة)، والأستاذ أحمد تامر والأستاذ أحمد مازن والشاعرة حنان يوسف الهوني والصديقة رقية عثمان، الآسرات بتوهجهن تماضر وفرح وسارة جمانة ودنيا وحنين، وأسرهم الكريمة التى غمرتنا حبا، هون الرائعة كلها بلا استثناء كانت حضنا دافئا ،حضنا ارتجفنا بردا ونحن نفارقه .

وكان لمهرجان الخريف أن يجمعنا من كل هذي البلاد، نتعارف ونأتلف ونبكي حين نعود، المبدع المسرحي والكاتب يوسف خشيم والأستاذ رجب المزداوي وأصدقاء وصديقات نهمس لشمس يوم جديد،حتما سنعاود الرحلة.

تبدأ رحلة عودة في حافلة كأنها ليبيا، نعبر المدن مدينة إثر مدينة، ونصل طرابلس ليلا فتستقبلنا بدمع غزير، ألاّ تشتاق المدن !؟

نعم... هي طرابلس كأنها حين بَكَتْ كانت تشتاق مثلنا هُونَ الصفاء.

دار المحفوظات في 90 عاماً

متابعة: ناصر سالم المقرحي

فعالية ثقافية جديدة اقترحتها علينا الجمعية الليبية للآداب والفنون ضمن خطتها للنصف الأول من موسمها الثقافي 2018 – 2019 حيثُ كان الجمهور على موعد مع محاضرة ثقافية تندرج في إطار التوثيق لأهم مظاهر الثقافة في بلادنا بعنوان (دار المحفوظات التاريخية في تسعين عاما) قامت بإلقائها الباحثة أسماء الأسطى، وذلك مساء الثلاثاء الموافق للسادس من شهر نوفمبر 2018، بقاعة المحاضرات بدار الثقافة والفنون والتراث بشارع ميزران باستضافة من مكتب الثقافة طرابلس.

البداية وكما هو متبع كانت مع كلمة مدير النشاط، الأستاذ أحمد سمير الشارف الذي استهل كلمته بالترحيب بضيوف المحاضرة والإشادة بدور الجمعية في تنظيم الفعاليات الثقافية التي حرصت على أن تكون متنوعة، ولم ينسى أن يشكر الجمعية كذلك على اختيارها له لتقديم الباحثة وإدارة الجلسة، وقام من ثم بتقديم الباحثة، حيث سرد على أسماعنا شيئا من سيرتها العلمية والمهنية وذلك للتعريف بالأستاذة المُحاضِرة وكتهيئة للدخول في أجواء الموضوع الذي أولتهُ الباحثة الكثير من الاهتمام والعناية وأحاطت بكل تفاصيله في مجهود تجميعي وتوثيقي يستحق كل الثناء والإشادة.

والباحثة بحسب ما قدمها مدير النشاط تحصلت على الماجستير سنة 2005 وعملت كوزيرة للثقافة ووزير الدولة للمرأة والشؤون الاجتماعية بحكومة الوفاق وهي إلى ذلك تتمتع بعضوية العديد من منظمات المجتمع المدني وعضو في الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات كما

تحمل عضوية أتحاد الأدباء والكتاب الليبيين ولها اهتمامات واسعة بالكتابة للطفل وحصلت على عدة جوائز تقديرية وتكريم على مجهوداتها البحثية ورُشِحت كعضو في الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور وتهتم بتوثيق التاريخ الثقافي الليبي بكل تنوعه وثرائه، ونشرت دراساتها وبحوثها وإنتاجها الأدبي في العديد من المواقع الإلكترونية مثل ليبيا المستقبل وليبيا اليوم، وعمِلت في مجال المكتبات المدرسية وصدر لها عدة مؤلفات من بينها الصحافة الليبية من عام 1866 – 2003 و " كاتبات ليبيات" و "يا بلادي" عن هموم الوطن وشجونه عقب ثورة 17 فبراير، هذا غير كتابتها للشعر والقصة، وطبعا هذا بعضا من سيرة الباحثة مما استطعنا تدوينه فيما فاتنا الكثير مما قراه مدير النشاط في عجالة، وهذا في ما اتصور كافٍ لبلورة فكرة عن صاحبة المحاضرة من ناحية سيرتها البحثية والعلمية.

أما الباحثة التي استلمت بعد ذلك السرد المستفيض لسيرتها العلمية والمهنية مكبر الصوت فقد استهلت حديثها بشكر الحضور وشرعت في إلقاء محاضرتها بمساعدة جهاز العرض المرئي الذي ساعد المتلقي كثيرا في تمثل واستيعاب موضوع المحاضرة الدسم، وفي البداية وفيما يشبه المرارة والغصة وهي العارفة بكل ما يتصل بموضوعه، حذرت من خطر داهم يتهدد ارشيفنا الوطني ويعرضه للضياع لأنه يعاني من ظروف التخزين السيئة والإهمال، ودعت من منبرها ذاك إلى توفير ظروف أفضل وشروط حفظ تضمن عدم ضياع الأرشيف وبناء قاعدة بيانات متينة.

انتقلت الباحثة عقب هذا الاستهلال إلى الحديث عن دار المحفوظات وذلك منذ تأسيسها وحتى اللحظة من خلال بحثها وتنقيبها عن كل ما يخصها من معلومات وحقائق تاريخية ومن خلال الوثائق الإدارية للدار نفسها حيث تعرفنا من خلال هذا السرد على تاريخ تأسيس الدار وعلى من تعاقبوا على ترأس لجنة إدارتها، وعرّجت عل دور المستشرقين الإيطاليين في حماية الوثائق التاريخية مثل أوجينو الذي لعب دورا كبيرا في تنظيم الأرشيف العثماني وأوقف عملية ضياعه واندثاره ومثل توماسو سالفينه وكارلو الفونسو بللينو أستاذ اللغة العربي في المعهد العلمي بنابولي وبجامعتي باليرمو وروما الذي أعاد تنظيم الأرشيف السياسي العثماني في طرابلس.
وخطوة بخطوة تتبعت الباحثة التي أعطت موضوعها حقه من الجهد والبحث، تأسيس الدار وتغير مسمياتها وأهم أقسامها الداخلية إلى أن وصلت إلى حادثة إحراق جزء من هذا الأرشيف فيما عُرِفَ بعد ذلك وظهر كخبر في الصحف الصادرة آنذاك ب زحف القوى الثورية

لحرق ملفات السجل العقاري في عهد القذافي، كما تطرقت الباحثة إلى افتتاح مكتبة دار المحفوظات التاريخية واستعراض أسماء من تعاقب عل إدارتها من أساتذتنا الأجلاء وبينت دور الدار في توفير المستندات القانونية والوثائق التي تعزز حق الدولة في ما يخص المنازعات الحدودية وغيرها من القضايا، ويبدو أن الدار لعبت دورا فيما يتعلق بقضية الجرف القاري التي أُثيرت منذ عقود ما بين ليبيا وتونس، وعن معاناة موظفي الدار ورؤساءها ومكاتباتهم للجهات المختصة بشأن توفي الإمكانيات التي من شانها أن تساعد في حفظ الوثائق بشكل علمي تحدثت الباحثة بشيء من التفصيل سيما وأن كل الجهود لتوفير الإمكانيات ذهبت سُدىً ولم تلقى آذاناً صاغية.

ولتأكيد وتعزيز الحقائق التاريخية والمعلومات حرصت الباحثة في سياق محاضرتها على عرض بعض صور الوثائق والخرائط والصور الفوتوغرافية عبر جهاز العرض المرئي المكبر، مثلما عرضت بعض الخطط والدراسات المتعلقة بالدار ومهامها التي لم يتحقق منها شيء في ذلك الوقت، ولم تنسى أن تستعرض بعض المؤلفات المتصلة بموضوع المحاضرة مثل كتاب " حكاية قلعة طرابلس السرايا الحمراء " لمحمود الصديق أبو حامد، ولم تقتصر مهمة الدار على الحفظ والتنظيم بحسب الباحثة بل أن الدار أصدرت عدة مطبوعات مثل الدورية السنوية التي صدرت سنة 1964 باللغات العربية الفرنسية والإيطالية مع أنها لم تكن منتظمة.

وتحت عنوان "التشريعات القانونية الوطنية والاتفاقيات الدولية" عرّجت الباحثة على الجانب القانوني في المسألة بإشارتها إلى قرارات منظمة اليونيسكو في هذا الصدد والتشريعات الوطنية مثل قانون حماية الآثار والمتاحف والمباني التاريخية رقم 3 لسنة 1994.

"أهم أعلام دار المحفوظات التاريخية" تحت هذا العنوان أيضا استحضرت الباحثة أسماء كل من محمد توفيق محمد الأسطى صاحب المؤلفات المتعددة والمُساهم في إعداد موسوعة " طرابلس في مائة عام " والتي تشرفت الباحثة – كما نوهت – بالتتلمذ على يديه وتلقي بعض الدروس منه لبعض الوقت، وكذلك أشارت إلى شخصية محمد بهجت على غالب القره مانلي والذي بدوره أشرف على كتاب " طرابلس في مائة عام " ببيروت حيث تمت طباعته، وترأس الاثنان لفترة من الزمن إدارة الدار.

أما المؤرخ عبدالسلام أدهم محمد المدهم المولود بمدينة زليطن سنة 1898 فقد سردت علينا الباحثة نُتفا من سيرته بما فيها تلك التي تخص عمله بالدار، وكان العرض سلسا وهينا وخفيفا سيما وأن

المحـاضِرة ألقـت محاضرتهـا وهي واقفـة بعكس طريقة الإلقاء التقليدية، وهي تلقي على مسامعنا تفاصيل المحاضرة وفقراتها المعروضـة أمامنـا عـلى القماشـة البيضـاء، ولـم تكـتفي الباحثـة بقـراءة ونقـل مـا هـو مكتوب ومدون بل أنها توسعت في الشرح والتعليـق وحـتى الاسـتطراد كلمـا تطلـب السـياق ذلـك، وهـذا جعـل مـن السـاعة ونيف التي هذ زمن المحاضرة تمر سريعا مـع تـدفق المعلومـات والسرـد التـاريخي المتسلسل وتغطية الموضوع من جوانبه المتعـددة بحيـث أن الباحثـة لـم تـترك للمستمعين الكثير من المساحة ليتحركوا فيها بأسئلتهم ومداخلاتهم، حين أتت على كل التفاصيل وأشبعتها بحثا وتمحيصا.

وعـن سؤال أحـد المتداخلين بشأن إعـادة طباعـة بعـض الأعمـال المهمـة أجابـت الباحثة بأنها تعكف حاليا على العديد من المشاريع البحثية التي من بينها محاولة طباعـة الأعمـال الكاملـة للمـؤرخ والباحـث الراحـل محمد الأسـطى – الـذي هـو عمهـا وشـقيق والـدها – وسـتعمل عـلى إصدارها حال الانتهاء من تجهيزها.

توالـت المـداخلات مـن كـل مـن الأسـتاذ يـونس الفنـادي والأسـتاذة أحـلام الكميشي- حـول أهميـة العنايـة بالأرشـيف الـوطني للرجـوع إليـه عنـد الحاجـة وطـرح الأسـتاذ رامـز النويصرـي رأيـا حـول أمكانيـة توثيـق الأرشـيف إلكترونيـا دون الـتحجج بقلـة الإمكانيات لأن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من ألات تصـوير وبعـض الإمكانيـات الـتي لا يتعـذر توفيرهـا، وأوضـحت الباحثـة في عجالـة نظـرا لتـأخر الوقـت وارتفـاع أذان المغرب وتسرب الجمهور واحدا تلو الآخر بعـد نفـاد شـحنة التركـيز، أن للأرشـيف أهمية قصوى في فض النزاعات الداخلية والخارجية وإثبات الحق في قضية ما، إلى جانب أنه يمكن استثمار الأرشيف الذي هـو ثـروة وطنيـة كمصـدر لـدعم الخزينـة العامة بالمال عن طريق دفع مقابل مادي عند طلب الحصول على صورة مستند أو وثيقـة أو حـتى لمجـرد الاطـلاع عليهـا كمـا يحدث في دول العالم المتقدمة التي يتعذر الوصول إلى أراشيفها إلا بعد اجتياز مراحل عديدة واستيفاء إجراءات صارمة بعكس مـا يحـدث في ليبيا حيث الأرشيف مهدد بالضـياع مـا لـم تُتخـذ اجـراءات نوهـت الباحثـة إلى بعضـها لـتلافي مـا هـو أسـوأ، وطبعـا مـا قامـت الباحثـة بسرـده وشرحـه غزير وما نقلناه عبارة عن غيض من فيض، ومـا لـم تسـعفنا القـدرة عـلى تتبعـه ورصـده أكبر وأكثر مما أشرنا إليه في هذه المداخلة المحـدودة ومـا نقلنـاه هـو مجـرد محاولـة للإحاطــة بالمحــاضرة ونقــل شيء مــن أجواءها العلمية التي دارت فيها. وعلى أمل الالتقـاء في موعـد قـادم لـن يكـون بعيـدا، أنفض المجلس وتفرق الأصدقاء كلٌ إلى غايته وختتم النشاط.

إصدارات الأدباء والكتاب الليبيين للعام 2018

نعرض لمجموعة من إصدارات الأدباء والكتاب الليبيين، خلال العام 2018، وهي ما وصلنا، وستكون مرتبة بحسب تاريخ الصدور من بداية العام.

معتز بن حميد والمران

عن دار المكتبة العربية للنشر والتوزيع، بالقاهرة، صدر للكاتب "معتز بن حميد" مسرحية (المُرّان) وهو المؤلف الثاني الذي يصدر لـ"بن حميد" عن نفس الدار حيث صدر له في العام الماضي رواية (رسائل الفردوس).

مسرحية المُرّان تحصلت على درجة التنويه في مسابقة الشارقة للإبداع العربي 2017، وترشحت ضمن القائمة القصيرة في مسابقة الهيئة العربية للتأليف المسرحي 2017-2018.

أنات الشاعرة نعمة الفيتوري

صدر للشاعرة "نعمة الفيتوري" ديوانها (أنّات ذاتي)، عن دار النخبة للنشر والطباعة والتوزيع، بالقاهرة .

البكوش وإنتاج الدراما التلفزيونية

عن دار الرواد، بطرابلس، صدر كتاب (إنتاج الدراما التلفزيونية .. أساسيات ومراحل)، للفنان والمنتج التلفزيوني "الهادي البكوش".

يتناول الكتاب صناعة الإنتاج الدرامي التلفزيوني، في جميع مراحله، بطريقة مهنية، لكل من يهتم من طلاب ومزاولين لهذا العمل.

الكوني وروح البعد المفقود

(روح البعد المفقود)، هو عنوان أحدث إصدارات الروائي "إبراهيم الكوني"، الصادر عن دار سؤال للنشر والتوزيع، بيروت، ويأتي هذا الإصدار الأخير في 144 صفحة .

هذا كانت الدار قد قامت بطباعة وإعادة إصدار مجموعة من مؤلفات "الكوني."

التليسي مؤرخاً

عن دار الفرجاني للنشر والتوزيع، بطرابلس، صدر للباحث الأستاذ "عمار جحيدر"، كتابه المعنون (التليسي مؤرخاً)، والذي شاركت به الدار ضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الـ49 .

الكتاب يسلط الضوء على إسهامات الأديب الكبير الراحل "خليفة التليسي"، في مجال الترجمة التاريخية والأدبية والتوثيقية.

ترانيم الوجع

عن دار سما للنشر والتوزيع، بالقاهرة، صدر للكاتبة "لطفية القدافي" كتابها الموسوم بعنوان (ترانيم الوجع)، بلوحة غلاف من إهداء التشكيلية الليبية "سعاد اللبة". الكتاب كان ضمن الكتب المعروضة بجناح الناشر بمعرض القاهرة الدولي الأخير، الدورة 49.

صدور اللهم إني عازب

صدر لكاتب السيناريو "أنيس بوجواري"، كتابه (اللهم إني عازب)، عن دار همسة للنشر والتوزيع، بالقاهرة. عرض الكتاب ضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب 49 .

الكتاب اجتماعي ساخر، لكنه واقعي يسرد 30 حكاية، ربما تنتزع الابتسامة المرة. ويؤكد "بو جواري" أن معظم شخصيات هذا الكتاب تمت للواقع بصلة وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض البحث عن المشاكل ليس إلا.

الصويعي يكتب عن طلاسم اليهود

للباحث الدكتور "عبدالعزيز الصويعي"، صدر كتابه باللغة الإنجليزية (Jewish Talismans in History 1600 BC-1600 AD)، أو (طلاسم بني إسرائيل عبر التاريخ بين 1600 ق.م. و1600 ميلادي)، عن منشورات Lambert for Academic Publishing – Germany.

الكتاب يبحث في كشف ألاعيب اليهود وتأثيرهم على عقول البشرية ومحاولتهم الخسيسة لمحاربة الأديان وتدمير الأخلاق وإفساد الذمم، منذ ظهورهم على مسرح الأحداث في القرن 16 قبل الميلاد، ثم استغلوا الحركات التنويرية الأوروبية مع بداية القرن 16 بعد الميلاد.

البهلوان لياسين بن حميد

عن دار ببلومانيا للنشر والتوزيع، بالقاهرة، صدر للقاص الشاب "ياسين بن حميد"، مجموعته القصصية الموسومة

(البهلوان)، والمجموعة هي الإصدار الأول للقاص.

الزائدي وبضع جمل قصيرة عن الكتابة

عن دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، بدمشق، صدرت للشاعر والقاص والمترجم "مأمون الزايدي"، ترجمته لكتاب (بضع جمل قصيرة عن الكتابة)، للكاتب الأميركي "فيرلين كلينكنبورغ"، وسبق للدار أن أصدرت للزائدي في العام 2017 ترجمته (سيرة ذاتية للأحمر)، وهو رواية شعرية، مترجمة للكاتبة الكندية "آنا كارسون."

محمد عبدالله وعادة ليست سرية

للشاعر الشاب :محمد عبدالله" صدر عن دار الدراويش للنشر والترجمة، ببلوفيديف – بلغاريا، مجموعته الشعرية (عادة ليست سرية). والمجموعة هي الإصدار الشعري الأول للشاعر.

البوعيسي تصدر وردة الأثم الحمراء

صدر للروائية الليبية المقيمة في هولندا "وفاء البوعيسي" رواية (وردة الأثم الحمراء)، في نسخة اختارت أن تكون إلكترونية، متوفرة على موقع آمازون .

دار جين 3 كتب دفعة واحدة

عن دار جين للطباعة والنشر والتوزيع، صدرت ثلاث كتب وهي:

(ديوان طبرق)، للقاص والباحث في مجال التراث الأديب "حسين نصيب المالكي".

رواية (هذه أنا 2)، للكاتبة والإذاعية والفنانة "جيهان اسماعيل".

(عتبة عبدالكريم)، للكاتب "كمال القاضي."

ما وراء الواقع للإمام

(ما رواء الواقع) هو العمل الروائي الجديد للروائي والباحث التاريخي "إبراهيم عبدالجليل الإمام"، والذي صدر عن الدار العربية للنشر والتوزيع، بالقاهرة.

هذه الرواية تنتمي لأدب الفنتازيا، وليس كما جاءت إبداعات الكاتب السابقة التي ارتبطت بمدينة غدامس وتاريخها، وكأن "الإمام" من خلال هذه الرواية يريد دخول تحدي إبداعي جديد.

كناش الخوف للغزال

عن دار النسيم، بالقاهرة، صدرت رواية (كناش الخوف)، للروائي الليبي "عبدالله الغزال". والتي ستكون ضمن منشورات

الدار، المشاركة بمعرض القاهرة الدولي للكتاب للعام 2019.

قِـرَاءَات فِي نُصُـوصٍ لِيبِيّـة لِسَـالِم أبُوظهِير

عن دار ومكتبة الشعب، بطرابلس، صدر للكاتب الصحفي "سالم ميلود أبوظهير"، كتابه (قراءات في نصوص ليبية). يقع الكتاب في 216 صفحة، ويجمع فيه "أبوظهير" مجموعة من القراءات النقدية التي تناول فيها الأدب الليبي، من خلال مجموعة من الأسماء الأدبية الليبية.

أسطورة أوره لفتحي مسعود

عن دار الدار بالقاهرة، صدرت باكورة أعمال الكاتب الشاب "فتحي محمد مسعود"، ابن مدينة طبرق، وهو روايته (أسطورة أوره سالم).

رُوزْوِيل لعِمَاد المَدْولِي

صدرت عن دار الشعب للنشر والتوزيع، رواية (روزويل) للكاتب "عماد المدولي"، والتي ستتوفر في المكتبات الليبية خلال شهر نوفمبر. والرواية تعتمد على التشويق والخيال العلمي –فانتازيا-، وتدور أحداثها في مدينة روزويل الأمريكية عن شخص يكتشف بمحض الصدفة حدثاً غريباً فيتتبع أسبابه فيكتشف أموراً غريبة وغامضة عن مدينته لتتوالى الأحداث .

من قبل ومن بعد

أ.د. خليفة صالح احواس

رابطة الأدباء والأدباء والكتاب، هي الكيان التاريخي لهم، أسسها كبارهم الذين أثروا الحياة الثقافية بعطاءاتهم شعراً ورواية وقصةً، أمثال التليسي- والزوي وخشيم رحمهم الله، لها نظامها الأساسي الذي يقوم على الاختيار (التصعيد والانتخاب)، ولها مطبوعاتها التي بمثابة ديوانها ألا وهي (الفصول الأربعة)، وكان لها مقرها والذي أعيدت صيانته وإلباسه ثوباً قشيباً، تتوسطه قاعة الإجدابي، لكنه أزيل صحبة فندق الشاطئ المجاوز له ضمن برنامج تطوير طرابلس، أو ما يسمى (الإزالة لغرض التطوير)، وأزيل دون توفير بديل يليق بالأدباء والكتاب بل ربما لم يتم التفكير في ذلك إلا من مقر صغير تم تأجيره لفترة محددة بعد أن فقدت الرابطة أرشيفها ووثائقها وحتى سجلات عضويتها نتيجة فوضى الإزالة المباغت، استمرت هذه الوضعية واستمرءها البعض كما اتفق.

إثر أحداث فبراير هجرت أمانتها العمل بها، بعد وفاة أمينها المساعد، المرحوم الكاتب "سعد نافو"، واستقالة البعض، وترك البعض الآخر، كان المأمول أن يلتفت إليها بدماء جديدة ورؤية مختلفة، لكن الإهمال ضرب أطنابه والحال زاد سوءً، حتى فقدت عضويتها بالتعليق، باتحاد الأدباء والكتاب العرب، عام 2013-2014م، ظل الوضع متدحرجاً بلا سائل وملا مجيب، حتى بادر بعض الزملاء لها، وتحدياً من اتحاج كتاب المغرب العربي، الذي يرأسه الزميل الشاعر التونسي- "صلاح الدين حمادي"، وبرعاية من وزير الثقافة الجزائري "عزالدين ميهوبي"، إلى ضرورة عودة ليبيا إلى محيطها العربي الثقافي، وبالتنسيق

معنا ومع السيد رئيس الهيئة العامة للثقافة تآزر الأعضاء وبماركة من الأمين العام للأدباء والكتاب العرب، الشاعر الإماراتي "حبيب الصائغ" إلى استعادة عضوية الرابطة بالتصويت عليه إيجابياً باجتماع المكتب الدائم لأدباء والكتاب العرب بسوريا 2017، وذلك في صورة مؤقتة من خلال آخر أمانة لها منتخبة وبتمثيل من قبلنا، مع اشتراط ضرورة انتخاب هيئة إدارية جديدة لها في أقرب ممكن.

شرعنا في ذلك، مع التزامنا بعدم الترشح لاحقاً لأسباب ذاتية، من خلال التنسيق مع الجهات ذات العلاقة وبإنشاء قاعدة بيانات على الصفحة الرسمية للرابطة على شبكة التواصل الاجتماعي، ذلك بالنظر لضياع سجل العضوية القديم، وبروز أسماء جديدة بالمشهد الثقافي، تنطبق عليها شروط العضوية بالنظام الأساسي المعمول به حتى اللحظة، والأمر جارٍ على بناء فروع الرابطة على مستوى المناطق شرقاً وغرباً وجنوباً، توطئة للالتئام بمؤتمر عام لانتخاب أمانة عامة، لكن ذلك يسير بصورة رتيبة لعوامل لا أعتقد إنها خافية على أحد، لكن الأمر يستحق بعون الله وبإدارة أعضائها الذين يعملون بدأب لوجه الله والوطن والثقافة.

والله من وراء القصد.